صورة الإسلام في الإعلام الغربي

د. عبد القادر طاش



الزهراء للإعلام العربي



الزهراء للإعلام العربى
قســـم النشــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهرايف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يوإن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

الجمع التصويري والتجهيز

بالزهراء للإعلام العربي

صورة الإسلام في الإعلام الغربي



د. عبد القادر طاش

الزهراء للإعلام العربي

مقدمة الطبعة الثانية

تعجب كثيرون من الطريقة التي عالجت بها وسائل الإعلام الغربية – والأمريكية منها بخاصة – حادثة التفجير الإجرامي للمركز التجاري العالمي بمدينة نيويورك في شهر فبراير 1993 م. لقد سارعت بعض الصحف الأمريكية المعتبرة إلى نشر خبر القبض على أحد المتهمين في الحادثة – وهو عربي مسلم – قائلة بالبنط العريض : « القبض على إرهابي مسلم » ! وتساءل هؤلاء المتعجبون : لماذا يُخصص المسلمون وحدهم بالإرهاب ؟ لقد تزامن مع هذه الحادثة أخبار المتطرف « ديفيد كوريش » الذي احتجز عددًا من أتباعه ودارت بينهم وبين الشرطة الأمريكية معركة مسلحة سالت فيها الدماء ، فلماذا لم تصفه الصحافة الأمريكية بـ « الإرهابي المسيحي » ؟! ولماذا لم تطلق هذه الصحافة على ما تقوم به المليشيات الصربية في البوسنة والهرسك من فظائع وحشية ضد المسلمين الآمنين وصف « الإرهاب الأرثوذكسي » ؟! ولماذا لم يتحدث الإعلام الغربي عن حوادث العنف التي تقوم بها الجماعات الأيرلندية في بريطانيا في إطار « الإرهاب الكاثوليكي » ؟! بل لماذا لم تَصِم هذه الوسائل ما قامت به العصابات الهندوسية المتطرفة من هدم للمسجد البابري وترويع للمسلمين في الهند بـ « الإرهاب الهندوسي » ؟!

ولهؤلاء المتعجبين نقول : إن الإساءة للإسلام وترويج – بل ترسيخ – الصور النمطية الكريهة عنه وعن أتباعه ليس جديدًا في المجتمع الغربي . إن صنع الصور النمطية المسيئة للإسلام والعرب وترسيخها في العقل الجمعي في المجتمعات الغربية ظاهرة قديمة ومتجددة . وهي ظاهرة ذات جذور تاريخية وفكرية تمتد لقرون عديدة . ولنقرأ شهادة أحد المتخصصين الذين درسوا هذه الظاهرة في صورتها المعاصرة في الإعلام الأمريكي حيث يقول « جاك شاهين » إنه انصرف منذ عشرين سنة إلى تاريخ الصورة السائدة في الثقافة الشعبية الأمريكية ، فدرس ما يزيد على 250 كتابًا هزليًا ظهر خلال 50 عامًا ، بدءًا من « دونالد داك » وحتى « سوبر مان » ، كما حلّل مئات البرامج والرسوم الكاريكاتورية التي عرضت على شاشة التليفزيون مثل « بوباي » و « ميجور داد » وأفلام رسوم متحركة يفوق عددها 450 فيلمًا أولها

« رقصة فاطمة » (1893 م) وآخرها « علاء الدين » الذي قدمته مؤسسة « والت ديزني » العام الماضي (1992 م) .

ويخلص « جاك شاهين » إلى القول : « لقد دلت أبحاثي على أن كلمتي « عربي » و « مسلم » تثيران ردود فعل عدائية يصعب معها على الجمهور أن يميز الحقيقة من الخيال . وربما لم يتعرض أي شعب في العالم نتيجة ذلك إلى هذا المدى من سوء الفهم كما يتعرض الـ 270 مليون عربي . كما قد يكون الإسلام ، الذي يعتنقه ما يزيد على بليون إنسان ، بينهم 6 - 8 ملايين أمريكي ، أكثر الأديان معاناة من جهل الآخرين بحقيقته » . ويضيف « شاهين » أن « هوليوود » – وهي مدينة السينما الأمريكية – قدمت منذ حرب الخليج الثانية ما يزيد على 40 فيلمًا ، منها « لعبة القتل » و « تينجا الأمريكي والإبادة » و « في الشمس » و « الدرع البشري » ، و« غالت هذه الأفلام كلها في تشويه سمعة العرب ، إذ عرضت شريطًا لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم ، ويمثلون في الوقت ذاته خطرًا رهيبًا يتهدد الآخرين . ولم تروّح مشاهدها الوهّاجة المتكررة عن أنفس الجمهور ببراءة ، بل وجهته إلى كراهية هذا ومحبة ذاك ضاربة مبدأ المساواة بالحائط » !



إنَّ الصورة النمطية المسيئة للإسلام والعرب التي يروّج لها الإعلام الغربي اليوم ليست إلّا امتدادًا لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون المسيحيون المتعصبون في العصور الوسطى ، ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين الطامعين في أرض العرب . وهي ذاتها الصورة التي سخّر المستشرقون والمنصّرون أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم العملية لتثبيتها في العقل الاستعماري للغرب . واليوم تكمل بيوت الخبرة في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات الشرقية والإسلامية في الغرب ووسائل الإعلام الجماهيرية مهمة السابقين في الإبقاء على الصورة كما كانت . بل إن وسائل الإعلام الجماهيرية تعمل الآن – بسبب ما تمتلكه من قدرات تقنية وأساليب جذب مبهرة – على الترويج لهذه الصورة المسيئة للإسلام والعرب على المستوى الدولي ،

حتى أضحت هذه الصورة مادة إعلامية جماهيرية تعبر الحدود بلا تعب وتدخل إلى البيوت بلا استئذان في كل مكان في العالم .

إنَّ التحليل التاريخي والواقعي لتطوّر تشكيل الصورة المسيئة للإسلام والعرب في العقل الغربي يقودنا إلى عدة استنتاجات ؛ منها :

● أن صنع هذه الصورة قديم ، وله جذور تاريخية ممتدة في الزمن ، وهو أمر ليس بجديد ، ولا يمثل ظاهرة حديثة .

● أن فئات وقطاعات معينة في المجتمعات الغربية هي التي تبنّت صنع تلك الصورة وروّجت لها ، وهم بالتحديد : اللاهوتيون المتعصبون ، والصليبيون الطامعون ، والمستشرقون الخادمون للاستعمار ، والسياسيون الإمبرياليون ، والإعلاميون المعاصرون .

● أنّ وسائل عدة وقنوات متنوعة سُخِّرت لتقوم بصياغة وتشكيل تلك الصورة عبر التاريخ ، ومنها : الكتب المقدسة ، والروايات والأغاني الشعبية ، والأبحاث الاستشراقية ، والدراسات السياسية الموجهة ، والمواد الإعلامية بكل أنواعها وأشكالها .

● أن دوافع المتبنّين لهذه الصناعة الخبيثة في تشويه صورة الإسلام والعرب تختلف في ملامحها الخاصة وفقًا لاختلاف الظروف والمتطلبات عبر المراحل المتعددة ، فقد كان اللاهوتيون يهدفون إلى حماية المسيحية من زحف الإسلام ! واتخذ الصليبيون تشويه الإسلام مسوغًا لتحريض أتباعهم في أوربا على غزو بلاد المسلمين . وجعل المستشرقون دراسة الإسلام غطاءً لخدمة أغراض الاستعمار الغربي . واستفاد السياسيون الإمبرياليون من دراسات المراكز المتخصصة و« الخبراء » لإحكام سيطرتهم الفكرية والسياسية والاقتصادية على العالم الإسلامي . وانساق الإعلاميون المعاصرون لترويج الصورة المسيئة للإسلام طمعًا في تسويق بضاعتهم الإعلامية .

ولكننا نلمح – دون كبير عناء – أن هناك خطًا فكريًا واحدًا يربط بين كل المراحل والنتائج التي ذكرناها ، ويجمع أيضًا بين كل هذه الدوافع التي أشرنا إليها .

ويتمثل هذا الخط الفكري في عنصرين متكاملين :

● أحدهما : استيلاء فكرة « التفوق » على العقل الغربي منذ القدم :

ولذلك فالغربيون يرون أن الغرب هو مركز العالم ، وأن الحضارة الغربية – بموروثاتها الدينية ومكوناتها الفكرية – هي « الحضارة » التي ينبغي أن تسود العالم ، وأن ما عداها لا اعتبار له . ويلمس المرء في أقوال وأفعال الكثيرين ممّن يمكن أن نطلق عليهم « إمبرياليي » الغرب عبر التاريخ نغمة « واحدة » تتردد دائمًا وهي أن الإنسان « الأبيض » – وهو الغربي المسيحي – هو وحده المؤهل لقيادة الإنسانية ، وهو مكلف برسالة « تنويرية » لـ « تحضير العالم »!

● أما العنصر الآخر في هذا الخط الفكري الغربي فهو عدم الاعتراف بـ « الآخر » ، والسعي حثيثًا لإزاحته عن المنافسة . وهو — كما نرى — مكمل للعنصر الأول . ومما لا شك فيه أن الإسلام – دينًا وحضارة وقيمًا وواقعًا – يمثل بالنسبة إلى متبني مركزية الغرب في العالم تحديًا كبيرًا يمكنه أن يقاوم نزعة الهيمنة في الحضارة الغربية بل وأن ينافسها ويزاحمها . لذلك يتفق هؤلاء على ضرورة إزاحته من الطريق فهو الخطر الذي لابد من مواجهته بلا توقف !

* * *

ولا ينبغي في صدد تناول ظاهرة صناعة الصورة المسيئة للإسلام والعرب إغفال الدور الفاعل لليهود – والصهاينة منهم بخاصة – في صناعة هذه الصورة والترويج لها في الغرب ، فهم أكثر المستفيدين الحاليين من استمرار تلك الصورة .

ولذلك فهم يسعون بكل قوتهم ودهائهم ومكرهم السيئ إلى تغذية موجة العداء الغربي للإسلام والعرب ، والنفخ في نار المواجهة والصدام بين الإسلام والغرب . وهم يسعون إلى تحقيق هذا الهدف من طريقين :

● أولهما سياسي ؛ وذلك بمحاولة إقناع ساسة الغرب وصانعي القرار في الدوائر المعنية هناك بأن الخطر القادم عليهم هو « الخطر الإسلامي » ، وأنَّ الكيان الصهيوني هو المؤهل لمواجهة هذا الخطر ، فلابد من تقويته والاعتماد عليه حتى يصد

غوائل الإسلام !

● وثانيهما شعبي ؛ وذلك بممارسة ضغوطهم على منابر التوجيه والتأثير – وبخاصة منها وسائل الإعلام الجماهيرية – في المجتمعات الغربية لتواصل نشاطها الدءوب لترسيخ الصورة المسيئة للإسلام والعرب في العقل الجماهيري الغربي . وفي مقابل ذلك تلميع صورة اليهود ، وتزيين الكيان الصهيوني باعتباره حائط الصّد الذي يقي الحضارة الغربية هجوم المسلمين والعرب الهمجيين !

* * *

هل ينبغي علينا – ونحن نرصد ذلك التاريخ المظلم وهذا الواقع المرير لصناعة الصورة المسيئة للإسلام والعرب في الغرب – أن نستسلم لليأس وننفض أيدينا من محاولة التغيير والإصلاح – أو الدفاع عن أنفسنا على الأقل – ؟ إننا لا نؤمن باليأس ، ولكننا نعترف – بصراحة تامة – بأن التغيير صعب للغاية ودونه عقبات كئود . إن الأمر يتطلب عملًا حضاريًا يبدأ – في اعتقادنا – بفهمنا الصحيح وإدراكنا الواعي لهذه الظاهرة في سياقاتها الفكرية والدينية والتاريخية والواقعية .

ونأمل أن يكون هذا الكتاب إسهاما في تحقيق الفهم الصحيح وتعميق الإدراك الواعي للظاهرة . وقد نشر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة 1409 هـ ـــ 1989 م . وها هي ذي الطبعة الثانية تصدر في ظل الحملات الإعلامية المحمومة التي تستهدف تشويه صورة الإسلام في العالم . والله ولي التوفيق .

جدة 10 شــوال 1413 هـ
1 أبــريل 1993م

عبد القادر طاش

مقدمة الطبعة الأولى

« الإسلام المقاتل » ، « انفجار الإسلام » ، « خطر الإسلام » ، « الإرهاب الإسلامي » ، « المارد الإسلامي » ، هذه العبارات ليست من بنات أفكار الكاتب ، بل هي عناوين صارخة أبرزتها صحافة الغرب ووسائل إعلامه عبر المئات من التحقيقات والمقالات والتحليلات الصحفية والبرامج والتقارير الإذاعية والتليفزيونية ، وتعبّر هذه العبارات عن ظاهرة إعلامية متنامية أطلق عليها « الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي » . وتحاول هذه الدراسة معالجة هذا الموضوع بعرض مظاهر تلك الصورة وتحليل أبعادها وإبراز العوامل التي أسهمت في صنعها وساعدت وسائل الإعلام الغربي على ترويجها وترسيخ معالمها في العقل الغربي .

وقد بدأ اهتمامي الجاد بهذا الموضوع منذ عشر سنوات مضت تقريبًا عندما كنت طالبًا في الولايات المتحدة الأمريكية فعشت ما أسماه إدوارد سعيد « الهوس الأمريكي » تجاه الإسلام في أواخر السبعينيات من هذا القرن الميلادي . وما أزال أتذكر جيدًا الغلاف المثير الذي خصصته مجلة تايم الأمريكية المشهورة في عددها الصادر في 16 أبريل 1979 م للحديث عن الإسلام ودوره في قضايا الشرق الأوسط . كان الغلاف عبارة عن لوحة زيتية ملونة رسمها أحد الفنانين الغربيين تصور مؤذنًا ملتحيًا يعتلي مئذنة ويدعو المؤمنين بهدوء للصلاة . ولكن المجلة حولت هذا المنظر الفني الهادئ المعبر عن الأمان والسلام إلى لوحة عنف وإرهاب عندما ربطت بينه وبين عنوان صارخ ابتدعته وهو « الانبعاث المقاتل » (Militant Rivival).

وتمثل اهتمامي العلمي بهذا الموضوع في ورقتي بحث ، إحداهما نظرية والأخرى ميدانية ، قدمتهما ضمن متطلبات بعض المقررات الدراسية للدراسات العليا في جامعة جنوب إلينوي . وعندما عدت إلى موطني كان موضوع الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في الإعلام الغربي أحد الموضوعات التي تضمنها مقرر « قضايا الصحافة المعاصرة » ، الذي قمت بتدريسه لطلاب الدراسات العليا بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . كما أن اهتمامي بالموضوع كان

واضحًا في بعض المقالات الصحفية التي كتبتها بين الفينة والأخرى في عدد من الصحف والمجلات .

وهذه الدراسة المتواضعة التي أقدمها في هذا الكتاب ليست أطروحة أكاديمية صرفة تهتم بالتقاليد المنهجية الصارمة أكثر من اهتمامها بالتحليل والتفسير والتأمل الفكري . وهذه الدراسة – أيضًا – ليست بحثًا ميدانيًا كميًا محصور النطاق محدود الثمرة . إن هذه الدراسة بمثابة المراجعة الشاملة للعديد من البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي . ولكنها ليست مراجعة سردية منفصلة الروابط بل هي خلاصة مترابطة الأجزاء متماسكة النتائج . وأحسب أن هذه هي الميزة الأولى لهذه الدراسة .

أما الميزة الأخرى فهي أن هذه الدراسة تنطلق من رؤية فكرية واضحة المعالم ، حيث تعالج ظاهرة الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي من منظور شمولي يربط بين هذه الظاهرة وسياقاتها الفكرية والنفسية والسياسية والاجتماعية ، فيستكشف جذورها التاريخية والنفسية ويحلل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويحاول – في ضوء ذلك كله – أن يقدم تفسيرًا علميًا يضع هذه الظاهرة في إطارها الصحيح .

وقد قسّمتُ هذه الدراسة إلى أربعة فصول وخاتمة ؛ يتناول الفصل الأول منها مفهوم الصورة النمطية وخصائصها وكيف تتكون . ويستعرض الفصل الثاني التطور التاريخي للصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في التراث الغربي عبر مراحله المختلفة منذ بدء العلاقة بين الإسلام والغرب إلى وقتنا الحاضر .

أما الفصل الثالث فقد خصص لعرض مظاهر الصورة النمطية للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي . وفي الصحافة المطبوعة وفي السينما والتليفزيون . وقد حشد في هذا الفصل العديد من النماذج والأمثلة التي تقدم للقارئ رؤية « بانورامية » واسعة للصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي .

وحاول الفصل الرابع أن يبلور تفسيرًا موضوعيًا متكاملًا لظاهرة الصورة النمطية المشوهة التي تقدمها وسائل الإعلام الغربي المعاصر إلى جمهورها ، وذلك من خلال

تحليل عدد من العوامل النفسية والسياسية والإعلامية والذاتية التي أسهمت – وما تزال تسهم – في صياغة تلك الصورة وفي دفع وسائل الإعلام في الغرب إلى الترويج لها وترسيخ معالمها في الوجدان الغربي .

وطرحت خاتمة هذه الدراسة رؤية متواضعة لبعض الأسس التي ينبغي أن تُبنَى عليها سياسة مواجهة هذه الظاهرة في وسائل الإعلام الغربي . كما تطرقت الخاتمة إلى تقديم بعض المقترحات التي يراها المؤلف في مجال الأساليب والوسائل التي يمكن أن تعين في تحقيق أهداف تلك المواجهة سواء في الميدان الدبلوماسي / السياسي أو الميدان الحضاري / الثقافي أو الميدان الإعلامي / الدعائي .

ولست أزعم أن هذه الدراسة لم يُسبَق المؤلف إليها ، بل الحق أن هناك بعض من سبقوني في معالجة ظاهرة الصورة النمطية التي يجدها القارئ في ثنايا هذه الدراسة . ولكنَّ دراستي هذه أوسع مدى وأرحب آفاقًا وأشمل تناولًا وأعمق تحليلًا . وقد استفدت كثيرًا من جهود من سبقني في هذا المجال ولهم – بعد الله تعالى – فضل كبير في إعانتي على إنجاز هذه الدراسة . فهم شركاء لي في الإيجابيات التي يمكن أن تسند إلى هذه الدراسة ولكنهم غير مسئولين عما يعتريها من نقص وقصور وخطإ ، إذ يتحمل المؤلف وحده ذلك كله .

وعرفانًا بالجميل وإسنادًا للفضل إلى أهله أود أن أسجل بأني قد استعنت في هذه الدراسة بعدد من المكتبات ومراكز البحوث أذكر منها المكتبة المركزية لجامعة الملك سعود ، ومكتبة معهد الإدارة العامة ، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، وكلها بالرياض . كما استفدت من خدمات مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج ببغداد ، ومركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ، ومركز معلومات جامعة الدول العربية عن طريق مجلة شئون عربية في تونس ، فإلى المسئولين في جميع هذه المكتبات والمراكز الشكر والعرفان .

ومنذ أن كان موضوع هذه الدراسة فكرة في الذهن إلى أن سُطِّر على الورق شاركني العديد من زملائي الأساتذة في قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام وبعض

الأصدقاء في إنجاز هذه الدراسة بالتشجيع والدعم أو بإمدادي بالمراجع أو إرشادي إليها ، أو بقراءة بعض أجزاء الدراسة وإبداء الملاحظات الثمينة عليها . كما أن لمشاركة طلابي بالسنة المنهجية للماجستير بالقسم في مناقشة موضوع الدراسة دورًا في زيادة اهتمامي به . وكان لكل إسهامات الزملاء والأصدقاء والطلاب أثر طيب في إثراء هذه الدراسة وإنضاجها ، وإن كانوا لا يتحملون سلبياتها . فلهؤلاء جميعًا أعمق الشكر وأبلغ التقدير ، مع الدعاء لهم بأن يجزيهم الله خيرًا على ما بذلوه وقدموه .

ولا يحسن بي أن أغفل في هذا المقام دور زوجتي في تهيئة المناخ الملائم لي للعمل في هذا المشروع العلمي ، فقد كانت بتشجيعها وصبرها خير معين لي – بعد الله تعالى – على المضي بعزم وجَلَد في إنجازه . فلها من الله الأجر ومني التقدير والاعتراف بالجميل . وأقدِّر – أيضًا – لأولادي صبرهم وتحملهم لطول انصرافي عنهم وشدة انشغالي عن أداء بعض حقوقهم .

والحمد والثناء والعرفان – قبل ذلك كله وبعده – لمن يستحق الحمد والثناء العظيمين والشكر والعرفان المضاعفين وحده تعالى ، فلولا توفيق الله وفضله وعونه وتيسيره لما خرجت هذه الدراسة إلى عالم الواقع ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

الرياض : ربيع الأول 1409 هـ
نوفمبر 1988 م

عبد القادر طاش



□ مفهوم الصـورة النمطيـة وخصـائصها وأهميتهـا في مجال الإعـلام الدولـــي

شهدت السنوات الأخيرة نموًّا مطّردًا في استخدام مفهوم الصورة الذهنية في العديد من مجالات الدراسات الاجتماعية . ويشيع استخدام هذا المفهوم في الدراسات الاتصالية والإعلامية بشكل أوسع ، نظرًا للعلاقة الوثيقة بين هذه الدراسات ومختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، حتى أصبح الاتصال – بمختلف مستوياته ووسائله – عنصرًا رئيسًا في صياغة الحياة الإنسانية المعاصرة .

وتكتسب الصورة الذهنية أهمية بالغة في مجال العلاقات بين الأمم والشعوب ، إذ إن الصور الذهنية التي تتكون لدى الشعوب بعضها عن بعض ، والتي تنطبع في عقول صانعي القرارات بمختلف مجالاتها ، تقوم بدور هام في التأثير على طبيعة واتجاهات تلك العلاقات .

ومن هذا المنطلق عُنِيَت الدراسات المتخصصة في مجال الإعلام الدولي بمفهوم الصورة الذهنية النمطية ، وتحليل أبعادها ، وإبراز آثارها السلبية والإيجابية ، ورصد تطوراتها ، وتبيان الدور الفاعل لوسائل الاتصال والإعلام في تكوينها وصياغتها من جهة ، وتعديلها وتغييرها من جهة أخرى .

وسنتناول في هذا الفصل مصطلح الصورة الذهنية النمطية فنحدد مفهومها ودلالتها ، ونستكشف سماتها وخصائصها ، ونتبين كيف تتكون الصورة الذهنية النمطية لدى الأفراد والشعوب ، ونوضح دور وسائل الاتصال والإعلام في تكوينها ، ثم نتعرف على أهمية دراسة الصور الذهنية النمطية للأمم والشعوب في مجال الإعلام الدولي مع استعراض بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع .

مفهوم الصورة الذهنية والنمطية

يختلف الباحثون في استخدام المصطلح الدالّ على مفهوم تكوين الصورة الذهنية في مختلف مناحي الحياة ؛ فبينما يستخدم بعض الباحثين كلمة « الصورة الذهنية » يلجأ بعضهم الآخر إلى كلمة « الصورة النمطية » ، ويفضّل فريق ثالث استخدام « الصورة المنطبعة » ، ويرى فريق رابع أن كلمة « الصورة المقلوبة » أدق دلالة على المراد . فهل تعني هذه الكلمات أو المصطلحات معنى واحدًا

مشتركًا ، أم أنها ذات دلالات ومعانٍ مختلفة ؟

إن مفهوم الصورة الذهنية أو النمطية نما وترعرع في أحضان الدراسات الغربية ، وخصوصًا في ميادين علم النفس الاجتماعي . لذلك فإنَّ من الضروري استعراض هذا المفهوم – في معناه اللغوي والاصطلاحي – في التراث الغربي . وسنجد أن الدراسات الغربية تستخدم أيضًا عدة تعبيرات للدلالة على هذا المفهوم . ومن أبرز هذه التعبيرات في اللغة الإنجليزية : (Image) و (Stereotype) .

وتعود كلمة (Image) إلى أصل لاتيني هو (Imago) المتّصلة بالفعل (Imitari) بمعنى : يحاكي أو يمثّل . وبذلك تدل كلمة (Image) على المحاكاة أو التمثيل . ويعرّف معجم وبستر هذه الكلمة بقوله : « تصوّر عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شيء بعينه »[1] .

أما كلمة (Stereotype) فتستقي معناها من عالم الطباعة حيث تشير إلى القالَب الذي تُصَبّ على نسقه حروف الطباعة . ففي معجم وبستر تدلّ الكلمة على « الشيء المتفِق مع نمط ثابت أو عام » أو على « الصورة الذهنية الثابتة التي يشترك في حملها أفراد جماعة ما وتمثّل رأيًا مبسّطًا أو موقفًا عاطفيًا أو حكمًا غير متفَحص »[2] .

وتتّفق الدراسات العربية حول الصور الذهنية والنمطية مع نظيراتها الغربية في تحديد مفهوم هذا المصطلح ؛ ففي المورد لمنير البعلبكي يَرِد تعريف (Image) بأنها « الصورة أو الانطباعة الذهنية »[3] . وتعني (Stereotype) « الشيء المكرر على نحوٍ لا يتغير ، أو الشيء المتفق مع نمط ثابت أو عام ، وتعوزه السمات الفردية المميزة . أو الصورة العقلية التي يشترك في حملها أفراد جماعة ما ، وتمثّل رأيًا مبسطًا

---

(1) Webster's New Collegiate Dictionary, (Spring Field, Mass : G. and C. Merrian Co., 19771) .P. 571

(2) Ibid., P. 1141

(3) منير البعلبكي : المورد (بيروت : دار العلم للملايين ، 1983) ص 449 .

إلى حد الإفراط المشوّه أو موقفًا عاطفيًا (من شخص أو عرض أو قضية أو حادثة) »[1] .

ويرى علي عجوة في دراسته عن الصورة الذهنية في العلاقات العامة أن (Image) تعني « الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام ما ، أو شعب أو جنس بعينه ، أو منشأة أو منظمة محلية أو دولية ، أو مهنة معينة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان »[2] .

أما أسعد رزوق فيعرّف (Stereotype) في موسوعة علم النفس فيقول : « الأصل في معنى كلمة (Stereotype) الشيء المكرر على نحوٍ مطّرد وعلى وتيرة واحدة لا تتغير ويسمى نمطًا ، والنمط يطلق على الصورة العقلية التي يشترك في حملها واعتناقها أفراد جماعة معينة »[3] .

وباستعراض هذه التعريفات لكلمتي (Image) و (Stereotype) يمكننا الخلوص إلى القول بأن الكلمتين تشتركان في دلالتهما على الصور الذهنية ، ولكنَّ كلمة (Image) تعني مطلق الصورة الذهنية عن الحياة والأشخاص والأشياء فهي أعم وأشمل من كلمة (Stereotype) فهي أكثر خصوصية في دلالتها على الصورة الذهنية الثابتة والتي تتسم بالجمود والتبسيط المفرط . وغالبًا ما تعد (Stereotype) مرحلة لاحقة من مراحل تكون الصورة الذهنية لدى الإنسان عن الأشخاص والأقوام والأشياء .

وفي إطار الاهتمام بالصورة الذهنية التي تتكون لدى الأفراد والشعوب بعضها عن بعض تبلور في الآونة الأخيرة استخدام مصطلح متصل بهذا المفهوم هو مصطلح

---

(1) المرجع السابق ، ص 906 .

(2) على عجوة : العلاقات العامة والصور الذهنية (القاهرة : عالم الكتب ، 1983 م) ص 10 .

(3) أسعد رزوق : موسوعة علم النفس (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 4 ، 1978 م) ص 320 .

(National Image) أي « الصورة الذهنية القومية » وقد برز هذا المصطلح مع تزايد الدراسات التي تتناول صور الدول والشعوب في وسائل الإعلام الحديثة .

ويعرّف جان ميريل الصورة القومية بقوله هي « منظومة من الانطباعات والأفكار والآراء والاتجاهات التي تكوّن تمثيلًا عامًا أو سائدًا . فهي عبارة عن وصف موجز ، أو تصوّر موحّد لشعبٍ دولةٍ ما أو حكومته »[1] ويرى السيد ياسين أن الصورة القومية تتضمن عنصر النمطية ، وتُبْنَى على أسس عاطفية غير موضوعية ، إذ يقول : إن الصورة القومية هي « السمات الشائعة الثابتة التي تسري على شعب ما من جانب شعب آخر ، والتي تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية ، والتي تصاغ على غير أساس علمي أو موضوعي تأثرًا بأفكار متعصبة تتسم بالتبسيط في تصورها للآخر »[2] .

وفي ضوء ما سبق ، فإننا نميل في هذه الدراسة إلى استخدام مصطلح الصورة النمطية ، لأننا لا ندرس مطلق الصورة الذهنية التي بُنِيَتْ على الانطباعات العابرة عن الإسلام والعرب في الذهن الغربي ، بل نتناول بالدراسة ظاهرة تكوّن الصورة الذهنية المتكررة على نمط ثابت جامد – عبر القرون والأجيال – عن الإسلام والعرب في عقول الغربيين . وإذا كانت الصورة القومية للعرب في وسائل الإعلام الغربية مما ستتناوله هذه الدراسة بالتحليل ، فإننا لن نقتصر على ذلك ، بل سنعالج هذه الظاهرة بشمولها وأبعادها المختلفة . لذلك كله فإن مصطلح الصورة النمطية – في نظرنا – أدق دلالة وأوسع مفهومًا وأكثر وفاء بأغراض هذه الدراسة وأهدافها .

* * *

(1) J. C. Merrill, " The Image of the United States in Ten Mexican Dailies ", Journalism Quarterly 30:2 (Spring 1962) : 203.

(2) السيد ياسين : الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر (بيروت : دار التنوير ، ط 3 ، 1983 م) ص 101 .

سمات الصورة النمطية وخصائصها

تتسم الصورة النمطية بسمة بارزة هي نزوعها إلى الثبات والتكرر دون تغير . ولذلك فإن الصورة النمطية لشخصٍ ما – كما يقول ميس – هي صورة ثابتة ، بالمقارنة مع الصورة التي تتغير تبعًا للظروف والملابسات الواقعية[1] .

ومن سمات الصورة النمطية أنها عبارة عن تعميمات مؤسسة على الشائعات أو الآراء التي لا تستند إلى براهين علمية تجريبية[2] ، ولذلك فهي تبنى على أوهام ، أو معلومات غير دقيقة ، أو خيالات ذاتية تكونت لدى الإنسان أو الجماعة من خلال التجارب السابقة والخبرات وعن طريق التلقّي من وسائل الاتصال والإعلام[3] . ومن طبيعة الصورة النمطية – على هذا الأساس – أنها محمّلة بالمشاعر الذاتية ، ومشحونة بالعواطف الشخصية التي يصعب تغييرها أو تفنيدها بسهولة ويسر[4] .

كما تتّصف الصورة النمطية بأنها لا تتطابق مع ما أسماه السيد ياسين الشخصية المِنْوالية (Model Personality) للجماعة التي صيغت عنها . ومعنى ذلك أن الذي يهيمن على الاتجاه السائد في الصورة النمطية عوامل وقوى اجتماعية ونفسية تحدث فعلها في مجال الحياة الاجتماعية لمن يعتنقونها . ويضرب السيد ياسين المَثَل لتوضيح هذه السمة بصورة العرب لدى اليهود فيقول : « إن الأفكار القومية النمطية لليهود الإسرائيليين عن العرب لا تتطابق مع الواقع من ناحية ، وتؤثر عليها

---

(1) C. A. Mace " National Stereotypes ..... Their Nature and Function ", The Sociological Review 23:1 and 2 (Jan. - April 1943) : 29.

(2) Sang - Chul Lee, " The American Image of Relations with Japan Projected in Three U.S. Dailies " Gazette 25 : (1979) : 31 .

(3) K.E. Boulding, The Image (Ann Arbor, ML : University of Michigan Press, 1956), PP. 5 - 6 -

(4) انظر : I. de Sola Pool, " Overview of Image Study in Comparative Popular Culture Seminar (Honolulu East - West Communication Center, July 29, 1976).

في نشأتها واستمرارها وتغيرها عوامل متشابكة ومتعددة سياسية واقتصادية واجتماعية لصيقة ببنية المجتمع الإسرائيلي من جهة ، ومتعلقة بتطورات الصراع العربي – الإسرائيلي من ناحية أخرى »[1] .

إن تكون الصور النمطية لدى الشعوب والأمم عن الآخرين عملية معقّدة تتشابك في صياغتها عوامل متعددة . كما أن هذه العملية تستغرق مدى زمنيا قد يمتد إلى أجيال عديدة . ولذلك فإن من الضرورة التعرفَ على كيفية تكون الصور النمطية في العقل الفردي والجماعي ، ومحاولة استكشاف العوامل التي تؤثر فيها والوسائل التي تساعد الفرد والجماعة على تكوين الصور النمطية في أذهانهم .

كيف تتكون الصور النمطية

يُعدّ الصحفي الأمريكي وولتر ليبمان أول من تناول موضوع الصورة النمطية في كتابه المشهور « الرأي العام » الذي نشر لأول مرة سنة 1922 م . وقد أشار ليبمان في كتابه إلى أن العالم الذي نعيش فيه لا يمكن الإحاطة به كله مباشرة عن طريق حواسنا المعروفة . لذلك يحتاج الإنسان منا إلى استكشاف هذا العالم عن طريق التصوّر والتخيل . فيتعلم – بحكم هذه الحقيقة – أن يرى بعقله وخياله جزءًا كبيرًا من هذا العالم الذي لا يستطيع أن يراه بعينه ، أو يلمسه بيده ، أو يدركه بحواسه الأخرى . وبذلك يبدأ الإنسان – تدريجيًا – في تكوين صور مقبولة لديه داخل عقله عن ذلك العالم الذي لا يدركه بحواسه .

ويقرر ليبمان أن هذه الصورة – أو الصور – الذهنية التي تتكون عن العالم الخارجي لدى الإنسان ، ما هي إلا تمثيل مبسط لبيئة غير حقيقية . وينتج هذا التمثيل بسبب ضيق الزمن الذي يمتلكه الإنسان في هذه الحياة من جهة ، ومحدودية الفرصة المتاحة له للتعرف الشخصي المباشر على حقائق العالم من حوله من جهة أخرى[2] .

---

(1) السيد ياسين : الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، مرجع سابق ، ص 131 .

(2) W. Lippman, Puplic Opinion (N.Y. Macmillan Co., 1922), PP.29,53.

ولذلك يمكن القول إن الإنسان يعيش في عالمين مختلفين ؛ أحدهما عالم قريب ، ولكنه صغير ومحدود ، هو محيطه المباشر الذي يستقي معلوماته عنه بنفسه مباشرة عن طريق حواسه التقليدية ، أما العالم الآخر فهو عالم بعيد ، ولكنه الأوسع والأرحب ، وهو ما لا يستطيع إدراكه مباشرة عن طريق الحواس ، فيلجأ إلى استقاء معلوماته عنه بوساطة وسائل النقل والاتصال والتفاعل الاجتماعي . وقد سمّى هاياكاوا هذا العالَم بـ « العالم المنقول (Reported world) في مقابل العالم المحسوس من قبل الإنسان مباشرة . وتتكون الصورة الذهنية لهذا العالم المنقول في مدى زمني يمتد عبر مراحل نمو الإنسان وتطوره »[1] .

والصورة النمطية – في مختلف شئون الحياة – خاصية واقعية من خصائص السيكولوجية البشرية ، كما يقول ف . أرتيموف[2] . ويرى أرتيموف أن « مضمون وتركيب التفكير والإدراك متعينان اجتماعيًا إلى حد كبير ، فالمفاهيم والتقويمات والمقولات « المقولبة » الراسخة في الوعي الاجتماعي هي جلطات مجمّعة للخبرة الاجتماعية العامة ، وانعكاس للصفات العامة المتكررة للظاهرة . وهذا ما يؤكد الطبيعة الواقعية للأنماط المقولبة . ولو لم يكن الإنسان حائزًا على القدرة على التعميم والتنميط القولبي لما استطاع الاهتداء في هذا السيل المتزايد باستمرار من المعلومات المتنوعة التي تزداد تعقيدًا وعمقًا . فهذه الإمكانية توفرها قدرة المخ على خلق نظرات معممة شاملة عن الظواهر والوقائع المتكونة على أساس خبرة الإنسان المسبقة ومعارفه ، وكذلك على أساس المعلومات الجديدة »[3] .

ويضيف أرتيموف أن درجة صدارة التقويمات التي يستخلصها الفرد من الصور النمطية المقولبة تتناسب طردًا مع المعرفة في ذلك المجال الذي أخذ منه النمط المقولب .

---

(1) S.I. Hayakawa, Language in Action (N.Y. Harcourt, Brace Co., 1939) P,21.

(2) انظر : ف . أرتيموف : « الطبيعة الموضوعية للأنماط المقولبة واستخدامها في الدعاية الإمبريالية » في : علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ، لمجموعة من علماء النفس . ترجمة نزار عيون السود ، (دمشق : دار دمشق للطباعة والنشر 1984) ، ص 112 .

(3) المرجع السابق ، ص 112 ، 113 .

ويضيف أن « من الأهمية بمكان معرفة المضمون الكامن وراء النمط المقولب ، ومدى عمق شموله للارتباطات المتبادلة الجوهرية للظواهر ، والسمات الرئيسة النموذجية للأحداث والأشخاص ، فإذا كانت هذه الارتباطات والسمات غير جوهرية وسطحية فإن النمط المقولب بعيد عن الحياة وهو نمط مقولب مزيف » .

« ومثل هذه الأنماط المقولبة سهلة النشوء والتكوين والاستيعاب لأنها تلتقط فقط أكثر الجوانب ظاهرية وجاذبية ، تلك التي تُحْدِث تأثيرًا خارجيًا وتضرب بشكل قوي على العواطف مسبّبة في وعي الناس رد فعل أكثر اندفاعًا » .

« وبالعكس ، فإذا كانت الارتباطات والصلات المجسَّدة في النمط المقولب جوهرية ومحدِدة لمواصفات الظواهر ، فهذا النمط المقولب هو نمط مقولب صادق . ومثل هذا النمط المقولب ينشأ بصورة أبطإ ويتشكل بمشاركة جهاز التفكير المنطقي . إن النمط المقولب الصادق يخدم كأساس لموقف الإنسان الواعي من الحياة وكبوصلة ثابتة أمينة في الطريق إلى الهدف المطابق لمصالح الناس وحاجاتهم »[1] .

إن تكوين الصور النمطية – إذن – ليس عيبًا بحدّ ذاته ، بل هو جزء من الطبيعة الإنسانية . ولذلك فإن الإنسان يسعى دائمًا إلى التصنيف النمطي للأشخاص والأشياء من حوله . ولهذا التصنيف النمطي وظائف نفسية إذ هو يحقق – كما يرى قدري حفني – ثلاثة أمور :

1 – أن التصنيف – بغض النظر عن مدى صحته – يحقق للفرد قدرًا كبيرًا من اقتصاد الجهد ، بما يقدمه له من أطر عامة جاهزة تكفل له التعامل مع الآخر ، بل والتنبؤ بسلوكه دون إمعان للنظر في خصائصه الفردية .

2 – أن التصنيف يضيّق – ولو بشكل زائف – من نطاق الجهل في تعامل الفرد مع الآخر ، وذلك بما يقدمه من معرفة مسبقة بما يمكن أن تكون عليه صورة الآخر خلال تعامله معه .

---

(1) المرجع السابق ، ص 114 - 115 .

3 – أن عملية التصنيف بما تتضمن من تعميم وتجريد واختزال إنما تحقق هدفًا أساسيًا من الأهداف التوافقية للعلم أو المعرفة الإنسانية بعامة[1] .

ولذلك يؤكد لنا دويجكر وفريجدا « أن من النادر القدرة على إنكار أن النمط الشائع له وظيفة . فهذه الأنماط تشترك مع غيرها من أنواع التعميمات في تحويل عالمنا إلى عالم أسهل وأكثر تنظيمًا . ولذلك فإنه من غير الواقعي رفض التفكير النمطي لأن هذا يعني رفضًا للتفكير نفسه »[2] .

وليس معنى ذلك أن الأنماط المقولبة جميعها تؤدي وظائف إيجابية للفرد والجماعة ، بل إن من هذه الأنماط ما هو صادق وواقعي ، وإن كانت نسبته أقل ، وما هو مزيف ومخالف للواقع ، وهو الأعم الغالب . وإذا كان التفكير النمطي ضرورة فإن ما ينبغي الاهتمام به والعناية بدراسته هو كيفية تكون الصور النمطية لدى الأفراد والجماعات والشعوب ومعرفة المصادر التي يستقي منها الفرد أو الجماعة معلوماتهم لتكوين هذه الصور النمطية وتقويم هذه المصادر ومدى تمثيلها للحقيقة والواقع .

وتتألف الصورة النمطية لدى الإنسان تجاه شخص أو شعب أو شيء معين – كما يرى سكوت – من ثلاثة عناصر مميزة ؛ أولها مجموعة الصفات المعرفية التي يستطيع الإنسان أن يدرك بها ذلك الشيء بطريقة عقلية ، وثانيها العنصر العاطفي المتعلق بالميل لذلك الشيء أو النفور منه ، أما العنصر الثالث فهو العنصر السلوكي الممثل في مجموعة الاستجابات العملية تجاه ذلك الشيء والتي يرى الشخص ملاءمتها له وفقًا للصفات التي أدركها في ذهنه عنه[3] .

---

(1) انظر : سلوى حسني العامري « تصورات المثقفين المصريين لخصائص بعض الجماعات القومية واتجاهاتهم نحو هذه الجماعات » رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب – جامعة عين شمس ، 1983 م .

(2) انظر : المرجع السابق .

(3) W.A. Scott,: " Psychological and Social Correlates of International Images, " **In H . C . Helman (ed) International Behavior** (N.Y. Holt, Rinehart and Winston, 1966) P. 62.

ولذلك فإن أهمية الصورة النمطية في حياة الإنسان لا تقتصر على كونها مجرد إدراك ذهني جامد للأشياء والأشخاص ، بل هي – في حقيقة الأمر – متصلة اتصالًا وثيقًا بالاتجاهات والمواقف والاستجابات العملية التي يتعامل بها الإنسان مع الأشياء والأشخاص من حوله في واقع الحياة . وبقدر ما تؤثر الصور النمطية – والتي هي عبارة عن قوالب جاهزة لا تستدعي الإجهاد الفكري – في إدراك الإنسان للأشياء والأشخاص فإنها تؤثر من جانب آخر في حكمها على تلك الأشياء وأولئك الأشخاص لأنها تشكّل جزءًا من إطارها الدلالي[1] .

ولذلك يؤكد بولدنج أن الكيفية التي يتصرف بها الإنسان تعتمد على الصورة الذهنية ، وأن أي تغيير يصيب الصورة يستتبع بالضرورة تغييرًا في السلوك . ومن ثم فإن طبيعة الصنور النمطية وكيفية تشكيلها والتغيير الذي يطرأ عليها يُعدّ – في نظر بولدنج – من الأمور الهامة التي يجب أن يهتم بها أولئك الذين يُعْنَون بمهمة التأثير في الرأي العام أو قياس اتجاهات الجماهير[2] .

دور وسائل الإعلام في تكوين الصور النمطية

تُعَدّ وسائل الإعلام – بمختلف أنواعها – من أهم القنوات التي تسهم في تكوين الصور النمطية في أذهان الناس . وتكتسب هذه الوسائل أهمية كبرى في مجال تكوين الصور النمطية في حياتنا المعاصرة بسبب انتشارها الواسع ، وامتدادها الأفقي والرأسي ، وقدرتها البالغة على الاستقطاب والإبهار ، واستيلائها الطاغي على أوقات الناس ، ومنافستها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى في مجال التأثير الجماهيري .

إنّ ما تبثّه وسائل الإعلام إلى جماهيرها من مواد إعلامية مختلفة هو بمثابة « النافذة » التي يطلّون منها على العالم من حولهم . ويكمن الهدف الرئيس لما تقدمه وسائل الإعلام إلى الناس – كما تقول تاكمان – في إخبارهم عما يريدون معرفته ، وعما يحتاجون إلى معرفته ، وعما ينبغي عليهم أن يعرفوه . وهذا التشبيه

(1) انظر : محمد علي العويني : الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق (القاهرة : عالم الكتب ، ط 2 ، 1407 هـ / 1987 م) ص 170 .

(2) انظر : K.E. Boulding. The Image, Op. cit. P.6.

المجازي للمادة الإعلامية التي تقدم إلى الناس بأنها « نافذة على العالم » يقتضي إدراك أن موقع هذه النافذة وحجمها وطريقة وضعها تؤثر جميعًا فيما يمكن أن يراه الناس من أجزاء هذا العالم وملامحه[1] .

وبذلك يمكن القول إن النسبة العظمى من الصور المتراكمة التي تتكون في أذهاننا عن العالم من حولنا إنما نستقيها – بالدرجة الأولى – من وسائل الإعلام المختلفة . بل إنه ليس من المبالغة في شيء أن نقرر أن وسائل الاتصال والإعلام هي التي تصنع لنا تلك الصور وتصوغها وتؤطرها بطريقتها الخاصة . إن وسائل الإعلام ، وهي تمارس وظيفة الإخبار ، لا تكتفي بمجرد الإشارة إلى الحدث بل تعمد إلى تفسيره وبلورته في صورة معينة . وبذلك فالأخبار لا تقدم الحقيقة ، وليست انعكاسًا لها ، وإنما هي نتيجة لسلسلة من العمليات المعقدة والاختيارات الواعية والمناقشات واتخاذ القرارات التي تؤثر – بطبيعة الحال – في اتجاهاتها وصياغتها وطريقة معالجتها للأحداث[2] .

ووفقًا لهذا المنظور يمكن النظر إلى وسائل الإعلام على أنها تخلق نوعًا من البيئة « الصورية » بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقي . « لقد أضافت وسائل الإعلام السرعة والشمول والانتشار إلى الدور التقليدي للاتصالات . ولذلك فإنه يُنْظَر إلى وسائل الإعلام أحيانًا على أنها تغلف الإنسان الحديث بنوع من الواقع البديل . ومن ناحية أخرى يُنْظَر إلى أجهزة الاعلام عمومًا – باعتبارها إحدى الوسائل التي تمارس عن طريقها المؤسسات الحاكمة الضبط الاجتماعي – على أنها ترسخ في الجمهور القيم والمعتقدات السائدة في الثقافة إلى حد أن يصبح المجتمع مهددًا بالركود الآسن . ولما كان النمط المقبول عمومًا لا يجد تحديًا فيُخشَى أن يسلك الناس بعضهم تجاه بعض

---

(1) انظر : G. Tuchman, Making News : A Study in Construction of Reality, (N.Y.: The Free Press, 1978), P.1.

(2) انظر : غازي زين عوض الله : العربي في الصحافة الأمريكية (جدة : تهامة ، 1406 هـ / 1985 م) ص 38 .

بطريقة تكاد تكون طقسية ، وأن تصبح حياتهم ومؤسساتهم متحجّرة »[1].

ويؤكد الدور الفاعل لوسائل الإعلام في تكوين الصور النمطية لدى الأفراد والجماعات حماد إبراهيم حامد في دراسته عن صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الصحافة المصرية بإبراز النقاط التالية :

١ – إن الوسائل الإعلامية أصبحت في عصرنا مصدرًا يستقي منه الفرد معلوماته ومعارفه عن العالم المحيط . وقد كان ذلك أحد الموضوعات التي شغلت المهتمين بقضايا الإعلام في دول مختلفة ، ففي دراسة أجريت عام 1977 م على العينة القومية الأمريكية تبين أن 95 ٪ من أفراد العينة أجابوا عن السؤال : من أين حصلت على معلوماتك حول ما يدور في العالم ؟ بأنهم حصلوا عليها من وسائل الإعلام .

٢ – إن وسائل الاعلام لم تَعُدْ أدوات لنقل المعلومات ولكنها أصبحت أدوات لتوجيه الأفراد والجماعات وتكوين مواقفهم الفكرية والاجتماعية . ولذلك فإن ما يقرب من 70 ٪ من الصورة التي يبنيها الإنسان لعالمه مستمدة من وسائل الإعلام المختلفة . ومما يعزّز دور وسائل الإعلام في هذا المجال أنها تسهم بدور أساسي في خلق وتكوين ما يسمى بـ « بيئة الرأي » .

٣ – إن وسائل الإعلام قد دخلت مرحلة جديدة يسودها التنافس الشديد بينها وبين المؤسسات التعليمية فيما يتعلق بالدور التربوي والأثر التعليمي الذي يمثّل نتاجًا لجميع مظاهر الإنتاج الثقافي أو الفكري التي تتولى نشرها بين الجماهير على اختلاف فئاتها بدءًا بالأطفال ومرورًا بالشباب وانتهاء بكبار السن من الجنسين[2].

---

(1) وليام . ل . ريفرز وزملاؤه : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث ، ترجمة د . إبراهيم إمام ، (القاهرة : دار المعرفة ، 1975) ، ص 43 .

(2) انظر : حماد إبراهيم حامد : « صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الصحافة المصرية اليومية : دراسة مقارنة بين حقبتي الستينيات والسبعينيات » رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام بجامعة القاهرة ، 1986 م ، ص 1 - 2 .

وتحدّد سهير بركات ما تقوم به وسائل الإعلام في مجال صنع وترويج وتطوير الصور النمطية (المنطبعة) في قدرة هذه الوسائل على أن تكون الامتداد الطبيعي لأبصارنا وأسماعنا – كما يقول مارشال مكلوهان – وتختلف الرسائل التي تبثها وسائل الإعلام عن تلك التي يتلقاها المرء من الطبيعة مباشرة في أن الرسائل الإعلامية هي « رسائل مصوغة » فهي تعتمد على عُرف اجتماعي معين كاللغة مثلًا . وتتميز هذه الرسائل المصوغة بأنها تتصف بالإحكام والتركيز والبعد عن الإسهاب .

وتضيف بأن دور وسائل الإعلام لا يقف عند صنع الصور المنطبعة والأنماط لدى جماهيرها ، بل إنها تقوم بتضخيم هذه الصور بدرجة كبيرة وبطبعها بقوة في أذهانهم إلى الحد الذي يشعر فيه المتلقي أنه التقى فعلًا بالشخصيات التي تتناولها وسائل الإعلام . كما أن وسائل الإعلام – في نظر سهير بركات – تقوم بدور هام في تطوير الصور الذهنية وتغييرها . فثورة المعلومات التي نعيشها اليوم ، والتي أدت إلى زيادة هائلة في قدر ونوع المعلومات المتداولة تضع ضغوطًا مستمرة على الفرد ليجدد ويغيّر صوره المختزنة ليجعلها على مستوى آخر ما توصلت إليه المعرفة المتاحة في المجتمع ، لكي يستطيع أن يؤدي دوره فيه . وتقوم وسائل الإعلام في هذا الصدد بتبسيط المعارف الجديدة وتقديمها للجمهور بجرعات سهلة الهضم[1] .

الصور النمطية في دراسات الإعلام الدولي

يركز الباحثون في مجال الإعلام الدولي اهتمامهم على الجانب المتعلق بما أسميناه بـ « الصور النمطية القومية » ، ويبدو أن أول إشارة إلى تأثير الصور النمطية في مجال الإعلام الدولي قد وردت في الشكوى الغاضبة التي أطلقها مدير عام وكالة أسيوشيتدبرس الأمريكية « كنت كوبر » في النصف الأول من هذا القرن الميلادي ، والتي اتهم فيها وكالات الأنباء الأوربية الثلاث رويتر وهافاس ووولف باحتكار الأنباء وتشويه صورة المجتمع الأمريكي . وكانت وكالة أسيوشيتدبرس

(1) انظر : سهير بركات : « الإعلام وظاهرة الصورة المنطبعة » مجلة العلوم الاجتماعية (الكويت) ، العدد 1 / 8 (1980 م) ، ص 103 - 120 .

قد وقّعت عام 1893 م عقدًا مع الوكالات الثلاث تنازلت بموجبه عن حقها في توزيع الأخبار خارج الولايات المتحدة في مقابل إطلاق حريتها في الحصول على الأخبار الأجنبية من الوكالات الثلاث وتوزيعها داخل الولايات المتحدة .

غير أن كوبر شن حملة عنيفة ضد الوكالات الثلاث واتهمها بأنها صورت الولايات المتحدة في صورة بلد غارق في الصراعات العنصرية ، وبأنها أكبر مسرح لحوادث القطارات والعواصف والفيضانات والجريمة . وقال كوبر إن هذه الوكالات لم تنقل شيئًا عن الولايات المتحدة يمكن أن يجمّل صورتها وأن « الروح الوثابة للأمة الأمريكية لم تظفر بحقها من العرض » ، وأكد أن الوكالات الثلاث – بحكم احتكارها للأخبار الدولية – أصبح لديها « الصلاحية لتحديد ما يسمح به من معرفة لكل شعب عن الشعوب الأخرى واختيار ظلال المعاني التي يقدمون بها هذه المعرفة » . وادعى « أن الاتجاهات الدولية قد تبلورت من سلسلة الانطباعات والانحيازات التي أثارتها وكالات الأنباء »[1] .

ومن حكمة الأقدار أن التاريخ يعيد نفسه اليوم ولكن مع تبدّل أطراف هذه القضية ، فإذا كانت الولايات المتحدة قد وقفت بالأمس في موقف المظلوم المشتكي فإنها تقف اليوم في موقف الظالم المشتكى منه ، إذ تحتكر كثيرًا من قنوات التدفق الإخباري ، وتتحكم في صنع الصور النمطية السيئة عن الأمم والشعوب الأخرى . وتقف دول العالم الثالث في موقف المظلوم المشتكي الذي يطالب بحقوقه في إيجاد نظام إعلامي جديد يكفل تدفقًا إخباريًا متوازنًا بين الشمال والجنوب !

أما في ميدان البحث العلمي فتعدّ دراسة كاتز وبرالي[2] التي نشرت عام 1933 م من أوائل الدراسات الميدانية في مجال الصورة النمطية للشعوب . وقد تبعتها

---

(1) انظر : د . ر . مانكيكان – تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية ، ترجمة فايق فهيم ، (الرياض : دار العلوم 1402 هـ / 1982 م) ، ص 17 - 20 .

(2) D. Katz and K.W. Braly, " Racial Stereotypes of 100 College Students ", **Journal of Abnormal and Social Psychology** (28 March - April - 1933-1934) : 280 - 290 .

دراسات ميدانية أخرى نذكر منها دراسات كل من كير (1943 م)[1] وإيزنك وكراون (1948 م)[2] وجلبرت (1951 م)[3] وجراهام (1951 م)[4] .

وقد كانت معظم هذه الدراسات الميدانية المبكرة مقتصرة على المجتمع الأمريكي بوجه خاص ، كما أنها كانت تتناول شرائح محدودة من فئات ذلك المجتمع مثل طلاب الجامعات ونحوهم . كما كان تركيز أغلب تلك الدراسات على الجوانب النفسية والاجتماعية في تكوين الصور النمطية في أذهان الناس .

وتعد دراسة بوكانان وكانتريل (1953 م) بعنوان « كيف ترى الشعوب بعضها بعضًا » أول دراسة موسعة في مجال الصور النمطية القومية ، فقد قام الباحثان باستطلاع آراء أكثر من 12 ألف شخص في تسع دول مختلفة لمعرفة الصور النمطية التي يحملها هؤلاء الأشخاص عن الدول التسع التي ينتمون إليها . وقد أكدت نتائج هذه الدراسة أن الناس عادةً ما يمتدحون بلدانهم ، ويُضْفُون على شعوبهم التي ينتمون إليها صفات إيجابية مبالغًا فيها . كما أشارت الدراسة إلى أن طبيعة الصور النمطية ، سلبية كانت أو إيجابية ، إنما تدل على نوع العلاقات القائمة بين الشعوب عداء ووفاقًا[5] .

ويمكننا من خلال استعراضنا لمجموعة من الدراسات الإعلامية الأمريكية الميدانية حول الصور النمطية أن نصنّف تلك الدراسات إلى ثلاث فئات هي :

---

(1) M. Kerr " An Experimental Investigation of National Stereotype" **The Sociological Review** 34 : 182 (Jan .- Ap. 1943) : 37-44.

(2) H. Eysenck and C. Crown, " National Stereotypes : An Experimental and Methodological Study " **Internationl Journal of Opinion and Attitude Research** 2 (Spring 1948) : 26 - 39.

(3) G.M. Gilbert, " Stereotype Persistance and Change Among Colllege Students " **The Journal Abnormal and Social Psychology** 46 : 2 (April 1951) : 245 - 254.

(4) M. Graham, " An Experiment in International Attitude Research ". **UNESCO International Social Science Bulletin** 3 : 3 (Autum 1951) : 529 - 539.

(5) W. Buchanan and M. Cantril, **How Nations See Each Other ?** (Urbana, Ill. : University of Illinois Press, 1953)

أ – الدراسات التي تتناول الصور النمطية القومية لدول أو شعوب معينة في وسائل الإعلام .

ب– الدراسات التي تستكشف الصور النمطية لقيمٍ أو مفاهيم حضارية معينة ومدى اختلافها بين أفرادٍ أو جماعاتٍ ينتمون إلى حضارات وثقافات متباينة .

ج – الدراسات التي تعرض الصور النمطية للعالم الثالث ؛ أخباره وقضاياه ومفاهيمه وتقاليد شعوبه في مرآة الإعلام الغربي .

وليس من أهداف هذه الدراسة أن نتناول فيها جميع الدراسات التي تنتمي إلى هذه الفئات الثلاث . ومن ثمَّ فإننا سنكتفي في الصفحات التالية بعرض نماذج منها لنتعرف على بعض معالم الصور النمطية للشعوب في وسائل الإعلام . ولن نتعرض هنا للصور النمطية للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي إذ ستكون هذه الصور موضوع الفصل الثالث من هذه الدراسة .

لقد قام ميريل (1962 م) بإجراء تحليل لمضمون عشر صحف يومية مكسيكية لمعرفة صورة الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الصحف . وقد دلت نتائج الدراسة على أن الصحافة المكسيكية تصوّر أمريكا مجتمعًا يتصف مواطنوه بالنزوع إلى القيم النفعية والامتلاء بفلسفة النجاح .

كما أن الأمريكيين – في نظر الصحف المكسيكية – أناس ماديون لا يبالون كثيرًا بالقيم الدينية أو الجوانب الجمالية الفنية في الحياة[1] .

وتعدّ دراسة وولف (1964 م) عن صورة الولايات المتحدة في صحافة دول أمريكا اللاتينية أشمل من دراسة ميريل إذ إنها تناولت بالتحليل عشرين صحيفة في أمريكا اللاتينية . وقد لخص وولف معالم الصورة النمطية للولايات المتحدة في صحافة أمريكا اللاتينية في أن الولايات المتحدة هي زعيمة العالم ، والقوة المناهضة للسوفييت ، والمسئولة عن العزلة النسبية لأمريكا اللاتينية . وهي تجمع بين صفتي الإمبريالية التوسعية والسخاء الأمريكي !! كما أن الصورة الأمريكية لها جوانب أخرى

---

(1) J.C. Merrill, " The Image of the United States",.. Op. Cit.

كاهتمام المجتمع الأمريكي – الشديد – بالتسلية والترفيه بالإضافة إلى خوائه في المشاعر الداخلية والفنون والآداب والفلسفة[1]!!!

وفي سنة 1979 م نشر سانج – لي دراسته عن تحليل مضمون ثلاث صحف أمريكية وهي نيويورك تايمز ، ولوس أنجلس تايمز ، وشيكاغو تربيون لمعرفة حجم أخبار اليابان ومضمونها واتجاهاتها في الصحافة الأمريكية .

وقد وجد الباحث أن الجانب الاقتصادي قد طغى على تغطية الصحافة الأمريكية لليابان ، أما الجوانب السياسية والدفاعية والعلاقات الخارجية فلم تحظَ بتغطية كافية . كما أن أخبار العنف والاضطرابات والقلاقل لاقت اهتمامًا أكبر من الصحافة الأمريكية قياسًا إلى الأخبار الإيجابية[2] .

أما الدراسات التي تناولت التدفق الإخباري واختلاله بين دول الشمال والجنوب ، فهي كثيرة ومتعددة . ويعدّ تشويه صورة دول العالم الثالث وشعوبه أهم مظاهر الاختلال الإخباري الدولي . ويمكننا – رغبةً في الاختصار – أن نشير إلى عدد من تلك الدراسات ؛ فمنها دراسة هستر (1971 م) بعنوان « تحليل للتدفق الإخباري بين الدول المتقدمة والدول النامية »[3] ، ودراسة جولدنج وإليوت (1974 م) عن صورة العالم الثالث في الصحافة البريطانية[4] ، ودراسة تاتاريان (1977 م) عن التدفق الإخباري في العالم الثالث[5] ، ودراسة جربنر وماروانى

---

(1) W. Wolfe, " The Image of The United States in the Latin American Press ", **Journalism Quarterly** 41 (1964) : 79 - 86.

(2) Sang Chu Lee, " The American Image of Relations with Japan Projectsin Tree U.S. Dailies ", Op. Cit.

(3) Al Hester, " An Analysis of News Flow From Developed and Developing Countries ", **Gazett** 17 : 1 (1971) .

(4) P. Golding and P. Elliot, " Mass Communication and Social Change ", in E. de Kadt and G. Williams (eds) **Sociology and Development** (London : Tavistock, 1974) .

(5) R. Tattarian, " News Flow in The Third World : Some Problems and Proposals ", Paper presented at the conference on " Third World and Press Freedom ", Fletcher School of Low and Diplomacy, N.Y, 1977.

(1977 م) عن العوالم المتعددة لصحافة العالم[1]. ودراسة وِيفر وَوِلْ هويت (1981 م) عن تغطية الأخبار الخارجية في الوكالتين الأمريكيتين[2] .

وتدلّ نتائج هذه الدراسات التي تناولت تغطية وسائل الإعلام الغربي للعالم الثالث ، دولًا ومجتمعات ، وخصوصًا ما تبثه وكالات الأنباء الأربع الرئيسة وهي رويتر ووكالة الصحافة الفرنسية وأسيوشيتد برس ويونايتد برس إنترناشيونال ، على أن تلك الوسائل تعمد إلى الإثارة في تغطيتها الإعلامية كما تميل إلى إبراز الجوانب السلبية لدول ومجتمعات العالم الثالث ، حتى قال تاتاريان « إن وسائل الإعلام الغربي تعطي أهمية أكبر للعالم الثالث في أوقات الأزمات والنكبات والصراعات »[3] .

وقد أكّد هذا المعنى أحد خبراء الإعلام في الدول النامية وهو ناريندر آجاروالا ، في مؤتمر دولي عن « العالم الثالث وحرية الصحافة » في عام 1977 م حيث قال : « إن أكثرية أخبار العالم الثالث في الإعلام الغربي ذات سمة سلبية ، وهي تركز على ما يتعلق بالعجز والمجاعة والكوارث الطبيعية والصراعات السياسية والعسكرية »[4] .

ولا شك أن هذه التغطية الغربية المشوهة لدول العالم الثالث وشعوبه وقضاياه تسهم بدور كبير في تكوين صور نمطية سيئة لهذه الدول والشعوب في أذهان الأفراد والجماعات وصانعي القرار في المجتمعات الغربية . وتشتد خطورة هذه المشكلة عندما ندرك أن وسائل الإعلام الغربي تسيطر على قنوات التدفق الإعلامي في العالم ، مما ينتج عنه قدرة هذه الوكالات والوسائل على ترويج هذه الصورة النمطية السيئة في المجتمعات الأخرى والعمل على ترسيخها في أذهان الناس في كل مكان .

---

(1) G. Gerbner and G. Maravany, " The Many Worlds of the World's Press ", **Journal of Communication** 27 : 1 (1977) .

(2) D. Weaver and G. Wilhoit, " Foreign News Coverage in Two U.S. Wire Services ", **Journal of Communication** 31 : 2 (1981) .

(3) R. Tattarian, " News Flow in the Third World " Op. Cit.

(4) N. Aggarwala, " Third World News Agency ", Paper Presented at the Conference on The Third World and Press , 1977.



الفصل الثاني

□ التطـور التأريخي للصـور النمطيـة للإسلام والعرب فـي التـراث الغربـي

تعود جذور الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب في العقل الغربي إلى بداية العلاقة التي نشأت وتطورت بين الإسلام والمسيحية خلال القرون الأولى لظهور الدين الإسلامي . وقد تكونت خلال القرون الممتدة من القرنين الثامن إلى الثاني عشر الميلاديين صور أسطورية مزيفة عن الإسلام والعرب ظلت مهيمنة على العقل الغربي حتى وقتنا الحاضر . لقد كان الأدب الشعبي للبيزنطيين الذين كانوا يتصارعون مع المسلمين كل يوم تقريبًا طوال ثلاثة قرون « يزعم أن المسلمين يعبدون ثلاثين إلـٰهًا أكبرهم (مخومد) ... (وكان) الرهبان الإسبان الذين عاشوا بين المسلمين يزعمون في القرن التاسع أن النبي هو المسيح الدجال ، بمعنى أن القيامة ستقوم بعد أن يظهر مباشرة .. والغريب أن الحروب الصليبية لم تغير من الأمر شيئًا كثيرًا إذ إن الأساطير ظلت منتشرة وازدادت عددًا وتلوينًا ...»[1] .

ومع حلول العصر الحديث كانت القوة الإسلامية العثمانية تدك معاقل أوربا حتى وصل السلطان محمد الفاتح إلى قلب أوربا وحاصر مدينة فينا بالنمسا ، وأضاف إلى دولته أجزاء من أوربا مثل ألبانيا ويوغسلافيا واليونان وغيرها . وقد أدى ذلك إلى تعميق الشعور الغربي بأن الإسلام يمثل تهديدًا خطيرًا لوجوده وكينونته . وما تزال بعض الرموز المادية المحسوسة كالحصون والقلاع التي بناها الغربيون لحماية أنفسهم من الغزو الإسلامي ماثلة للعيان لتذكيرهم بجذور تلك العلاقة المتنافرة بينهم وبين الشرق الإسلامي ، حتى إن مدينة فينا احتفلت في شهر مارس من العام 1983 م بالذكرى الثلاثمائة لتراجع الأتراك العثمانيين أمام أبوابها .

إن تحليل تاريخ العلاقة بين العرب والمسلمين من جهة وبين الغرب المسيحي من جهة أخرى يمثل جانبًا هامًا من جوانب الدراسة العلمية لطبيعة الصور النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب وكيفية تكونها في العقل الغربي عبر الأيام . وقد لخص السيد ياسين في كتابه « الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر » تطور

---

(1) انظر : رضوان السيد : الإسلام المعاصر : نظرات في الحاضر والمستقبل (بيروت : دار العلوم العربية ، 1407 هـ / 1986 م) ، ص 100 - 101 .

هذه العلاقة التاريخية والحضارية في أربع مراحل هي :

1 – مرحلة الغزو العربي الذي تم في القرنين السابع والثامن أساسًا والذي تمثل في عبور الجيوش العربية البحر الأبيض المتوسط ، واحتلال الأندلس والنفاذ حتى أعماق فرنسا ، إلى أن صُدَّ الغزو فظل العرب لمدة ستة قرون في الأندلس حيث أغرقت اللغة والحضارة العربية أوربا .

2 – مرحلة الحروب الصليبية (من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر) التي اتخذت الصليب شعارًا لها ، وخلاص الأرض المقدسة هدفًا تسعى لتحقيقه . وقد كانت هذه الحروب في الواقع – في جانب منها – ضربًا من ضروب أخذ الثأر لأوربا من العرب .

3 – مرحلة الغزو الاستعماري (الذي بدأ منذ بدايات القرن التاسع عشر وامتد حتى النصف الثاني من القرن العشرين) الذي سمح للأوربيين ، وبوجه خاص للفرنسيين والإنجليز والإيطاليين ، باحتلال كل العالم العربي الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط وباستغلاله بصورة استعمارية .

4 – مرحلة ما بعد الاستعمار التي يتقابل فيها الأوربيون والعرب منذ فترة قصيرة والتي يظهر فيها كل طرف باعتباره حرًا ، وله حقوق مثل ما للآخر تمامًا[1] .

ويرى السيد ياسين أن صورة العرب في كل مرحلة من هذه المراحل كانت تتأثر بطبيعة العلاقة بين أوربا والعرب قوة وضعفًا ؛ ففي مرحلة الغزو العربي كانت معرفة الأوربيين بالعرب محدودة . وكانت « العلاقات تتسم بطابع عدائي فقد نظرت أوربا إلى العرب باعتبارهم شعبًا غازيًا خرج من الجزيرة العربية مبشرًا بدين مغاير لدينهم ، وناشرًا لحضارة جديدة ، ومن هنا وقفت أوربا من العرب في هذه المرحلة موقف الدفاع عن دينها وحضارتها وجماع كيانها ، ولذلك سادت صورة عدائية عن العرب في العالم الأوربي »[2] .

---

(1) السيد ياسين : الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، مرجع سابق ، ص 70 . 73

(2) المرجع السابق ، ص 70 .

أما في مرحلة الحروب الصليبية فقد كانت كفة العرب هي الراجحة ، واتسمت الصورة الأوربية عن العرب بشيء من الاعتدال ، « فقد تعرف الأوربيون على الجوانب الإيجابية في الحضارة العربية »[1] غير أنه – كما يقول السيد ياسين – « مع رجحان الميزان لصالح الأوربيين في النهاية لابد أنه قد أثر بالضرورة على تقييم الأوربيين للعرب ، بعبارة أخرى سادت اتجاهات المنتصر على المهزوم ، بما يصاحب ذلك من الحط من شأنه ، خصوصًا أن العالم العربي كان قد دخل في مرحلة التخلف الحضاري »[2] .

وفي مرحلة الغزو الاستعماري تبلورت في أوربا النزعة العنصرية ضد العرب . ولم يقنع الغرب – كما يقول السيد ياسين – « بالترويج لصورة مزيفة عن العرب تتسم بالإجمال ، بل إنه حرص – عن طريق فلاسفته وعلمائه الاجتماعيين – على رسم صورة تفصيلية تركز على قصور العرب وتخلفهم . وفي هذه الصورة سنجد عديدًا من الأحكام ، من بينها ما قرره جورج ديهاميل – عضو الأكاديمية الفرنسية – في كتابه « حضارة فرنسا » من أن « الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبي وعن تجاوز الذات »[3] .

ورغم أن مرحلة ما بعد الاستعمار تتسم في ظاهرها بالعلاقات السليمة وصور التبادل بكل أنواعها بين العرب والغربيين إلا أن ذلك ليس إلا صورة ظاهرية – كما يقرر السيد ياسين – أما « الحقيقة فهي أن الغرب قد استطاع أن يبقي له رأس حربة في المنطقة ، ممثلة في (إسرائيل) مدعومة بالولايات المتحدة الأمريكية »[4] ويخلص السيد ياسين إلى القول بأنه « باستثناء الحقبة المعاصرة ، وجد العرب والأوربيون أنفسهم دائمًا في علاقة عداوة مباشرة »[5] .

---

(1) المرجع السابق ، ص 70 .

(2) المرجع السابق ، ص 71 .

(3) المرجع السابق ، ص 73 .

(4) المرجع السابق ، ص 73 .

(5) المرجع السابق ، ص 73 .

ويبدو لنا أن تحليل السيد ياسين لتطور العلاقة بين العرب والغرب وصلتها بالصورة النمطية للعرب في العقل الغربي يمتلك رصيدًا كبيرًا من الواقعية . وهو تحليل – رغم إيجازه – يفضي بنا إلى الاعتقاد بأن الغرب – في المراحل المختلفة التي مرت بها علاقته بالإسلام والعرب – لم يحاول أن يعرف الإسلام على حقيقته . وبذلك لم يستطع أن يبلور صورة حقيقية وواقعية عن الإسلام والعرب ، ومن ثمَّ فقد عاش حتى يومنا الحاضر يجتر الصورة النمطية السيئة التي رسمها اللاهوتيون للإسلام والعرب منذ بداية علاقة الغرب بهما في القرون الوسطى . ورغم اختلاف وتنوع الأساليب التي صيغت بها تلك الصورة النمطية في العقل الغربي ، وتعدد وتشعب الوسائل التي استخدمت لترسيخ تلك الصورة إلا أنها حافظت عل معالمها الرئيسة واستطاعت أن تتجاوز مختلف الظروف والملابسات وتصمد في وجه العديد من التغيرات التي حدثت في العلاقة بين الغرب والعرب على مر العصور . وهذا – ولا شك – يضعنا أمام ظاهرة إنسانية فريدة من نوعها .

وتأسيسًا على تحليل السيد ياسين لتطور العلاقة بين الغرب والعرب وصلتها بالصورة النمطية التي انطبعت في العقل الغربي عن الإسلام والعرب فإننا سنتناول – في هذا الفصل – تطور الصورة النمطية – بشكل أكثر تحديدًا – من خلال أربع مراحل متعاقبة . ولابد أن ننبه – قبل الخوض في معالم هذه المراحل وسماتها – أن هذه المراحل ليست منفصلة بعضها عن بعض ، بل هي متداخلة ومتشابكة ، إذ لا نستطيع أن نضع حدودًا زمنية دقيقة تفصل بينها . ولكننا – في الوقت نفسه – نعتقد أن لكل مرحلة من هذه المراحل بعض المعالم الرئيسة التي تميزها عن غيرها سواء في طبيعة الصورة النمطية التي تكونت فيها ، أو في الأساليب التي صيغت بها ، أو الوسائل التي سخرت لنشرها والترويج لها . وهذه المراحل الأربع هي :

1 – مرحلة القرون الوسطى منذ بدء الفتوحات العربية الإسلامية خارج حدود الجزيرة العربية إلى قرب وقوع الحروب الصليبية .

2 – مرحلة الحروب الصليبية وما بعدها منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي إلى تحلّل القوة الإسلامية وظهور النزعات الاستعمارية في المجتمعات الغربية .

3 – مرحلة الغزو الاستشراقي مع بداية نشوء حركة الاستشراق التي كانت تمهيدًا للمد الاستعماري الغربي إلى فترة حصول الدول العربية والإسلامية على الاستقلال .

4 – المرحلة المعاصرة التي أعقبت خروج الاستعمار العسكري والسياسي من العالم العربي والإسلامي . وهي مرحلة تميزت عن غيرها من المراحل باشتداد هجمات الغزو الفكري والثقافي على المجتمعات الإسلامية وتنوع أدواتها وازدياد اعتماد الغرب على سيطرته الإعلامية في العالم لتحقيق أهدافه في تشويه صورة الإسلام والعرب داخل مجتمعاته المحلية وخارجها .

وسنتناول فيما يلي بشيء من التفصيل بعض معالم العلاقة بين الغرب والإسلام والعرب وتطور الصورة النمطية لهما في كل مرحلة من المراحل الأربع .

صورة الإسلام والعرب في القرون الوسطى

تنامت بذور العداء المسيحي للإسلام والعرب مع الفتوحات العربية الإسلامية لبيزنطة وأوربا خلال القرنين الثامن والعاشر الميلاديين عندما تجاوزت الجيوش العربية الإسلامية بيزنطة لتصل إلى إسبانيا وجنوب إيطاليا والغال الجنوبي . ومن هذه التجربة الأصلية للغزو الغربي سيستمد الوعي الغربي في القرون الوسطى – كما يقول هشام جعيط – « الأسس الانفعالية لتمثله الإسلام ، ذلك التمثّل المجبول أساسًا بالعداوة »[1] .

ويتناول دانيال نورمان في كتابه (الإسلام والغرب) أساس التصور الغربي للإسلام حيث يقول : « كان الحس الأوربي المسيحي الوسيط مشبعًا بترقب يوم القيامة . وكانت كتابات آباء الكنيسة المستندة إلى بعض نذر العهد القديم وإنجيل يوحنا قد حددت أمائر لذلك ، رأى الشراح واللاهوتيون منذ القرن التاسع الميلادي أن النبي محمدًا والإسلام يدخلان فيها . وهكذا فقد بدأ النظر منذ حقبة مبكرة

---

(1) هشام جعيط : أوروبا والإسلام (بيروت : دار الحقيقة) ، (1980 م) ، ص 18 .

إلى النبي محمد باعتباره المسيح الدجال ، الأمارة الرئيسة لليوم الآخر ، وكانت انتصارات الإسلام « الدنيوية » تغذّي هذا التصور الأولي للمسيح الدجال ، وتجعل من غير المعقول معقولًا »[1] .

ويتفق ريتشارد سوذرن مع نورمان في التقرير بأن المصدر الذي استقى منه الغربيون تصورهم عن الإسلام هو كتبهم المقدسة حيث يقول : « إن جهود المؤلفين اللاتين فيما يتصل بالإسلام في هذه الحقبة (وهي الفترة ما بين 700 م و1100 م) قد انحصرت في استنطاق الكتاب المقدس لمعرفة أصول السرازانيين[*] هؤلاء ضمن مدارج السلالات في العهد القديم ولمعرفة مكانهم بين شعوب العالم ودياناته ... فالكتاب المقدس كان الأداة الفكرية الوحيدة الفعالة في أوربا مطالع القرون الوسطى . وما كان بوسع المؤلفين اللاتين أن يتجاهلوا كلام العهد القديم عن الماضي والمستقبل ، مهما كان هذا الكلام غامضًا أو غير معقول » . ويضيف سوذرن بأن الكتاب المقدس قد أسهم « في صياغة مفهوم الأوربيين للعالم والتاريخ ، وكان هؤلاء يصغون إليه ويتلمسون في نصوصه حلولًا لمشكلات العالم في الماضي والحاضر والمستقبل ، رغم أن سلالهم كانت تعود غالبًا فارغة »[2] .

ويستشهد سوذرن على التصور اللاهوتي للعرب بما أورده « بدا » العالم الكبير بنصوص الكتاب المقدس في مطالع القرون الوسطى الأوربية والذي ظلت كتبه العمدة في بابها حتى القرن الثاني عشر الميلادي . إن « بدا » يذكر في عدة مواطن من شروحه أن « السرازانيين هم أعقاب هاجر زوج إبراهيم المصرية التي ترد قصتها في سفر التكوين ضمن قصة إبراهيم .. وذكر العهد القديم عن إسماعيل أنه كان بدويًا شرسًا رافعًا يده على الجميع » . ويعلق سوذرن على هذا التصور قائلًا : « فهل هناك ما يمكن وصف السرازانيين به أدق مما وُصفَ به جدهم

---

(1) انظر : مقدمة رضوان السيد لكتاب ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى (بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1984 م) ، ص 11 .

(*) المقصود بهم أعقاب إسماعيل – عليه السلام – كما سيأتي بعد قليل .

(٢) ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص 50 .

إسماعيل ؟! وما كان إسماعيل داخل العهد – كذلك هم السرازانيون . وهكذا فإنه في ضوء العهد القديم الذي جُعِلَ فيه المسلمون أعقابًا لإسماعيل أمكن فهم أخلاق وسلوك هؤلاء . وما كان « بدا » أول من فعل ذلك ؛ كما لم يكن الأخير ، بيد أن أهمية ما قام به تكمن في أنه أول من أدخل المسلمين في تفسير العهد القديم . وصار الأمر بعده بمثابة (كليشيه) يستعمله الجميع في شروح الكتاب المقدس وخارجها »[1] .

ويرى سوذرن أن أكثر أخبار وأفكار الأوربيين عن المسلمين في القرون الأولى للعصور الوسطى إسبانية المنشإ ويؤكد أن ردة فعل الإسبان على الإسلام اتسمت بالعداء العاطفي الشديد في فترتين ؛ الأولى في القرن التاسع والأخيرة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . أما القرون الواقعة بين التاسع والخامس عشر فتحفل بالانفعال وتصوير الإسلام ، لكن الانطباع العام لدى المسيحيين الإسبان عن الإسلام يبقى معقولًا وهادئًا ، بل وإيجابيًا إلى حد ما . ويعلل سوذرن ذلك بقوله : « ويمكننا فهم ردتي الفعل العنيفتين في البداية والنهاية من خلال وضعهما في السياق العام لحركية الأحداث وأثرهما على السكان الأصليين للأندلس » ؛ فلقد كانت الحضارة الإسلامية ذات اللسان العربي تنمو وتزدهر في هذه الحقبة من الزمان ، « وتحقق إنجازات عبقرية في الأندلس في المجالات كلها ، وكانت كثرة الإسبان المسيحيين تشارك في الاستمتاع بميزات هذه الحضارة ومنجزاتها . ولم يكن منتظرًا – والحالة هذه – أن تنشأ موجات من عدم الرضا بين الإسبان بمواجهة العرب والمسلمين . ولم ينفرد المسيحيون الإسبان بموقف التسليم والمشاركة هذا ، بل انتشر هذا الإحساس بين المجموعات غير المسلمة في كل الأقطار التي ضرب فيها الإسلام بجذوره »[2] .

ولكنَّ كثيرًا من رجالات الغرب المسيحي كانوا يرقبون بقلق – كما يقول سوذرن – « كيف تؤثر القيم الإسلامية على القيم المسيحية تأثيرًا تدميريًا عندما

(1) المرجع السابق ، ص 51 - 53 .

(2) المرجع السابق ، ص 57 .

تواجهها . وقد رأى اللاهوتيون الغربيون فيما بعد أن حماية المسيحية من الإسلام لا تكون إلا بضربه عسكريًا والاستيلاء على أرضه ، أو إقناع معتنقيه باتخاذ المسيحية دينًا »[1] وقد تزعم باول الفاروس الحملة ضد الإسلام عندما ألف كتابًا جدليًا ضد الإسلام هاجم فيه المسيحيين الذين دعوا إلى الاعتدال والتأني ، وكانوا كثرة كاثرة بين الإسبان – كما يعترف هو نفسه . وقد رأى الفاروس في بعض الفِقَر التي وردت في سفر دانيال بالعهد القديم إيضاحًا كاملًا لما يجري في زمانه إذ يقول الإصحاح السابع من سفر دانيال :

« أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها » .

وهذا الحيوان الرابع ما هو إلا الإسلام ونبيه محمد كما يتصوره الفاروس[2] .

ومهما يكن من أمر فإن هذه التصورات الفاسدة تشكل – كما يرى سوذرن – « أول منظومة شاملة ومتماسكة نسبيًا عن الإسلام وصورته التي بدأت تطلع في الغرب وسط متغيرات الأحداث . لقد كانت ولا شك نتاجًا للجهل المطبق بالإسلام مضامين وتاريخًا ، لكنه جهل ذو طبقات ومراحل بالغة التعقيد . فالصورة صادرة عن رجال كانوا يؤمنون إيمانًا عميقًا بما يكتبون . وقد كان همهم الأول إقامة تآلف بين ما تصوروه وما في الكتاب المقدس الذي كان مرجعهم الوحيد المعترف به لديهم »[3] .

ويلخص لنا هشام جعيط نظرة المسيحيين في القرون الوسطى إلى الإسلام فيقول لقد كان الإسلام في التقليد المسيحي خلال القرون الوسطى « مخربًا وقادمًا يدعو العاطفة تحديدًا لأنه يدعي الوقوف على نفس الأرضية مع المسيحية . إن نجاحاته مهما تكن كبيرة فهو ليس سوى قادم جديد ، سيىء التسلح ، بدائي ، ودون إعداد عقائدي ، ومع كل الحسابات ، إنه تبسيطي »[4] ويرى جعيط أن تشويه صورة

---

(1) المرجع السابق ، ص 59 .

(2) المرجع السابق ، ص 61 .

(3) المرجع السابق ، ص 61 .

(4) هشام جعيط : أوربا والإسلام ، مرجع سابق ص 21 .

الإسلام في العقل الغربي المسيحي في القرون الوسطى قد تركز على إلصاق صفتين مشينتين بالإسلام ونبيه محمد ﷺ ؛ الصفة الأولى « أن الإسلام شهواني ومادي في فكره وفي مفهومه للجنة .. وإلى جانب الرسالة القرآنية وحياة النبي ، يعتبر رجال القرون الوسطى أن العقيدة والمؤسسات الاجتماعية تعزز هذه الرؤية للفسق الإسلامي . إن تعدد الزوجات مدان بالطبع ، لأنه لذة مسممة مضعفة مثيرة ومخنثة . إن المرأة معتبرة خادمة لا رفيقة ، بينما الموقف المسيحي هو على العكس من ذلك تمامًا . أخيرًا إن الشذوذ الجنسي موصوف في القرآن وبشكل يُسمح به في الجنة ... »[1] .

أما الصفة الأخرى التي ألصقت بالإسلام في التراث الغربي في القرون الوسطى فهي العدوان والقوة والعنف . « إن استعمال العنف كان معتبرًا عالميًا من الخصائص العامة المكونة للدين الإسلامي ودلالة رعب بديهية »[2] .

ويضيف جعيط : « ويحدثوننا عن قانون القوة الذي فرضه النبي ليفرض نفسه ، وعن اضطهاده الكنيسة ، وعن تدنيس كنائس الله التي تحولت إلى جوامع ، أي إلى « معابد للشياطين » ، وعن الخسارة التي مني بها العالم المسيحي بسبب الغزو العربي ، ويقدمون أخيرًا الفكرة التالية : إن الإسلام لا يقبل الخلاف العقلاني »[3] .

صورة الإسلام والعرب في الحقبة الصليبية

دخلت العلاقة بين المسلمين والغرب المسيحي مرحلة جديدة مع بداية الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي . ولم تكن تلك الحروب – كما يقول قاسم عبده قاسم – « مجرد صراع عسكري ، وإنما كانت صراعًا بين حضارتين بكل ما يحمله هذا الصراع من تيارات واتجاهات قد تكون

---

(1) المرجع السابق ، ص 21 - 22 .
(2) المرجع السابق ، ص 22 .
(3) المرجع السابق ، ص 23 .

نتيجة لتعارض هاتين الحضارتين في مرحلة ما من مراحل النمو والتطور » « وتكشفت الأوصاف التي أسبغها مؤرخو الحملة الأولى على العرب والمسلمين – بكرم شديد – عن مدى التعصب الذي كان يحكم أوربا الكاثوليكية آنذاك . فلم يكن الأوربي ليعترف أو يسمح بوجود « الآخر » ؛ فهذا « الآخر » لم يكن نتاجًا لمعرفة واقعية ، وإنما هو نتاج دعاية نزقة غذتها الكنيسة التي كانت تسيطر على الحياة الثقافية في أوربا العصور الوسطى ، كما غذتها روح التدين الشعبي العاطفي الذي يتسم بالتعصب المقيت في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية متدهورة »[1] .

ويرى هشام جعيط أن رؤية الصليبيين للإسلام والعرب في هذه المرحلة كانت رؤية شعبية مشبعة بالخيالات إذ كانوا يعتبرون المسلمين وثنيين ومحمدًا ساحرًا وشخصًا فاسدًا وزعيم شعب فاسد . وأغنية رولان بدورها تقدم العرب على أنهم وثنيون يخلطون الحماسي بالشاذ[2] . ويتفق شاخت وبوزورث مع جعيط في الصيغة الشعبية الخيالية للصورة النمطية للإسلام والعرب في الحقبة الصليبية إذ يؤكدان أن الحروب الصليبية أوجدت حاجة كبيرة وملحة للحصول على صورة كاملة ومسلية ومرضية لأيديولجية الخصم . وكان رجل الشارع يرغب في صورة تبين الصفة الكريهة للإسلام عن طريق تمثيله بشكل يرضي الذوق الأدبي الميال إلى كل ما هو غريب ، وهو ميل يشكل سمة بارزة في جميع الأعمال في ذلك الوقت[3] .

ويقول ريتشارد سوذرن « إن المخيلة الأوربية الغنية الشطاحة التي ابتدعت هذه الصورة للإسلام ، كانت تمر بحقبة غريبة ازدهر فيها هذا النوع من الخيال

---

(1) قاسم عبده قاسم : « الحروب الصليبية في الأدبيات العربية والأوروبية واليهودية » في المستقبل العربي (إصدار مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت) ع 102 أغسطس 1987 م ، ص 16 .

(2) هشام جعيط ، أوروبا والإسلام ، مرجع سابق ، ص 197 .

(3) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ترجمة محمد زهير السمهوري (الكويت عالم المعرفة ، 1977 م) ، ص 65 .

عن كل شيء وبخاصة ما لم يكن تحت بصرها المباشر ... وجاء الشعر الشعبي الأوربي ليردد الصورة الخيالية المتكونة عن الإسلام جيلًا بعد جيل دون أن يطرأ عليها تعديل ملحوظ ..»[1] . ويزودنا سوذرن ببعض معالم هذه الصورة الشعبية عن نبي الإسلام فيقول : « محمد رجل مسيحي الأصل ، تزوج أيمًا ثرية ، وكان مصابًا بالصرع وتحدد هدفه بسحق المسيحية عن طريق اشتراع حرية جنسية واسعة وعلى أساس من هذه المعالم القليلة (والمضللة) بنى الغربيون في القرن الثاني عشر بناء ضخمًا من الحكايا »[2] .

إن الأذى الذي جلبته الحروب الصليبية – كما يقول محمد أسد – « لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الأسلحة بلْ كان ، أولًا وقبل كل شيء ، أذى عقليًا نتج عنه تسميم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الإسلامية تفسيرًا خاطئًا متعمدًا . لأنه إذا كان للدعوة إلى حملة صليبية أن تحتفظ بصحتها فقد كان الواجب والضروري أن يوسم نبي المسلمين بعدو المسيح ، وأن يصور دينه بأكلح العبارات كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق . وفي أيام الحروب الصليبية ذاتها تخللت العقل الأوربى وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة بأن الإسلام إنما كان يدعو إلى عبادة الشهوة وإلى القوة الوحشية ، وإنه دين يدعو إلى إقامة الشعائر الدينية بدلًا من تطهير القلب »[3] .

لقد كانت تجربة الحروب الصليبية ذات أثر عميق في العقل الغربي . وقد جسدت هذا الأثر كلمات المؤرخ الغربي الشهير جوناثان رايلي سميث إذ كتب عن ماهية الحروب الصليبية يقول : « كانت الحركة الصليبية واحدة من القوى الكبرى في تاريخنا . فقد جرت معاركها على نطاق واسع ، سواء على مستوى الجغرافيا ، أو من حيث عدد الرجال الذين خاضوها . وقد حكمت الحروب الصليبية مشاعر

---

(1) ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص 65 .
(2) المرجع السابق ، ص 66 .
(3) محمد أسد : الطريق إلى الإسلام ، ترجمة عفيف البعلبكي (بيروت : دار العلم للملايين ، ط 4 ، 1976 م) ، ص 22 - 23 .

الغرب الأوربي فيما بين سنة 1095 م وسنة 1400 م ، بشكل شامل ، بحيث يندر أن يوجد كاتب تناول الشئون المعاصرة في تلك الفترة لم يشر في نقطة ما إلى إحدى الحملات الصليبية أو إلى مصير الدول التي أسست في غمرة الحملات الصليبية على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط . وحتى اليوم من الصعب أن نقف موقف اللامبالاة من تاريخ الحروب الصليبية التي كانت ولا تزال تحتفظ بجاذبيتها حتى القرن الثامن عشر ، فقد تم شن هذه الحروب لتحقيق هدف يمكن تصوره غاية في النبل وغاية في الخِسة أيضًا . وعلى مر القرون ظل الناس يستلهمون الأفكار والحافز من الحروب الصليبية أو ينظرون إليها باعتبارها درسًا موضوعيًا للفساد الإنساني »[1] .

وبعد انتهاء الحروب الصليبية وعودة ميزان القوة للميل نحو المسلمين كانت القوة الإسلامية تنمو وتتعاظم . وكان العثمانيون على الحدود الشرقية لأوربا يقتحمون ويتقدمون حتى وصلوا عام 1542 م إلى المجر واحتلوها . إبان هذا الوقت قام مارتن لوثر بترجمة كتاب يتعلق بالإسلام اسمه « الرد على القرآن » وقدم له بمقدمة طويلة أعلن فيها « أن المسألة الإسلامية لن تجد حلًا سياسيًا أو فكريًا . وكان لوثر مقتنعًا أن المسلمين لا يمكن أن يعتنقوا المسيحية ، ذلك أن قلوبهم مقفلة وينظرون إلى النصوص المقدسة باحتقار وهم متعلقون بأضاليل قرآنهم بقوة وإيمان . وقال : دعوا المسلمين ومحمدهم يفعلون ما يشاءون حتى ينزل بهم غضب الله في النهاية ، كما قال القديس بولس عن اليهود ، ولننصرف للاهتمام بأنفسنا وطاعة ربنا حتى لا ندخل في عداد المحمديين الملعونين »[2] .

صورة الإسلام والعرب في مرحلة الغزو الاستشراقي

لم تكن دعوة لوثر هذه دلالة يأس تام في صراع الصليبيين مع الإسلام والمسلمين ، وإنما كانت تعبيرًا عن لحظة إحباط فردية سرعان ما تلاشت ، إذ

---

(1) انظر : Jonathan Riley - What Were the Crusades ? (London : Macmillan, 1977), P.11.
وقد استشهد بهذا القول قاسم عبده في دراسته عن « الحروب الصليبية في الأدبيات العربية والأوربية واليهودية » في المستقبل العربي ، مرجع سابق ، ص 15 .

(2) ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص 150 - 151 .

واصل الغربيون – وقد تلبّسوا بالروح الصليبية – تطلّعهم المحموم نحو دحر الإسلام وأهله ، وتحقيق أطماعهم في الشرق الإسلامي . وانتقلت مسيرة الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب في العقل الغربي إلى مرحلة جديدة هي مرحلة الغزو الاستشراقي الذي عمل على تهيئة المناخ الملائم والأرضية الصالحة لتحقيق أهداف الغزو الاستعماري العسكري على البلدان العربية والإسلامية . وتعدّ حركة الاستشراق واحدة من أهم وأخطر القنوات التي أسهمت في تكوين الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب وترسيخها في تلافيف العقل الغربي الفردي والجماعي .

ولا يوجد بين الباحثين اتفاق على تحديد فترة زمنية معينة لبداية الدراسات الاستشراقية في التراث الغربي ، فبينما يشير إدوارد سعيد إلى أن الغرب المسيحي يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عام 1312 م لإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية[1] ، يرى باحثون آخرون مثل رودي بارت أن بداية الاستشراق ترجع إلى ما قبل ذلك التاريخ ، وبالتحديد إلى القرن الثاني عشر الميلادي الذي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ، كما ظهر أيضًا في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي[2] . أما نجيب العقيقي فقد قدم في كتابه « المستشرقون » سجلًا للاستشراق على مدى ألف عام بدءًا من الراهب الفرنسي جرير دي أورالياك (940 – 1003 م) الذي قصد الأندلس ، وتتلمذ على أساتذتها في إشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره في أوربا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك ثم تقلد فيما بعد منصب البابوية في روما باسم سلفستر الثاني (999 – 1003 م)[3] .

---

(1) إدوارد سعيد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، 1981 م) ص 8 .

(2) انظر : محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية (الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، 1404 هـ) ص 20 .

(3) نجيب العقيقي : المستشرقون (القاهرة : دار المعارف ، ط 4 ، 1981 م) ، 1 / 110 وانظر لمزيد من المعلومات حول نشأة حركة الاستشراق وتطورها : زيد بن أحمد العبلان « الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ، دراسة ومناقشة وتحليل » رسالة ماجستير غير =

ولا يهمنا هنا أن نستعرض الآراء المختلفة حول البدايات التاريخية لحركة الاستشراق في الغرب ، بقدر ما يهمنا أن نتبين العلاقة بين هذه الحركة وتطور الصور النمطية للإسلام والعرب في المجتمع الغربي . والنظرة المتفحصة لنشوء حركة الاستشراق في الغرب ومراحل تطورها تؤكد لنا مدى الارتباط الوثيق بين هذه الحركة وبين حركة التنصير الديني من جهة وبينها وبين حركة الاستعمار الغربي للبلدان العربية والإسلامية من جهة أخرى ، يقول محمود حمدي زقزوق « إذا كان الاستشراق لا يقوم إلا على أساس معرفة اللغات الشرقية والتي هي وسيلة للتعرف على عقائد وحضارات الشرق فإن التنصير يتفق مع الاستشراق في هذا الصدد ويحتم أيضًا معرفة لغات من يراد تنصيرهم . وقد كان هناك اقتناع تام لدى دعاة التنصير في القرن الثالث عشر بضرورة تعلم لغات المسلمين إذا أريد لمحاولات التنصير أن تؤتي ثمارها بنجاح . وقد كان هذا الاقتناع – الذي ترجم فيما بعد إلى خطة عمل – عاملًا هامًا بالنسبة لتطور الاستشراق . ولم يكن من السهل في ذلك الزمان فصل الاستشراق عن التنصير أو عن الدافع الديني بصفة عامة ، فالدافع الديني هو السبب الأول في نشأة الاستشراق »[1] .

وقد كان روجر بيكون الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي من الدعاة المتحمسين الذين طالبوا بضرورة تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير وكان يقول : « هناك مسيحيون قليلون في العالم اليوم . أما سائر الأرض المعمورة فيغصّ بالكفار الذين لا يجدون أحدًا يهديهم إلى طريق الحق » . ثم يقول إن المسيحية لن تنتشر وتنتصر بغير التبشير السلمي والموعظة الحسنة . « غير أن المسيحية عاجزة في نظره عن القيام بمهام الدعوة والموعظة لأسباب ثلاثة : فلا أحد يعرف لغات الشعوب التي يراد التبشير بينها ، ولا أحد يعرف ماهية عقائد الكفار الذين يراد تبشيرهم ، ولا أحد في النهاية يملك حججًا مؤسَّسة على المعرفة لدعوة غير المسيحيين

= منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1406 هـ ، ص 19 - 74 .

(1) محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية ، مرجع سابق ، ص 27 .

إلى الكاثوليكية »[1] .

وقد شارك بيكون في أفكاره هذه رايموند لول الذي ولد في الأندلس وتعلم العربية وكانت له جهود كبيرة في إنشاء كراس لتدريس اللغة العربية في أماكن مختلفة . وكان الهدف من كل هذه الجهود في ذلك العصر وفي العصور التالية هو التنصير . وقد صادق مجمع فينا الكنسي عام 1312 م على أفكار بيكون ولول بشأن تعليم اللغات الإسلامية ، وتمَّت الموافقة على تعليم اللغة العربية في خمس جامعات أوربية هي جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وسلمتكا بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية[2] .

وتواصل اهتمام الدوائر الكَنَسية التنصيرية بتسخير الدراسات الاستشراقية لخدمة أهدافها في القرون التالية . وكان من بين المستشرقين الذين خدموا التنصير وليام بوست الفرنسي الذي أرسله ملك فرنسا سنة 1534 م إلى مصر ثم إستانبول حيث تعلم اللغات العربية والتركية والعبرية وألمَّ بعض الشيء باللغة الحبشية . ولما عاد إلى وطنه عيَّنه الملك أستاذًا للغات الشرقية في جامعة باريس سنة 1537 م فوضع كتابًا في النحو العربي ، ونشر في آخر حياته ترجمة لاتينية لسورة الفاتحة[3] . وفي ألمانيا عرض المستشرق يعقوب كريستمان على الأمير بوهان عام 1590 م إنشاء كرسي خاص للدراسات الشرقية وبالأخص العربية . وقد اتخذ كريستمان ومن تبعه في ألمانيا في ذلك الزمان من دراسة العربية وسيلة لنشر المسيحية والتبشير بها في الشرق والغرب[4] .

ويذكر مصطفى خالدي وعمر فروخ في كتابهما المشهور « التبشير

(1) انظر ريتشارد سوذرن : صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص 100 .

(2) محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية ، مرجع سابق ، ص 28 .

(3) انظر : زيد العبلان : « الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية » ، مرجع سابق ، ص 86 .

(4) المرجع السابق ، ص 86 .

والاستعمار » أن أغلب المستشرقين قد حرصوا « في الدراسات التي قاموا بها على تحقيق هذا الهدف التبشيري إذ صور هؤلاء الإسْلام في صورة الدين الجامد الذي لا يصلح للتطور ، وهم يعمدون إلى اختيار البيئات الإسلامية التي نالها أكبر قسط من الضعف والهزال ويجعلونها نموذجًا للإسلام . وغاية الدراسات الاستشراقية هي خلق تخاذل روحي وشعور بالنقص في نفوس المسلمين وغيرهم من الشرقيين ، وحملهم من هذا الطريق على الرضا بالخنوع للمدنية الغربية الحديثة »[1] .

وعلى الرغم من أن نهاية القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الميلاديين قد شهدا تطورًا محدودًا في الدراسات الموضوعية عن الإسلام في الحركة الاستشراقية في الغرب على يد نخبة من المستشرقين المنصفين ، إلا أن هذه الدراسات لم تسلم من التحريف والتشويه لصورة الإسلام ونبيه محمد ﷺ . فها هو ذا سيمون أوكلي الذي يعدّ نسبيًا غير متحيز وقد مجد في كتابه « تاريخ السراسنة » الشرق الإسلامي ورفعه فوق الغرب ، يصف النبي بأنه « رجل خبيث جدًا وماكر وأن ما كان يبديه من شمائل طيبة كانت مجرد أمر ظاهري يخفي وراءه حقيقة نفسه التي كان يحكمها الطموح والطمع »[2] .

ومع أن مستشرقًا مثل وليام بدويل ، الذي كان يعرف بأبي الدراسات العربية في إنجلترا ، قد أثنى على اللغة العربية بوصفها لغة الدبلوماسية والأعمال ، فإنه لم يستطع أن يتحرر من تعصبه الديني بوصفه مسيحيًا مما لوّن مواقفه إزاء الإسلام وإزاء نبيّه محمد ﷺ فكان محمد – في نظره – دجالًا ومغويًا للأعراب وواضعًا للقرآن[3] .

كما نجد المستشرق الهولندي هاذريان ريلاند في كتابه « الديانة المحمدية » الذي أصدره باللاتينية عام 1705 م لا يخفي دافعه الديني التنصيري في هذا الكتاب . فقد عرض المؤلف في الجزء الأول من الكتاب العقيدة الإسلامية معتمدًا على مصادر

---

(1) مصطفى خالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار (بيروت : المكتبة العصرية ، 1982 م) ، ص 24 - 25 .

(2) محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية ، مرجع سابق ، ص 33 .

(3) Sari J. Nàsir, The Arabs and the English (London : Longman, 1976) .

بالعربية واللاتينية ، وقام في الجزء الثاني بتصحيح الآراء الغربية التي كانت سائدة حينذاك عن تعاليم الإسلام . وقد أثار الكتاب اهتمامًا عظيمًا لدرجة أدت إلى إثارة الشبهات حول المؤلف باتهامه أنه يريد القيام بعمل دعائي للإسلام ، في حين أن المؤلف يصرح في كتابه بالقول : « صحيح أن الدين الإسلامي دين سيئ جدًا وضار بالمسيحية إلى حد بعيد ولكن أليس من حق المرء لهذا السبب أن يبحثه ؟ ألا ينبغي للمرء أن يكتشف أعماق الشيطان وحيله ؟ إن الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام في حقيقته لكي يحاربه بطريقة أكثر أمانًا وأشد قوة »[1] .

وفي إطار هذا الاتجاه الاستشراقي نحو تشويه صورة الإسلام في سبيل التمكين للدعوة التنصيرية نقرأ للمستشرق الفرنسي فولني – الذي قام برحلة طويلة إلى الشرق وكتب عنها كتابه « وصف مصر وسوريا » – نظراته العامة عن الإسلام ونبيه في كتابه الآخر الذي أسماه « الآثار » ونشر في القرن التاسع عشر الميلادي ، فماذا يقول ؟ إنه يقول « يمكن لمحمد أن يكوّن إمبراطورية سياسية ودينية على حساب موسى والمسيح » . ويقول عن « قانون محمد » « إن الله جعل محمدًا وزيره في الأرض ، وأعطاه العالم ليُخضع بالسيف كل من يرفض الاقتناع بقانونه » ثم يدين « هذا الرسول الذي لا يعظ إلا بالقتل والمذابح » . ويصف النبي بأنه شخص طموح واستخدم الدين « لمشاريعه في السيطرة ولتطلعاته الدنيوية » . أما القرآن فهو « نسيج من الخطب المتناقضة والغامضة والإرشادات المضحكة والخطيرة »[2] .

أما علاقة حركة الاستشراق بالهجمة الاستعمارية الغربية على العالم العربي والإسلامي فتتضح من خلال إفادة الاستعمار من التراث الاستشراقي لخدمة أهدافه من جهة ، وتسخيره لبعض المستشرقين والمؤسسات الاستشراقية في الوصول إلى أغراض التوسع الإمبريالي الغربي من جهة أخرى . وفي ذلك يقول محمود حمدي زقزوق : « لقد كان للمدّ الاستعماري في العالم الإسلامي دور كبير في تحديد طبيعة

(1) انظر : محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية ، مرجع سابق ، ص 34 .

(2) انظر : هشام جعيط : أوربا والإسلام ، مرجع سابق ، ص 32 - 33 .

النظرة الأوربية للشرق وخصوصًا بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . وقد أفاد الاستعمار من التراث الاستشراقي . ومن ناحية أخرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها في تعزيز موقف الاستشراق وتوالت مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق وفي مرحلة التوسع الأوربي في الشرق »[1] .

ويرى مارسيل بوازار في كتابه « الإسلام اليوم » أن « كتابات المستشرقين – عدا بعض الاستثناءات النادرة – لم تساهم كثيرًا في تحسين تفهم الإسلام ، أو إعادة دقة الصورة التي كانت لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح ؛ أولًا لأن أشغالهم كانت غالبًا تقدم إلى الجمهور بلغة متخصصة جدًا ... ومن جهة أخرى لأن الاستشراق كان في الأصل أحد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية في فرنسا وفي بريطانيا العظمى وفي البلاد الواطئة ؛ فقد كان المطلوب إجمالًا فهم العقلية الإسلامية فهمًا جيدًا لتسهيل الإدارة الاستعمارية للشعوب الإسلامية »[2] .

ويؤكد إدوارد سعيد هذه الحقيقة حيث يرى أن خبرة المستشرق الخاصة وضعت في خدمة الاستعمار لأنه في اللحظة الحرجة حيث يجب على المستشرق أن يقرر بين ولائه وميوله للشرق ، وبين ولائه للمستعمر الغربي فإنه دائمًا يختار الأخير على الأول . ومنذ عصر نابليون إلى الآن لم يتغير الأمر[3] .

ويقدم لنا محمود حمدي زقزوق بعض النماذج للمستشرقين الذين كانوا يخدمون المؤسسات الاستعمارية الغربية ؛ فمنهم المستشرق الألماني كارل هينريش بيكر الذي أسس مجلة « الإسلام » في ألمانيا وقدم فيها دراسات عديدة تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في القارة الأفريقية . كما أن المستشرق الروسي بارتولد مؤسس مجلة « عالم الإسلام » قد تم تكليفه عن طريق الحكومة الروسية بالقيام ببحوث تخدم مصالح السيادة الروسية في آسيا الوسطى . أما عالم الإسلاميات الهولندي المشهور سنوك

---

(1) محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية ، مرجع سابق ، ص 43 .

(2) مارسيل بوازار : الإسلام اليوم (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1986 م) ، ص 19 - 20 .

(3) إدوارد سعيد : الاستشراق ، مرجع سابق ، ص 19 - 20 .

هورجرونيه فإنه في سبيل استعداده للعمل في خدمة الاستعمار توجه إلى مكة عام 1885 م بعد أن اتخذ اسمًا إسلاميًا وأقام بها ما يقرب من نصف عام ، وكان يجيد العربية . وقد لعب هذا المستشرق دورًا هامًا في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية ، وشغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في إندونيسيا[1] .

وفي فرنسا كان هناك عدد من المستشرقين يعملون مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا . وعلى سبيل المثال كان المستشرق دي ساسي ، اعتبارًا من عام 1805 م ، يشغل منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية . كما كان ماسينيون إلى عهد قريب مستشارًا للإدارة الاستعمارية الفرنسية في الشئون الإسلامية[2] .

وكان اللورد كيرزن البريطاني من أشد المتحمسين في إنجلترا لفكرة إنشاء مدرسة للدراسات الشرقية باعتبار أنها تعد جزءًا ضروريًا من تأثيث الإمبراطورية وتساعد على الاحتفاظ بالموقع الذي نالته بريطانيا في الشرق . وقد تحولت هذه المدرسة فيما بعد إلى مدرسة جامعة لندن للدراسات الشرقية والأفريقية . وقد كانت الحكومة البريطانية – كما يقول زقزوق – ترسم سياستها في مستعمراتها في الشرق بعد التنسيق والتشاور مع فريق من المستشرقين الذين يقدمون لها الدراسات المطلوبة[3] .

الصورة النمطية للإسلام والعرب في الحقبة المعاصرة

إذا كان الاستعمار الغربي قد رفع إصره العسكري عن بلدان العالم العربي والإسلامي بعد نجاح حركات التحرر من الاستعمار في أوائل ومنتصف هذا القرن

---

(1) انظر : محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية ، مرجع سابق ، ص 45 - 46 .

(2) انظر : إدوارد سعيد : الاستشراق ، مرجع سابق ، ص 146 .

(3) انظر : محمود حمدي زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية ، مرجع سابق ، ص 46 - 47 .

فإنه – في واقع الأمر – لم يترك هذه البلدان تنعم بخيرات الاستقلال . لقد كان استقلالًا منقوصًا في كثير من جوانبه ، وكان أشد ما خلَّفه الاستعمار الغربي في بلدان الإسلام تلك التبعية الثقافية والتقنية التي رسخ أقدامها في الواقع الإسلامي حملات الغزو الفكري والثقافي الغربي .

إن الغرب يواصل اليوم محاولاته المستميتة لإبقاء هيمنته الثقافية والاقتصادية في العالم الإسلامي لأنه يدرك أن هذه الهيمنة تحقق له أهدافه الأيديولوجية والسياسية وتعينه على أن يظل في مركز القوة والتفوق ؛ ولذلك فإن حاجة الدوائر السياسية والأيديولوجية الغربية إلى تشويه صورة الإسلام والعرب ما تزال قائمة حتى الآن . وإذا كان المستشرقون ومراكزهم الاستشراقية قد أسهموا في تهيئة الأرضية الصالحة لتحقيق أهداف الاستعمار العسكري الغربي خلال الحقبة الماضية فإن خبراء الدراسات الشرقية والإسلامية في الجامعات والمراكز العلمية الغربية يقومون اليوم بخدمة أهداف الغزو الفكري الثقافي الذي يعدّ أحد أسلحة الغرب الفعالة في ترسيخ هيمنته السياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي .

هاهو ذا ليونارد بايندر – وهو أستاذ العلوم السياسية ودراسات الشرق الأوسط في جامعة شيكاغو الأمريكية ورئيس جمعية دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة وكندا 72 - 1973 م – يحدد الهدف الرئيس من الدراسات الشرقية فيقول : « إن الدافع الرئيس إلى نشوء وتطور دراسة المناطق داخل الولايات المتحدة كان سياسيًا ، حيث كان غرضنا الأساسي هو مصارعة القوى المعارضة لنا وتأمين النفوذ السياسي » . ويعترف بايندر بأن « دراسات الشرق الأوسط تعاني من اللاموضوعية والتعصب والانحياز الديني والتشويهات الأيديولوجية ، كما تعاني من الأكاديميين غير المؤهلين »[1].

ويؤكد هذه الحقيقة بأدلة دامغة إدوارد سعيد في كتابه « تغطية الإسلام »

---

(1) انظر : محمد كمال الدين إمام : « صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية » مذكرة غير منشورة ، كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1405 هـ ، ص 6 .

حيث يحلل أربع ندوات علمية أقامها قسم الدراسات في جامعة برنستون العريقة في الفترة من عام 1971 م إلى عام 1978 م . وقد قامت مؤسسة فورد بتمويل هذه الندوات الأربع[1] . ورغم أن هذه الندوات قد خطط لها ونفذها أكاديميون إلا أن المصالح السياسية والأيديولوجية للولايات المتحدة الأمريكية لم تَغِب أبدًا عن الأذهان .

وقد تناولت الندوة الأولى موضوع الرق في أفريقيا المسلمة . ولا شك أن الهدف من وراء إثارة هذا الموضوع هو إيجاد هوة سحيقة بين الأفارقة والإسلام . وقد شارك في الندوة بعض الأساتذة الإسرائيليين الذين حذروا الدول الأفريقية من الاعتماد على العرب الذين استرقوا أجدادهم من قبل . بينما لم يُدْعَ إلى الندوة ممثل واحد من العالم العربي الإسلامي !!!

وكان موضوع الندوة الثانية والتي عقدت سنة 1978 : « وضع الأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي في الشرق الأوسط » . وقد جاء انعقاد هذه الندوة في الوقت الذي بدأت تظهر في الأوساط الإستراتيجية الغربية دعوات إلى تفتيت العالم الإسلامي من داخله ، وذلك بإثارة النعرات الطائفية للأقليات الدينية والعرقية فيه. وقد دعي إلى المشاركة في هذه الندوة ممثلون للأقليات الدينية في العالم الإسلامي ، كما قام بالحديث عن « الأقلية » العربية الفلسطينية – ويا للعجب – أستاذ إسرائيلي !!

أما الندوة الثالثة فقد بحثت موضوع « التكنيكات السلوكية والنفسية في تحليل وفهم مجتمعات الشرق الأوسط الحديثة » . وقد هدفت الندوة إلى توصيف المجتمع الإسلامي ومعرفة مكامن القوة والضعف فيه . وكانت الندوة الرابعة بعنوان « الأرض والسكان والمجتمع في الشرق الأدنى : دراسات في التاريخ الاقتصادي منذ ظهور الإسلام إلى القرن التاسع عشر » . والغرض السياسي واضح في هذه الندوة أيضًا

---

(1) يرى إدوارد سعيد أن السياسيين وخبراء الدراسات الإستراتيجية وبعض الأكاديميين والأقسام العلمية والشركات التجارية الكبرى في أمريكا يتعاونون جميعًا لخدمة المصالح الأمريكية وتعزيز قوتها وهيمنتها في ميدان الصراع الدولي والسياسة الخارجية .

إذ إنها تبحث في العلاقة بين امتلاك الأرض والخصائص الديمجرافية (السكانية) والسلطة الحكومية ، وذلك بوصفها مؤشرات للاستقرار أو عدمه في المجتمعات المسلمة الحديثة[1] .

وباختصار يمكن القول إن كثيرًا من الدوائر والأقسام الأكاديمية التي تعنى بالدراسات الشرقية والإسلامية في الغرب ليست إلا امتدادا للدوائر الاستشراقية الأولى التي أسهمت في تمهيد السبيل أمام القوى الغربية الإمبريالية لغزو الشرق الإسلامي واستعماره . إن العديد ممن يطلق عليهم اليوم في المجتمعات الغربية « خبراء » الدراسات الإسلامية والشرقية والمتخصصين في شئون الشرق لأوسط ما هم إلا ذراع من أذرعة تشويه صورة الإسلام والشرق في سبيل تحقيق المصالح السياسية والثقافية والاقتصادية للقوى الغربية الإمبريالية المعاصرة .

ولقد ظهرت في الحقبة المعاصرة وسائل الإعلام الجماهيرية لتضيف إلى المشكلة بعدًا جديدًا يتمثل في إسهامها الخطير في نقل الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في التراث الغربي من دوائر الدراسات الاستشراقية والسياسية والأكاديمية إلى الدائرة الأوسع والأرحب وهي الدائرة الشعبية . لقد تمكنت وسائل الإعلام الجماهيرية في الغرب بما تمتلكه من قدرة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير من أن تجعل الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب ضمن اهتمامات الفرد الغربي حتى أصبحت – وخصوصًا في وقت الأزمات – حديث المجالس والمنتديات الشعبية . ومن هنا تنبع الخطورة الجسيمة للدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجماهيرية في ترسيخ الصورة النمطية للإسلام والعرب في العقل الغربي .

وتدل الدراسات العديدة على وجود تماثل كبير بين الصورة السيئة التي يقدمها خبراء الدراسات الشرقية والإسلامية في الدوائر العلمية والاستخباراتية عن الإسلام

---

(1) راجع : إدوارد سعيد : تغطية الإسلام : كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين وفهمهم ، ترجمة سميرة نعيم خوري (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية 1983 م) ، ص 159 - 163 .

والعرب والصور السيئة التي تروج لها وسائل الإعلام الغربي . وقد ذكر إدوارد سعيد أن نتائج دراساته تؤكد تطابق وجهات نظر الخبراء في الدراسات الشرقية والإسلامية الذين تستعين بهم الدوائر السياسية في الغرب ، وبين الطريقة التي تعالج بها وسائل الإعلام الغربي أمور الشرق والإسلام . وقد أبرزت تلك الدراسات أن الفكرة المركزية التي يحملها الطرفان – الخبراء ووسائل الإعلام – هي أن الإسلام يمثل تهديدًا للغرب . وهذا واضح من نظرية برجنسكي عن « هلال الأزمات » إلى نظرية الأستاذ الجامعي برنارد لويس عن « عودة الإسلام » . إن الإسلام – بالنسبة لهؤلاء – كما يقول إدوارد سعيد – « يعني نهاية الحضارة الغربية باعتباره دينًا لا إنسانيًا ، وغير ديمقراطي ولا عقلانيا » . ولذلك فإن الإسلام – في نظر من يرسمون السياسات الغربية ومن يشوهون صورته في وسائل الإعلام – « يمثل تهديدًا ينبعث من حركة ناهضة لا تحمل خطر العودة إلى القرون الوسطى فحسب ، بل وكذلك – كما يقول دانيال مونيهان – تدميرًا للنظام الديمقراطي في العالم الغربي » . ويرى إدوارد سعيد أن هذه النظرة للإسلام تتفق مع التفكير الاستشراقي الذي رسخ الاعتقاد بأن « الإسلام لا يمثل منافسًا رهيبًا فحسب بالنسبة إلى الغرب ، بل إنه يمثل كذلك تحديًا متأخرًا للمسيحية »[1] .

على أن هذا الذي تقوم به وسائل الإعلام الغربي من تشويه صورة الإسلام والعرب داخل المجتمعات الغربية لا يمثل الوجه الوحيد للخطر ، بل إن لهذا الخطر وجهًا آخر يتمثل في ترويج الإعلام الغربي لهذه الصورة المشوهة في أصقاع الأرض . وقد أتاحت تركيبة النظام الإعلامي العالمي الحالي لوسائل الإعلام الغربي أن تحقق هذا الهدف . إن الإعلام الغربي اليوم يتمتع بقدرة كبيرة على السيطرة والهيمنة على المستوى الدولي . إن 80 ٪ من تدفق الأنباء يصدر عن وكالات الأنباء الغربية الكبرى وهي رويتر البريطانية ووكالة الصحافة الفرنسية والأسيوشيتدبرس واليونايتدبرس إنترناشيونال الأمريكيتان . كما أن هناك عدم مساواة في توزيع طيف

---

(1) انظر : إدوارد سعيد : تغطية الإسلام ، مرجع سابق ، ص 36 .

الذبذبات الإذاعية بين البلاد الغربية والنامية ، فالأولى تسيطر على حوالي 90 ٪ من أصل الطيف ، بينما لا تملك البلدان النامية – ومنها الدول العربية والإسلامية – الوسائل التي تحميها من الإذاعات الأجنبية[1] .

أما بالنسبة للسيطرة الغربية في مجال البث التليفزيوني فإن أربع شركات غربية رئيسة ، وهي وكالة الأخبار المصورة البريطانية واليونايتدبرس والنيوزفيلم الأمريكيتان ، والوكالة الألمانية ، تهيمن إلى حد كبير على مجال الأخبار المصورة في العالم ، كما أن حجم الأفلام والبرامج والمسلسلات والمواد الإعلامية التي تصدرها الدول الغربية – الولايات المتحدة بشكل خاص – إلى دول العالم أجمع يبرز لنا مدى الهيمنة الغربية على ما يشاهده العالم تليفزيونيًا فشركة سي بي إس الأمريكية – مثلًا – توزع برامجها وأفلامها في أكثر من 100 دولة في العالم ، وتصل شركة آي بي سي الأمريكية أيضًا إلى 60 ٪ من تليفزيونات العالم . وقد قال ولسن ديزارد – أحد كبار المسئولين في وكالة الاتصال الأمريكي – في تقرير للكونجرس عام 1967 م : « إن حجم صادرات التليفزيون التجاري الأمريكي يصل إلى ما قيمته 100 مليون دولار سنويًا[2] والأهم أنه أصبح خير وسيلة لعرض الصورة للعالم . وبهذا فإن برامج التليفزيون تسلمت مشعل الصورة الأمريكية من هوليوود التي تولت إغراق العالم بالأفلام السينمائية منذ أكثر من خمسين عامًا »[3] .

إن نظام الإعلام الراهن – كما يقول مصطفى المصمودي – « يعمل على إبقاء نوع من الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي ينعكس غالبًا على تفسير الأنباء المتعلقة بالبلدان النامية . ويتجلى ذلك في إلقاء الضوء على أحداث تكون أهميتها محدودة أو حتى معدومة في بعض الأحوال ، وفي تجميع وقائع متفرقة وإبرازها على أنها « كل »

---

(1) انظر : مصطفى المصمودي : النظام الإعلامي الجديد (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1406 هـ / 1985 م) سلسلة عالم المعرفة 94 ، ص 41 – 42 .

(2) هذا الرقم كان في الستينيات من هذا القرن . وتدل المؤشرات على زيادة هذا الرقم في الوقت الراهن .

(3) راجع : فايق فهيم : الإعلام المعاصر قضايا وآراء (الرياض ـــ دار الوطن ، 1406 هـ ـــ 1985 م) ص 29 .

وفي إبراز الوقائع بصورة تجعل الاستنتاج الذي يستخلص منها مواتيًا بالضرورة لمصالح تلك الشبكة العالمية ، وفي تضخيم أحداث ضيقة النطاق بغية إثارة مخاوف لا مبرر لها ، وفي السكوت عن أوضاع غير مواتية لمصالح البلاد الأصلية لهذه الوسائل الإعلامية ، وبهذه الطريقة لا تغطى أحداث العالم إلا بالقدر الذي يناسب مصالح مجتمعات معينة ، وكذلك تشوه المعلومات استنادًا إلى القيم الأخلاقية والثقافية والسياسية الخاصة بدول معينة تحديًا لقيم الأمم الأخرى واهتماماتها . وتقوم معايير الاختيار بوعي أو بدون وعي على أساس المصالح السياسية والاقتصادية للشبكة العالمية وللبلدان التي تترسخ فيها هذه الشبكة . وينبغي أيضًا التركيز على استخدام التسميات المسكوكة والنعوت والتعاريف المغرضة التي يتم اختيارها بقصد التحقير »[1] .

وإذا كانت دول ومجتمعات العالم الثالث تتعرض لتدفق إعلامي يتسم بالاختلال فإن دول ومجتمعات العالم الإسلامي – والعالم العربي بوجه خاص – تتلقى سيلًا من الهجمات الإعلامية الحاقدة التي تسعى من خلالها وسائل الإعلام الغربي إلى تشويه مبادئها وقيمها ، وتقدم لجماهيرها – سواء في المجتمعات الغربية أو غيرها من المجتمعات الأخرى في هذا العالم – صورًا نمطية سيئة عن الإسلام : دينًا وحضارة وعن العرب : عنصرًا وقيمة . وسنكشف في الفصل القادم عن مظاهر هذه الصورة النمطية في وسائل الإعلام الغربي المعاصر لندرك حجم هذه المشكلة ومدى خطورتها .



(1) مصطفى المصمودي : النظام الإعلامي الجديد ، مرجع سابق ، ص 43 - 44 .



□ مظاهر الصورة النمطية للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي

تلجأ وسائل الإعلام الغربي المعاصر إلى تقديم صور نمطية مشوهة وجامدة ومتحيزة عن العديد من الشعوب والأمم والدول الأخرى ، وخصوصًا تلك التي تقع في إطار ما يسمى بالعالم الثالث . لكنَّ الباحث المتفحص في اتجاهات صياغة وتكوين الصور النمطية في الإعلام الغربي يلاحظ – دون عناء كبير – أنه لم يلقَ دين من الأديان ، أو حضارة من الحضارات ، أو أمة من الأمم ، من التشويه المنتظم والتحريف المستمر في تلك الوسائل ما لقيه الدين الإسلامي وحضارته وأمته ؛ حتى يمكننا القول – دون مبالغة – إن التشويه المستمر لصورة الإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي المعاصر ، ظاهرة فريدة في طبيعتها ودوافعها ونتائجها ، وهي – في الوقت نفسه – ظاهرة متميزة ومختلفة تمامًا عن غيرها من محاولات تشويه صور الشعوب الأخرى ، سواء في حجمها أو نوعها .

ويمكن للمتأمل في الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الإعلام الغربي إلى جمهورها عن الإسلام والعرب ، أن يدرك – بسهولة – عدة ملامح بارزة تتألف منها تلك الصورة المشوهة . وقد لخص أحد الباحثين تلك الملامح البارزة للصورة النمطية عن الإسلام والعرب في أربع نقاط رئيسة هي :

1 – إظهار العرب في صورة المتناقضين دينيًا مع الغربيين ، فهم غير مسيحيين ، ومتطرفون يناهضون الصليبيين .

2 – إظهار العرب في صورة أبطال الروايات الغرامية لألف ليلة وليلة ، الذين لا يهمهم إلا النساء والشراب والجنس .

3 – إظهار العرب بأنهم مصدر المتاعب والإرهاب والعنف .

4 – إظهار العرب بأنهم السبب في الحظر المفاجيء للنفط عن الغرب[1] .

إن المحور الرئيس الذي ترتكز إليه الصورة النمطية المشوهة للعرب ، بكل ملامحها وأبعادها ومظاهرها ، يتمثل في تشويه صورة الإسلام بوصفه دينًا بدائيًا لا يمتلك

---

(1) انظر M. Suleiman, " National Stereotypes as Weapons in the Arab - Israeli Conflict ", Journal of Palestine Studies 3 (Spring 1977) : 109 - 21 .

مقومات الحضارة ، وفي النيل من معتنقي الإسلام بوصفهم متخلفين ومتطرفين دينيا وسلوكيا بالدرجة الأولى . إن تصوير الإسلام في أبشع صورة ، وبطرق ممجوجة وغير إنسانية ، وربطَ جميع الأحداث والأزمات والتطورات التي تحدث في العلاقة بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي بالإسلام ، يعدّ النقطة المحورية التي تبدأ منها وتنتهي إليها جميع خيوط الصورة النمطية للعرب والمسلمين في الإعلام الغربي . وستتضح هذه الحقيقة بجلاء ، من خلال عرضنا لمظاهر تلك الصورة في مختلف وسائل الإعلام الغربي وقنوات التوجيه والتأثير . وتؤكد لنا النظرة الشاملة لهذه الظاهرة أن جميع وسائل الإعلام الغربي دون استثناء ، قد اشتركت في صنع وترويج الصورة النمطية السيئة للإسلام والعرب ؛ فهما يتعرضان « لتشويه متعمد من خلال وسائل الإعلام (الغربي) ، (وهو) تشويه يستخدم الوسائل كلها : الكتاب والصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والمسرح والقصة والشعر ، ومن خلال جميع الأشكال الإعلامية من الحوار والخبر والتعليق والكاريكاتير والمسلسل ، ويمتد إلى كل قطاعات المجتمع ، حتى تلك المؤسسات التعليمية التي يفترض في مادتها الموضوعية والبعد عن التحيز ، كالجامعات والمعاهد الأكاديمية »[1] .

وسنتناول في هذا الفصل مظاهر الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي المعاصر ، وسنعرض نماذج لتلك المظاهر والملامح في كل وسيلة من وسائل الإعلام الجماهيري من صحافة وإذاعة وسينما ، بالإضافة إلى الرواية والقصة والكتاب المدرسي والموسوعات العلمية .

الصورة النمطية للإسلام والعرب في الرواية والقصة

إن للقصص والروايات تأثيرًا قويًّا في مجال صياغة الأفكار والمواقف والاتجاهات في المجتمع الغربي . ويلقى هذا الفرع من فروع الفن والأدب رواجًا واسعًا في أوساط الشعوب الغربية . وقد أسهم الفن الروائي في الغرب في تشويه

(1) محمد كمال الدين إمام : « صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية » ، مرجع سابق ، ص 8 .

صورة الإسلام والعرب بشكل ملحوظ . وفي ذلك ، يقول جاك شاهين ، إنه قد قرأ ثلاثين رواية أمريكية ، وإنه إذا أراد أن يصف ما قرأه فيها من صور مشوهة عن العرب ، لاحتاج إلى أن يؤلف عدة كتب[1].

ويشير إدوارد سعيد إلى روايتين ؛ إحداهما بعنوان « انحناءة في النهر » لنيبول ، والأخرى بعنوان « الانقلاب » لإبدايك ، بوصفهما نموذجين لتشويه صورة الإسلام والعرب في مجال الرواية . وكلا القصتين تتحدثان عن الإسلام في أفريقيا ، ولكن سياقهما العام يحمل دلالات عن الوضع الراهن للإسلام اليوم . « انحناءة في النهر » هي أكثر الروايتين جدية والتصاقًا بالسياسة . والشخصيتان الرئيستان فيهما هما كونراد وفورستر ، ورغم أن الإسلام لا يشبه أيًّا منهما ، فإن الكاتب يتناول الإسلام عن قرب ومن موقع مواطن من العالم الثالث ، ليستطيع حسب زعم النقاد الأمريكيين المتحمسين له ، أن يتهم الإسلام متسلحًا بالمعرفة المباشرة والأولية .

أما قصة إبدايك ، فهي محاولة يائسة لإعادة كتابة قصة إيفلين ووف « الأذى الأسود » في محاولة لإظهار السود والمسلمين الأمريكيين والسوفييت جميعًا مثيرين للسخرية بالتساوي .

ويعرض علينا إدوارد سعيد فقرة من كل من القصتين فيقول : الفقرة الأولى من كتاب نيبول ، وتتحدث عن سليم ، المسلم الإفريقي الهندي الذي شرد من ساحل يحكمه عرب عاشوا بعيدين عن أرضهم ، « وحسب الطريقة الإسلامية فإنهم كانوا بحاجة إلى زوجات ، مزيد من الزوجات . واضطر سليم إلى الانتقال إلى داخل البلاد . وهناك أصبح ضحية لثورات شريرة وغامضة وقد وقعت له الواقعة التالية أثناء رحلة قام بها إلى إنجلترا » .

« كان الناس يلهون بطائرات الورق بعد ظهر الأيام الجميلة في المتنزهات ، وأحيانًا

---

(1) جاك شاهين : « وسائل الإعلام والصورة النمطية للعرب » ، في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن 1979 م (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) ، ص 26 .

كان العرب في السفارات يلعبون كرة القدم تحت الأشجار . كان هناك دائمًا الكثير من العرب ، العرب ذي البشرة الفاتحة وليس العرب الأقرب إلى الأفارقة كما هو الحال في ساحلنا . إحدى واجهات المحطات في جلاوستر كانت حافلة بالصحف والمجلات العربية . لم يكن كل العرب أغنياء أو نظيفين . أحيانًا رأيت مجموعات صغيرة من عرب فقراء بملابس بالية ينامون على العشب أو على قارعة الطريق . اعتقدت أنهم خدم مما أثار خجلي . ولكنني بعد ذلك رأيت سيدة عربية مع أحد عبيدها .

« وتمعنت جيدًا في هذا الشخص . كان يعتمر قبعة بيضاء صغيرة ، ودشداشته البيضاء كانت كافية للإفصاح عن هويته دون تعريف ، كان يحمل كيسين ملآنين بالحاجيات التي اشتراها من المخزن القريب . وكان يسير ، حسب العادة ، عشر خطوات أمام سيدته التي كانت ، كما هو الحال بالنسبة للسيدات العربيات ، سمينة ، والوشم على وجهها ظاهر من وراء الحجاب . كانت سعيدة لأنها في لندن تقوم بشراء الحاجيات من المخازن الكبيرة مع غيرها من السيدات . لحظةً ظنَّت أنني عربي فرمتني بنظرة من خلف الحجاب ، أرادت بها أن أرد عليها بنظرة إعجاب » .

« أما صاحبنا حامل الأغراض ، فكان نحيفًا وأكاد أقول إنه ولد في البيت ذاته ، لأنه يحمل القسمات الجوفاء الكلبية التي تميز العبيد الذين يولدون في بيوت سادتهم حين يكونون معهم في الأماكن العامة ...» .

وفي قصة إبدايك (الصفحات 193 - 194) نقرأ ، على سبيل المثال ، أن الإسلام يعني القسوة والخوف من الأجانب والحشمة والعزلة ، « ثم يتحدث عن أحد المسلمين الذي سقط في الانتخابات بعد سلسلة من الفضائح الجنسية (منها أن اثنتين من سكرتيراته وليس واحدة ، حملتا سفاحًا) وعن آخر يغتال أحد المعارضين له في مدينة نيويورك ... »[1].

---

(1) انظر : إدوارد سعيد : « ثورة وسائل الإعلام ونهضة الإسلام » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 135 - 137 .

وفي رواية بعنوان « الحاج » ، يظهر المؤلف ليون يوريس شخصية العربي باعتباره متآمرًا زائف الشجاعة كسولًا ، شكاكًا ، قذرًا كذابًا وحقودًا ، حيث ترتكز شخصيته على الانتقام والموت والجنون والخناجر التي تنغرس في الظهور في عتمة الليل . وغلاف الرواية ، التي تصور الإسلام باعتباره عالمًا غامضًا مخيفًا يدعو إلى الاتكالية والخمول ، يربط بين المسلم « الحاج » وبين الغدر (الخنجر) في صورة بشعة . وقد أورد يوريس في روايته على لسان عربي من أشخاص روايته قوله : « إن الإسلام لا يستطع أن يعيش بسلام مع الآخرين . إنه عدواني بطبيعته ، والعرب هم الأسوأ . إننا لا نستطيع أن نتعايش معًا »[1].

وتكشف لنا دراسة قامت بها جانيس تيري بعنوان « صور الشرق الأوسط في الرواية المعاصرة » والتي نشرت في كتاب إدموند غريب « الصورة المنقسمة » عن العديد من الأمثلة والنماذج لإسهام الرواية العربية والأمريكية - بوجه خاص - في التشويه المتعمد لصورة الإسلام والعرب . وقد بدأت تيري - وهي أستاذة للتاريخ في جامعة ميتشجان الشرقية بالولايات المتحدة - بالقول : « إن صور المجتمع العربي والعالم الإسلامي تبدو متشابهة تمامًا في الروايات المعاصرة ، وسواء وصف العرب والمسلمون بالتخلف أو الجشع أو الشهوانية أو الشيطانية وعدم الإنسانية ، فإنهم كبش الفداء في جميع الروايات المعاصرة التي تتناول موضوعات عن الشرق الأوسط تقريبًا »[2].

ثم تستعرض تيري الروايات المعاصرة التي تتعلق بالشرق الأوسط من خلال ثلاثة محاور ، وهي : (1) قصص المغامرات (2) قصص الجاسوسية والعنف (3) القصص المتصلة بالتمويل الدولي واحتياطيات النفط . وعرضت في المحور الأول

---

(1) انظر : مصطفى الدباغ ، الحرب النفسية الإسرائيلية (الأردن : مكتبة المنار ، 1406 هـ / 1986 م) ، ص 112 .

(2) J.J. Terry " Image of the Middle East in Contemporary fiction " in E. Ghareeb (ed), **Split Vision : The Portrayal of Arab in the American Media** (Wash. D.C. : The American - Arab Affairs Council, 1983), P. 316 .

قصصًا مثل : « الكوماندوز الإسرائيليون » و « الشرطة الأردنية »[1] ويُصوِّر الإسرائيليون في هاتين القصتين بوصفهم أبطالًا محبين للسلام ، بينما يبدو العرب إرهابيين مخادعين . كما تشير تيري إلى أن القصة الثانية تحاول أن توحي للقارئ — من خلال العديد من المشاهد — أن نظام القيم الإسرائيلية يقوم على الشرف واحترام الحياة ، أما القيم العربية فهي لا تحترم المرأة ولا الأطفال ، وأن العربي لا يفوّت الفرصة التي تتاح له لطعن عدوه من وراء ظهره !!

أما في النوع الثاني من الروايات ، وهي روايات الجاسوسية والعنف ، فتعرض تيري مجموعة منها مثل « الهدف الفاتيكاني » و « الجهاد » و « صلاح الدين » و « خطة ماسادا » و « خمسين »[2] وتؤكد هذه الروايات كلها على أن العرب هم الإرهابيون الذين يهددون حياة البرآء من الناس . وتلاحظ تيري أن جميع هذه الروايات تبرز دائمًا فكرة تعاون المخابرات والحكومات الغربية مع « الأبطال الإسرائيليين » في مقاومتهم للإرهاب العربي !!!

وتقدم الباحثة في المجموعة الثالثة روايات مثل « على الحافة » و « الدبة الفضية » و « شيء مؤكد ببليون دولار »[3] وتحاول هذه الروايات إقناع القارئ الغربي بأن المسلمين والعرب يمسكون بزمام الاقتصاد العالمي ، ويتحكمون في أسعار النفط من خلال منظمة أوبك . وتوحي رواية « على الحافة » بأن الشعوب الإسلامية لا تتحد فيما بينها إلا عندما تريد أن تسبب الأذى للغرب . وتتحدث الرواية عن اتفاق السعوديين والإيرانيين على رفع أسعار النفط ، ثم ترحيب بقية الدول الإسلامية ، بل ودول العالم الثالث ، بهذا الاتفاق . ولذلك فإن الشعوب العربية والإسلامية — كما توحي الرواية — إنما تهدف إلى التدمير الكامل للعالم الغربي !!

---

(1) مؤلفا هاتين الروايتين هما — على التوالي Andrew Sugar, Igal Lev.

(2) مؤلفو هذه الروايات هم — على التوالي Barry Schiff, Leonard Harris, Andrew Osmond, Isser Harel, and Menachem Portugali.

(3) مؤلفا الرواية الأولى هما : Benjamin Stein and Herbert Stein
أما مؤلف الروايتين الأخيرتين فهو : Paul Erdman.

وتخلص تيري إلى القول بأن صورة العالم العربي في الروايات المعاصرة مشحونة بكراهية كل ما هو عربي وإسلامي . ويُصوَّر العرب بشكل مستمر في هذه الروايات « بأحقر أنواع القذف العنصري » فهم يُصوَّرون على أنهم « لا إنسانيون ، جبناء ، معادون للمرأة والأطفال » . ويُصوَّر الإسلام في صورة « سلبية للغاية » ، ولا تجد في تلك الروايات ولو إشارة إلى الجوانب والإسهامات الإيجابية للعرب والحضارة الإسلامية . وبالإضافة إلى ذلك تبرز هذه الروايات العلاقة بين الغرب والعالم العربي بوصفها علاقة متواصلة من المصادمة الاقتصادية والعسكرية والسياسية . وفي مقابل ذلك ، لا توجد روايات معاصرة تعمل على المحافظة على التوازن . ولذلك ، كان طبيعيًا أن يستمر الفرد الغربي العادي في حمل هذه الصورة المشوهة دينيًا وعنصريًا عن العالم العربي والإسلامي ، والتي تسعى الروايات التي يقرؤها إلى ترسيخها في ذهنه[1] .

الصور النمطية للإسلام والعرب في الموسوعات والكتب المدرسية

رغم أنه من المفترض أن يكون العلماء وأساتذة الجامعات والباحثون الأكاديميون ، متحلّين بالروح العلمية وبالحد الأدنى من الأمانة والموضوعية ، وأن تكون دراساتهم العلمية مصادر ومراجع تتصف بالمصداقية ، إلا أن كثيرًا من هؤلاء العلماء والباحثين في الغرب يفتقدون هذه الصفات التي يتشدقون بها ويطالبون الآخرين بها ، عندما يتحدثون عن الإسلام والعرب .

وقد قام عفيف البوني بمراجعة علمية رصينة لعدد من الموسوعات الغربية الشاملة للوقوف على صورة العرب في هذه الموسوعات . وقد شملت المراجعة الموسوعة البريطانية والموسوعة اليهودية والموسوعة السوفييتية الكبرى والموسوعة الفرنسية . وقد وجد الباحث أن هذه الموسوعات تغافلت عن تتبع الجانب التاريخي

---

(1) J.J. Terry " Image of the Middle East " Op, Cit., P. 324

المشكّل للوجود والهوية العربية الإسلامية ، خاصة في مختلف الأقطار العربية خارج الجزيرة العربية منذ ظهور الإسلام . وقد أكد الباحث أن تجاهل هذه الموسوعات للكثير من المسائل التي تهم العرب بمقدار ما يسيء إليهم من خلال إنكار ما هو إيجابي في نهوضهم المعاصر ، بمقدار ما يضر بالباحث الغربي الذي يُمنَع من العثور على مصدر علمي يعرِّفه بحقيقة الأمة العربية . ويصف البوني الموسوعة البريطانية بأنها « لا تسعف القارئ أو الباحث بشيء هام يمكن أن يساعده على تأليف صورة معينة عن عرب الأمس واليوم لا في التاريخ ولا فوق الأرض ...»[1].

ويذكر زياد أبو غنيمة تشويهات دائرة المعارف البريطانية للإسلام والعرب ، فيقول إن الموسوعة تذكر أن محمدًا « زعم » أنه نبي مرسل من الله وأنه أعظم الأنبياء وخاتمهم ، وأن المسلمين يعبدون محمدًا ويعتقدون أن الكون خلق من نور محمد[2]. ويصف ديدرد المحرر في الموسوعة الفرنسية الرسول الكريم ﷺ بأنه « قاتل دجال ، وخاطف نساء ، وأكبر عدو للعقل الحر »[3]. أما موسوعة « تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي » التي أصدرتها منظمة اليونسكو ، فتقول عن الإسلام بأنه « تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والنصرانية ، بالإضافة إلى التقاليد الوثنية العربية التي أبقى عليها الإسلام كطقوس قبلية تجعلها أكثر رسوخًا في العقيدة »[4].

وتزعم دائرة المعارف السوفييتية أن الإسلام نشأ نتيجة وجود مجتمع طبقي بين العرب وكنتيجة لانتصار الاشتراكية . وتعرّف هذه الموسوعة القرآن الكريم بأنه « الكتاب المقدس الأساسي للمسلمين ، وهو مجموعة من المواد الدينية المذهبية والأسطورية والقانونية . ويعتبر محمد هو مشرع القرآن ، كما يعتبر مؤسس الإسلام » . وفي

---

(1) عفيف البوني : « صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية » المستقبل العربي (بيروت : العدد 101 يوليو 1987 م) ، ص 16 – 31 .

(2) زياد أبو غنيمة : السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية (عمان : دار عمار 1404 هـ / 1984 م) ، ص 116 .

(3) المرجع السابق ، ص 116 .

(4) المرجع السابق ، ص 117 .

قاموس التاريخ العالمي البريطاني ، نقرأ أن عصابة المافيا العالمية تمتد جذورها إلى أصول عربية ، ويقرر أن طبيعة العرب الإجرامية التي لا تقف عن السطو والقتل تؤكد هذه المقولة[1].

ويضيف أبو غنيمة أن معجم وبستر الأمريكي ، يعرّف العربي بأنه « رجل حيواني ، شهواني ، قاتل ، سفاك للدماء ، زير نساء ، متشرد ، متسكع ، متسول غبي ، فوضوي » . وهذا المعجم ، الذي يكاد يكون أقرب إلى الموسوعة ، يشرف عليه الناشر الأمريكي الضالع في خدمة الصهيونية وليم ليوليان[2].

وتُعدّ المدرسة أقوى المؤسسات الاجتماعية التي تسهم في تكوين الصورة النمطية عن الذات والآخرين . وفي ذلك يقول مارسيل بوازار إن المدرسة « هي التي تؤثر أشد التأثير على الصورة التي تكونها الأجيال الفتية ، فيما بعد ، عن الشعوب الأجنبية والعلاقات بين الثقافات المختلفة »[3]. ولا شك أن الكتاب المدرسي المقرر هو الوسيلة الفعالة في تكوين الصورة النمطية عن الآخرين في أذهان التلاميذ والطلاب .

ولقد تناول عدد من الباحثين صورة الإسلام والعرب في الكتب المدرسية الأمريكية ، وتوصل إياد القزاز إلى القول بأن الإسلام كان أكثر الموضوعات التي تضمنتها الكتب المدرسية الأمريكية تعرضًا « للتحيز والتشويه والاستبعاد »[4].

وقد استعرض سمير جرار بعض الدراسات التي أجريت في هذا المجال ، ولخص أهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات ومنها دراسة العلمي (1975 م)

---

(1) المرجع السابق ، ص 117 .

(2) المرجع السابق ، ص 118 .

(*) لدى مراجعتي لمعجم وبستر طبعة عام 1977 م لم أجد ما ذكره أبو غنيمة ، بل كان المعجم منصفًا في حديثه عن العرب والإسلام . ولربما كان ما أورده الكاتب في طبعة للمعجم تحت إشراف ليوليان . أما طبعة 1977 م فكان المشرف عليها هنري بوسلي وولف .

(3) مارسيل بوازار : الإسلام اليوم ، مرجع سابق ، ص 22 .

(4) انظر : A. Al - Qazzaz, " Image Formation and Textbooks ", in E. Ghareeb, **Split Vision,** Op. cit., P. 370.

التي استعرض فيها 58 كتابًا مدرسيًا في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، ودراسة سليمان (1974 م) ودراسة جمعية دراسات الشرق الأوسط عن « صورة الشرق الأوسط في المدارس الثانوية » (1973 م) ودراسة بيري (1975 م) عن الكتب الدراسية في المرحلة الثانوية أيضًا ، ودراسة جرار (1975 م) عن كتب الدراسات الاجتماعية في المرحلة المتوسطة[1].

كما قام إياد القزاز بإجراء دراسة موسعة خلال عامي 1979 م ، 1980 م عن الكتب المدرسية التي يستخدمها المدرسون في تدريس تاريخ العالم لتلامذتهم في المرحلة الثانوية في ثلاث مناطق هي ولاية كاليفورنيا وولاية نبراسكا ومدينة واشنطن دي سي العاصمة . وقد توصل الباحث إلى عدد من الملاحظات على هذه الكتب الدراسية ، يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

1 – كان التناول العام للإسلام في هذه الكتب مختصرًا ومبتورًا ، وقد اقتصر على ذكر أركان الإسلام ومبادئه الأساسية ، ونبذة عن نبي الإسلام ﷺ . ولم ترد في هذه الكتب أية إشارة إلى إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية ، كما أنها تجاهلت إنجازات الحضارة الإسلامية في مجال العلوم والطب والفلسفة . ولم تشر الكتب إلى تاريخ المسلمين في الأندلس الذي استمر لمدة 700 عام .

2 – أشارت دراسة العلمي 1957 م عن الكتب الدراسية في المدارس الابتدائية في أوهايو إلى أن هذه الكتب كانت تسمي الإسلام بـ « المحمدية » ، وفي هذه التسمية ما فيها من الإيحاء – إن لم يكن التصريح – بأن المسلمين يضعون محمدًا في مرتبة الإلٰه (حاشا وكلا) ، ولكن دراسة القزاز أثبتت تغيرًا في هذا الاتجاه .

3 – احتوت بعض هذه الكتب على صور مزعومة للرسول محمد ﷺ مع بعض التعليقات أو الشروحات عليها .

4 – أولت الكتب المدرسية اهتمامًا واسعًا للجانب الحربي في الإسلام ، وتحدثت

---

(1) انظر : S.A. Jarrer, " The Treatment of Arabs in U.S. Social Studies Textbooks : Research Findings and Recommendations ", in E. Ghareeb, **Split Vision,** Op. Cit., PP. 381 - 90 .

بإسهاب عن الجهاد أو « الحرب المقدسة » ، ففي أحد هذه الكتب وردت العبارة التالية : بخلاف تعليمات المسيح ، فإن محمدًا كان يمتدح ما أسماه بـ « الحرب المقدسة » . وورد في كتاب آخر ما يلي : « لم يقم اليهود بدعوة غيرهم إلى دينهم إلا قليلًا ، ونشر المسيحيون الإنجيل عن طريق التبشير . أما المسلمون فقد نشروا دينهم عن طريق الحرب والعنف » . وعرض كتاب آخر ثماني صور عن الإسلام كلها ذات علاقة بالحرب . ثم ختم المؤلف حديثه عن « الحرب المقدسة » في الإسلام بالسؤال التالي : « هل تعتقد أن روح الجهاد ما تزال موجودة الآن ؟ وهل تستطيع أن تدلل على ذلك ؟ » .

5 – زعمت هذه الكتب أن المرأة في الإسلام مهضومة الحقوق مهيضة الجناح . وقد أشارت بعض الكتب إلى أن النساء والبنات لا يأكلن إلا ما تبقى من طعام الرجال والأبناء ، وأن الأبناء يُعلَّمون بأن أمهاتهم ما هن إلا خادمات لهم ، وأن البنات لا يحسبن ضمن أولاد الأب[1].

كذلك وجد إل . إم . كني في دراسة له نشرت عام 1975 م تحيزًا وعدم دقة في تناول العرب والإسلام في الكتب المنهجية للعلوم الاجتماعية في كندا . لقد قام كني بتحليل محتويات تلك الكتب المنهجية المقررة للتدريس في مقاطعة أونتاريو ، وتوصل إلى القول بأن وصف ظهور الإسلام وانتشاره في تلك الكتب ، يزخر بالأغلاط في الوقائع ، ويحفل بالمدّعيات المشكوك فيها والإغفالات المهمة . وكل هذا – كما يقول كني – يسهم في تثبيت سوء التصور عن الدين والثقافة والحضارة الإسلامية . لقد زعموا في تلك الكتب أن الإسلام ولد بين بدو الجزيرة العربية الذين هم « أميون كليًّا » والذين يتخذون « من غزو القوافل تسلية يعتزون بها » .

ومن الأغلاط العديدة في الوقائع بشأن انتشار الإسلام ، التشديد على استخدام السيف في تحقيق ذلك . وحين يجري البحث في المعتقدات والتطبيقات الإسلامية ، فغالبًا ما يُذكَر الرق وتعدد الزوجات مع التشديد عليهما . يضاف إلى هذا أن

---

(1) Ibid., PP. 369 - 80.

مصطلحات مثل الوثنيين و « الكفار » تستخدم بتوسّع لوصف المسلمين المناهضين للصليبيين . ولم يجد كني في مراجعته لتغطية الكتب للتراث الثقافي للحضارة الإسلامية ، إلا نادرًا ، أية إشارة أو مسعى لبحث ما تدين به أوروبا في القرون الوسطى للثقافة الإسلامية في حقول العلوم المختلفة . وبدلًا من ذلك ، هناك تقليل من شأن الأصالة والطاقة المبدعة في الحضارة العربية الإسلامية وأحيانًا إنكار لهما[1].

وتقدم دراسة قامت بها جمعية « الإسلام والغرب » ملاحظات عديدة على الكتب الدراسية في المرحلة الثانوية في المدارس الفرنسية ، وتقول الدراسة « إن معظم الكتب المدرسية في أوربا الغربية وفي فرنسا بالذات ، تُجمِع على أن الرسول محمد ﷺ كان تاجرًا ونبيًا وقائدًا ، وأن شخصيته شاذة نوعًا ما ، فهو قد قضى طفولته معذبًا وتزوج من خديجة زواجًا مصلحيًّا ، وأنه كان يسعى إلى تحقيق مآرب سلطوية ومادية عبر الدعوة إلى الديانة الإسلامية ، باعتباره كان محبًا للمال ، ويحلم بالمركز والسلطة والحكم » . وقد ورد في أحد الكتب المدرسية الفرنسية أنه في سنة 610 للميلاد « رأى محمد حلمًا – وكان وقتها يعمل دليلًا لدى القوافل التجارية التي تعبر المنطقة – وكان قد توصل إلى إقامة علاقات مع اليهود والمسيحيين ، فطُلِبَ منه أن يكون نبيًا ، ومنها انطلق إلى الدعوة بوحي منه » !!!

ومن المغالطات التي وردت في الكتب الدراسية الفرنسية نسبة القرآن إلى محمد ، والزعم بأن الإسلام ديانة توفيقية جاءت معظم تعاليمها من التقاليد والأعراف المأخوذة من المسيحية واليهودية . وتصف كتب التاريخ التي تُدَرَّس في المدارس الفرنسية العرب بأنهم « لم يكونوا إلا غزاة غلاظًا متزمتين ومتعصبين ، فرضوا دينهم بحد السيف ، وأن الدول أو الشعوب التي قبلت باعتناق الإسلام إنما فعلت ذلك كي لا تدفع الجزية الباهظة التي فرضها المسلمون على الذين لا يدخلون في دينهم ،

---

(1) L.M. Kenny " The Middle East in Canadian Social Textbooks ", in Baha Abdulaban and Faith T. Zeadey, (eds), **Arabs in America : Myths and Realities** AAUG Monograph Series no. 5 (Wilmette, III. : Medina Univ. Press International, 1975), PP. 139 - 142.

وأن هؤلاء الذين اعتنقوا الدين الإسلامي من غير العرب ، كانوا أقل قيمة من المسلمين العرب ، لذلك ناصبوا الديانة الإسلامية العداء ، وخرجت منهم معظم حركات التمرد »[1].

ويتناول مارسيل بوازار دراسة علمية حديثة العهد ، وهي رسالة ماجستير نوقشت عام 1980 م ، في جامعة تولون بفرنسا ، عن صورة الإسلام في القرون الوسطى عبر الكتب المدرسية من 1945 إلى 1971 م . ويقول بوازار إن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة بالغة الدلالة ، فمن جهة لم تحظَ الحضارة الإسلامية إلا بنصيب ضئيل من الكتب المدرسية لا يتجاوز 4 ٪ من مضمون هذه الكتب . ومن جهة أخرى اتسم هذا الوصف المحدود للإسلام بجمود كبير بالرغم من اكتشافات الدراسات التاريخية المعاصرة[2].

ويعرض بوازار نماذج لما ورد في الكتب المدرسية الفرنسية عن الإسلام والعرب . فمن ذلك وصف النبي ﷺ ، فقد كتب اسمه بطريقة مغلوطة ، وجعلت منه هذه الكتب « شخصة مستبدة برأيها في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، حيث المظهر الديني حصرا حتى بولغ في وصفه » ، وتقوم الكتب المدرسية باستخدام الوصف النفسي – الزائف ، واستخدام النعوت التي هي بنفس الدرجة أحكام قيمية تقود إلى ذاتية غير مقبولة . وهكذا فمحمد الفقير يشعر بالأمن بفضل زواجه ، وخلال سفره التقى بيهود ونصارى ، وبتكريس أوقات فراغه للتأمل حصلت له رؤى « على طريقة الأنبياء » ، وقرر التبشير بـ « الرب – الله » (كما لو كان ربًّا خاصًّا بالمسلمين دون سواهم) . أخرج من مكة ، فظل مشغولًا باسترجاعها ، منذ البداية التجأ للعنف . مكنه فنه في قيادة الجموع من توحيد أنصاره الذين زرع فيهم روح التعصب ووعدهم بالجنة إذا ماتوا في سبيل « الحرب المقدسة » .

---

(1) انظر : جريدة عكاظ (جدة) نحن في عيون باريس ، (العدد 7071 ، بتاريخ 14 / 2 / 1406 هـ / 28 / 10 / 1985 م) .

(2) مارسيل بوازار : الإسلام اليوم ، مرجع سابق ، ص 26 .

أما تقويم الإسلام فإنه يجمع جميع القوالب : التعصب ، الخنوع ، الإهمال ، الاستسلام .. إلخ . المسلم الذي ما زالت بعض الكتب المدرسية تدعوه « المحمدي » هو « عبد الله » . أحد الكتب المدرسية يستشهد بالعبارة المشهورة « المكتوب (القضاء والقدر) » ليرسخ في فكر التلميذ فكرة لابد أنه سمعها في الشارع مرارًا . القرآن – عمومًا تدقق الكتب المدرسية بأن العبارة تعني في العربية «التلاوة » – يشتمل على « مذهب محمد »[1].

أما صورة الإسلام والعرب في الكتب المدرسية في ألمانيا الاتحادية ، فتحددها لنا دراسة عبد المجيد دويب عن « تاريخ تونس في كتب التاريخ المدرسية بجمهورية ألمانيا الاتحادية » التي نشرها عام 1977 م . إن صورة الإسلام التي تقدمها هذه الكتب للتلامذة الألمان هي : 1 – الإسلام يعيق التطور . 2 – استيقظ العرب بفضل (إسرائيل) وحدث تغيير كبير . استيقظ العرب نتيجة وصول اليهود إلى فلسطين . ونجم عن ذلك بلية متفاقمة ومعارك خيضت بتعصب لم يألفه عالمنا المتحضر . 3 – الدول العربية ، الموحدة على أساس الدين المشترك ، اكتشفت القوة التي تمكنها منها الثروة البترولية . لقد استخدمت البترول بنجاح حتى أصبحت الآن قوة عالمية[1].

الصورة النمطية للإسلام والعرب في الصحافة المطبوعة

حظيت الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في الصحافة الغربية بدراسات متعددة . وقد ركزت الغالبية العظمى من تلك الدراسات على بحث موقف الصحافة الغربية من الصراع العربي – الإسرائيلي بوصفه أهم المشكلات الدولية التي تتجسد حولها العلاقة بين الشرق الإسلامي من جهة وبين القوى الغربية من جهة أخرى .

ولعل أقدم دراسة لموقف الصحافة الغربية من الصراع العربي – الإسرائيلي

(1) المرجع السابق ، ص 26 - 27 .

(2) المرجع السابق ، ص 25 .

هي الدراسة التي قام بها حامد ربيع وحلل فيها مضمون عينة من الصحافة اليومية والأسبوعية الأوربية الصادرة في غرب أوروبا . وقد شملت العينة صحف : اللوموند والإكسبريس الفرنسيتين ومجلة الإيكونومست البريطانية ومجلة لونوفيل أبزرفاتور الفرنسية .

وقد دلت نتائج البحث على أن هذه الصحف والمجلات منحازة إلى (إسرائيل) وأنها قدمت صورة زاهية عن المجتمع الإسرائيلي ، وبالمقابل صورة باهتة عن المجتمع العربي . ويمكن تلخيص أهم ملامح الصورة الإسرائيلية في الصحف والمجلات موضع الدراسة فيما يلي : — (1) (إسرائيل) حقيقة تاريخية . (2) وهي ترتبط حضاريًا بالوجود الغربي . (3) وتعبّر أيديولوجيا عن الأفكار السياسية المعاصرة . (4) وهي دولة عصرية تمثّل أقصى مراحل التطور . (5) وهي دولة تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط جغرافيًا وتاريخيًا وحضاريًا . (6) ومنطقة الشرق الأوسط ليس فيها سوى جماعات وعقائد تعبر عن أقصى مظاهر التخلف الحضاري والمؤسسي[1]!!

أما في الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد قام ميخائيل سليمان بإجراء دراستين هامتين ، استخدم فيهما تحليل المضمون لتغطية عدد من الصحف والمجلات الأمريكية لحرب السويس عام 1956 م ، ولحرب 1967 م . وقد ضمت عينة البحث في الدراستين الصحف والمجلات التالية : نيويورك تايمز ، ويو إس نيوز آند ورلد ريبورت ، وذي نيشن ، وذي نيوربلك ، ولايف ، ونيوز ويك ، وتايم .

ولم تغيّر السنوات التي فصلت بين الدراستين (حوالي عشر سنوات) نتائج البحث كثيرًا ، بل يكاد يكون موقف الصحف والمجلات الأمريكية ثابتًا تجاه العرب والإسرائيليين . فبينما صورت الصحافة الأمريكية — في الدراستين — العرب بأنهم مفككون ومتنافسون فيما بينهم ، وأنهم لا يتسمون بالأمانة ولا يوثق بهم ، وأنهم يعيشون حياة بدوية وفي مستوى معيشي متدن وتسود بينهم اتجاهات غير ديمقراطية ،

(1) انظر : حامد ربيع ، فلسفة الدعاية الإسرائيلية (بيروت : مركز الأبحاث — منظمة التحرير الفلسطينية ، رقم 73 ، 1970 م) .

فإن الإسرائيليين قد حازوا في نظر الصحافة الأمريكية على صورة زاهية براقة تركز على روحهم البطولية ، واعتمادهم على أنفسهم وكفاءتهم ، وتبرز أمانتهم وثقتهم في أنفسهم[1].

وقد قامت تيري بدراسة لتغطية الصحافة الأمريكية للصراع العربي – الإسرائيلي عام 1973 م أثناء حرب أكتوبر – فوجدت أن التغطية الإخبارية للعديد من الصحف والمجلات قد تحسنت عن ذي قبل ، ولم تكن تحمل التحيز الكامل تجاه (إسرائيل) . ولكن الباحثة وجدت أن المقالات الافتتاحية والمقالات الخاصة التي كانت تلك الصحف والمجلات تنشرها ما تزال منحازة للصهاينة ومعادية للعرب[2]. وقد أكد هذه النتيجة ترايس (1979 م) في دراسته التي قام فيها بتحليل مضمون الافتتاحيات لإحدى عشرة صحيفة أمريكية للفترة 1966 م – 1974 م . فقد أوضحت نتائج التحاليل أن هناك اتجاهًا قويًا ضد العرب والفلسطينيين في تلك الافتتاحيات . ولاحظ ترايس – في الوقت نفسه – ازدياد نسبة نقد الصحافة الأمريكية (لإسرائيل) عما كان عليه من قبل[3].

وفي دارسة مشابهة قام بها دورتي و واردن (1979 م) لتحليل مضمون افتتاحيات أربع صحف أمريكية مشهورة هي : نيويورك تايمز ، وواشنطن بوست ، وكريستيان ساينس مونيتور ، و وول ستريت جورنال للفترة من 1967 م إلى 1977 م وجد الباحثان أن الاتجاه العام لهذه الصحف يتمثل في تصوير (إسرائيل)

---

(1) M. Suleiman, " An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines ", **Middle East Forum** : LXI : 2 (Late Autumn 1965) : 9 - 30; and M. **Suliman, American Mass Media and the June Conflict** (Chicago : North Western University Press, 1970) .
وانظر أيضًا : ميخائيل سليمان ، صورة العرب في عقول الأمريكيين (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية 1987 م) ، ص 29 - 64 .

(2) J. Terry, " 1973 Press Coverage on the Middle East, **Journal of Palestine Studies,** IV : (Autumn 1974), PP. 120 - 33 .

(3) R . Trice ,"The American Elite Press and the Arab - Israeli Conflict" The Middle East Journal , 33 : 4 (Summer 1979) , PP. 304 - 26 .

كدولة محاصرة ومحاطة بدول عربية معادية لها[1]. وفي هذا الاتجاه إيحاء قوي للتعاطف مع هذه الدولة المسكينة التي تناضل ضد أعداء متعصبين يحيطون بها من كل جانب !!

وتتناول دراسة بلكاوي (1978 م) موقف المجلات الأسبوعية الأمريكية من مشكلة فلسطين في فترتين هما 1967 م ، 1973 . وقد دلت نتائج البحث على أن العبارات التي كانت هذه المجلة تستخدمها في نقل تصريحات وأخبار المسئولين العرب والإسرائيليين مختلفة فيما بينها . فبينما كانت هذه العبارات – في مجملها – محايدة بالنسبة للإسرائيليين ، كانت منحازة بالنسبة للعرب . لقد كانت العبارات المستخدمة للجانب الإسرائيلي من أمثال : أخبر ، قال ، أعلن ، هدد ، حذر . أما بالنسبة للجانب العربي فقد تراوحت بين : صرح ، وطالب ، واتهم ، وهدد .

وقارن بلكاوي بين نتائج تحليله لمواقف الصحافة وبين نتائج استفتاءات الرأي العام الأمريكي حول الشرق الأوسط . وقال إنه بالرغم من ارتفاع نسبة تعاطف الأمريكيين مع العرب خلال حرب أكتوبر ، فإن الصحافة لم تغيّر موقفها بشكل ملحوظ[2].

وأجرى أحمد تركستاني دراسة علمية عن « تغطية التغيير الاجتماعي في المملكة العربية السعودية في ثلاث مجلات أمريكية خلال خمس سنوات 1975 م – 1980 م » والمجلات الثلاث هي : تايم ، ونيوزويك ، ويو إس نيوز آند ورلد ريبورت . وقد وجد الباحث أن تغطية هذه المجلات للسعودية قد اتسمت بالتعميم ، والنظر وفق المفهوم الغربي ، وعدم الدقة والأحكام العاطفية .

ونورد هنا بعض الأمثلة مما ورد على لسان هذه المجلات مما له صلة بتشويه

---

(1) D. Daugherty and M.Warden, " Prestige Press Editorial Treatment of the Midcast During II Crisis Years ", **Journalism Quarterly** 56 (1979) : 776 - 82 .

(2) J.M. Belkaoui, " Images of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966 — 74", Journalism Quarterly 55 : (1978) : 732 - 38 .

صورة الإسلام والعرب . فمثلًا ، تقول مجلة تايم إن « زواج الرجل بأكثر من واحدة – في السعودية – تجارة رائجة » . وقد أسهبت المجلة في وصف وضع المرأة ، وقالت إنها مواطنة من الدرجة الثانية ، ومظلومة ومغضوب عليها !! وقالت مجلة نيوزويك « القانون السعودي يعتمد على تعاليم الشريعة القاسية » ، وأسهبت في وصف الشريعة الإسلامية وكأنها ضد كرامة الإنسان وحقوقه !!

وتصف مجلة يو إس نيوز آند ورلد ريبورت المملكة العربية السعودية بكلمات ذات إيحاءات سيئة ، فتقول : « هذه الدولة الغنية بالبترول يديرها ورثة مقاتل صحراوي » . وتقرر مجلة نيوزويك بأنه « رغم ثروتها الجديدة ، فإن السعودية لا تزال متأخرة وفقيرة ومملكة إقطاعية » . وأخيرًا تقول مجلة تايم : « دول البترول اتحدت بعضها ببعض لاستغلال اعتماد الحضارة الحديثة على البترول »[1]!!!

وفي دراسة أكاديمية تناول غازي زين عوض الله الصورة الذهنية عن كل من العرب و (إسرائيل) وخصائصهم كما ظهرت في المقالات الافتتاحية لثلاث صحف أمريكية ، هي نيويورك تايمز ولوس أنجلس تايمز وكريستيان سانيس مونيتور في الفترة الممتدة من 1960 م حتى 1982 م .

وقد اختتم الباحث دراسته بالقول « إن الصحافة الأمريكية فيما يتعلق بمعالجتها للصراع العربي الإسرائلي متهمة بالتحيز (لإسرائيل) وتصوير العرب على أنهم مجموعة من الإرهابيين ، بل وبخدمة القضية الصهيونية . وقيل إن الصحافة الأمريكية هي التي دعت وشجعت ، بل وأملت على صانعي السياسة في الولايات المتحدة الالتزام التاريخي بإنشاء وحماية دولة (إسرائيل) وقد كشفت نتائج هذا البحث عن أن معالجة معظم الموضوعات الخاصة بالشرق الأوسط في أوائل السبعينيات في الصحافة الأمريكية اتسمت بالتحيز لـ « إسرائيل » .

وإذا كان اتجاه الافتتاحيات في الستينيات قد عكس وجهة نظر مؤيدة

---

(1) A. Turkistani, " The Coverage of Social Change in Saudi Arabia by Three American News Magazines 1975 - 1980 ", Unpublished Master's Thesis, California State University 1980 .

لـ « إسرائيل » – كما يقول عوض الله – « فهذا لا يعني أن الاتجاه دائم ومستمر لها .. فنتائج هذا البحث التي تشير إلى اتجاه الافتتاحيات في الصحف الأمريكية ، كانت مؤيدة لـ « إسرائيل » ومعادية للعرب دائمًا ، قبل وخلال الستينيات ، إلا أن هذا الاتجاه أخذ في التحول خلال السبعينيات ، ونُظِر إلى العرب بشكل أكثر تفهمًا وتعاطفًا فيما بعد سنة 1973 م ، وتوافق هذا مع الفترة التي لجأ فيها العرب إلى المحادثات الدبلوماسية وتطوير طرق عرض قضيتهم »[1].

وإذا كان لحرب رمضان 1393 (أكتوبر 1973 م) أثر بارز في تغيير بعض معالم صورة العرب في الأوساط الغربية – والأمريكية بشكل خاص – فإن هذا التغيير كان محدودًا في إطار الصفات البطولية للعرب ، بعد أن كانوا يوصفون بأنهم جبناء متخاذلون ، بينما لم تتغير الصفات السلبية الأخرى . فقد أفاد استقراء للرأي العام الأمريكي عام 1980 م أن نسبة كبيرة من المشاركين في الاستفتاء تشعر أنه من الممكن وصف العرب بأنهم برابرة قساة (44 ٪) ، غدارون ماكرون (49 ٪) يسيئون معاملة النساء (51 ٪) ، مولعون بالحروب ومتعطشون للدماء (50 ٪) وفضلًا عن ذلك ، نظرت نسبة كبيرة إلى أغلبية العرب أو إلى جميعهم على أنهم ضد المسيحيين (40 ٪) معادون للسامية (40 ٪) ويريدون تدمير (إسرائيل) وإلقاء إسرائيل في البحر (44 ٪)[2].

ويمتد التشويه المتعمد للشخصية العربية ليشمل الصحافة الدينية المسيحية – وخصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية – وقد قام خالد سليمان بتحليل التغطية الصحفية للصراع العربي – الإسرائيلي من قبل ثلاث مجلات دينية بروتستانتية مسيحية في الفترة من 1967 م إلى 1982 م . وهذه المجلات الثلاث هي : القرن المسيحي ، والمسيحية اليوم ، والمسيحية والأزمة . وتقوم الصحافة الدينية المسيحية بدور فعال في المجتمعات الغربية ، بحكم كثرتها وسعة انتشارها وقوة تأثيرها على العديد من قادة

---

(1) غازي زين عوض الله : العربي في الصحافة الأمريكية ، مرجع سابق ، ص 87 - 88 .

(2) انظر : ميخائيل سليمان ، صورة العرب في عقول الأمريكيين ، مرجع سابق ، ص 124 .

الرأي والقرار في تلك المجتمعات . ويوجد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها 3000 مطبوعة دينية دورية حسب إحصاء عام 1982 م وكان عدد هذه المطبوعات لا يزيد عام 1963 م عن 1500 مطبوعة .

وتمثل مجلة القرن المسيحي أهم المجلات الدينية البروتستانتية في المجتمع الأمريكي ، إذ توزع ما يزيد على 300 ألف نسخة ، ويذهب ثلث هذا الرقم إلى المكتبات العامة والجامعية في جميع أنحاء الولايات المتحدة . وقد دلت نتائج التحليل الذي قام به الباحث حول مضمون هذه المجلات الثلاث ، على أن هناك انحيازًا قويًا من هذه المجلات (لإسرائيل) يقابله عداء سافر للعرب . وتكاد تغطية هذه المجلات جميعًا تتفق على وصف العمليات العسكرية الإسرائيلية بأنها « عمليات دفاعية » ، بينما لا تتورع عن وصف العمليات الفدائية الفلسطينية بأنها « عمليات إرهابية » .

والأخطر من ذلك ، أن الباحث لاحظ أن هذه المجلات تضفي على استيلاء اليهود على فلسطين وإقامة كيانهم عليها ومواصلة توسعهم حولها طابعًا دينيًا ، إذ تفسر قيام (إسرائيل) تفسيرًا توراتيا ، وتعتبره تجسيدًا للوعد الإلـٰهي برجوع اليهود إلى أرض الميعاد !! ويربط إيكاردت – وهو أحد الكتاب البارزين في مجلة القرن المسيحي وأستاذ اللاهوت في جامعة ليهاي – بين ما أسماه جرائم المسيحيين ضد اليهود في العهد النازي ، وبين وضع اليهود الآن ، ويقول إن الطريقة الوحيدة المتاحة للمسيحيين اليوم للتكفير عن تلك الجرائم تتمثل في تحمل مسئولية دعم (إسرائيل) ورعايتها !!

وأشار الباحث في نتائج دراسته إلى أن المجلات الثلاث كانت تصور (إسرائيل) وكأنها دولة وليدة ضعيفة محاطة بجيرانها العرب الذين يريدون تدميرها وإلقاء أهلها في البحر . وصورت هذه المجلات اليهود في صورة المناضلين من أجل البقاء والذين يتصرفون بذكاء لتخطي العقبات التي تقف في طريقهم . أما العرب – في نظر الصحافة الدينية المسيحية – فقد ظهروا في صورة « القوى الشيطانية » التي تسعى إلى تدمير « إسرائيل الصغيرة » ، وهم بذلك يشبهون النازيين الذين أبادوا اليهود خلال الحرب العالمية الثانية[1]!!

---

(1) K.M. Suleiman, " The Palestinian - Israeli Conflict in Three American Protestant =

وقام حلمي خضر ساري برصد صورة العرب في الصحافة البريطانية في رسالته العلمية للدكتوراة عام 1983 م بتحليل مضمون التغطية الصحفية للوطن العربي من سنة 1968 م إلى 1980 م في أربع صحف بريطانية ، هي : الديلي إكسبريس والجارديان والتايمز والمورننج ستار . وقد خلص الباحث إلى القول بأن هذه الصحف البريطانية قد عكست « تحيزًا » ثقافيًا ذا استعلاء عرقي في نشر أحداث الوطن العربي . وقد تركز هذا الاستعلاء العرقي حول المصالح البريطانية الاقتصادية منها والسياسية ، في المشرق . ومن الناحية السياسية ، كان « الخطر السوفييتي » بوصفه خطرًا يهدد النفوذ السياسي والاقتصادي للغرب في « المشرق » بارزًا جدًا في الجرائد ، لا سيما في الديلي إكسبريس . كما ظهر النفط فيها ظهورًا جليًا فيما يتعلق بالمصالح الاقتصادية « الغربية » والبريطانية فيها بخاصة[1].

ويمكن القول – كما يؤكد ساري – « إن الصحف لم تقتصر فقط على إساءة عرض صورة الوطن العربي ، بل إنها وبشكل أكثر تأكيدًا وربما أكثر خطرًا ، أبقت شرائح كبيرة من قرائها على جهلهم وتخبطهم فيما يتعلق بالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي الذي مر به عدد من الأقطار العربية في العقدين الماضيين . ومع أن جريدة التايمز قد تطرقت بشكل استثنائي لبعض المشاريع والتطورات الجارية ، إلا أن « المشرق » المعاصر والمتغير بالنسبة إلى الجرائد لا يزال إلى حدّ ما هو « مشرق » المستشرقين « الخامد » والهامد والمثقل بالتقاليد »[2].

أما صورة العرب في الصحافة الألمانية الغربية ، فقد تناولتها مجموعة من الدراسات ، من أهمها دراسة كينيث ليفان (1970 م) الذي درس المواد الصحفية في وسائل الإعلام الألمانية حول حرب حزيران 1967 م وكان من بين ما أشارت إليه هذه الدراسة أن الصحفيين الألمان الغربيين كانوا يصوّرون الحياة في (إسرائيل)

= Journals ", Unpublished Master's Thesis, Southern LLinois University, 1983 .

(1) انظر : حلمي خضر ساري : صورة العرب في الصحافة البريطانية ، دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1988 م) ، ص 278 .

(2) المرجع السابق ، ص 278 .

تصويرًا رومنتيكيا ؛ (فإسرائيل) – في نظرهم – « الدولة الصغيرة الجسورة المعتمدة على نفسها » .

وقام الاتحاد العام لطلاب فلسطين بنشر دراسة أخرى ، تعالج الكتابة الصحفية الألمانية الغربية حول الشرق الأوسط على مدى سنتين من 1967 م إلى 1969 م . وقد أوضحت الدراسة أن العناوين التي ظهرت بها الصحف الألمانية حول العرب ، كانت مختلفة عن تلك التي وصف بها الإسرائيليون . فمن العناوين الصحفية حول العرب « اقتلوا اقتلوا ... » « إن هذا يزيد حقدنا بالتأكيد » « القَسَم بالانتقام » « فلوس السينما من أجل الإرهاب » « هم كلابنا » « القنابل في الأراضي المقدسة » « إرهابيو الجبهة الشعبية » « والبربرية » « تكتيك الفدائيين العرب » « استعمال الوحشية للوصول إلى النصر » . أما العناوين الصحفية حول (إسرائيل) فمنها : « أغنية الأبطال تعزف من جديد : حقيقة الانتصار الإسرائيلي » « تبرعوا لأطفال إسرائيل » « وأخيرًا عدنا من سيناء » « منذ عشرين عامًا تحارب إسرائيل من أجل وجودها ضد العرب » « الإنسانية عوضًا عن الوحشية » « سلام على إسرائيل » « المنتصر البسيط » « بواسل لكن وحدهم » « الدم يستصرخ السماء » « إسرائيل مستعدة للتفاوض » « إسرائيل تعلن الدفاع الفعال عن الذات »[1].

وتعدّ دراسة سامي مسلم « صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية » من أهم الدراسات العلمية التي تتناول موقف الصحافة الألمانية الغربية من العرب . وقد قام الباحث بتحليل التغطية الصحفية لأهم صحف ومجلات ألمانيا الاتحادية منذ اندلاع حرب أكتوبر وحتى نهاية 1973 م ، وكيف عكست هذه التغطية صورة العرب في نظر الألمان ، وذلك من خلال تحليل مضمون المقالات التي نشرت حول الحرب . وقد شمل التحليل ثلاث صحف يومية وهي فرنكفورتر الجماينة تسايتونج ، وزود ويتشه تسايتونج ، ودي فلت ، وصحيفة أسبوعية هي دي تسايت ، ومجلة أسبوعية هي ديرشبيجل .

---

(1) انظر : سامي مسلم : صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1986 م ط 2) ، ص 61 - 76 .

وقد دلت نتائج هذا البحث على أن صحافة ألمانيا الاتحادية نعتت (إسرائيل) على أنها البلد الصغير الشجاع المدافع عن وجوده ضد التهديد العربي ، وامتدحت الجندي الإسرائيلي ، ووصفت الكيان الصهيوني بأنه (بلد الديمقراطية والبناء الصناعي) . وبالمقارنة مع هذه الصورة لـ (إسرائيل) ، فقد صورت تلك الصحافة العرب ونعتتهم بالمتأخرين وغير المتطورين ، وبشكل عام لم يكونوا جنودًا شجعانًا ، فهم يفرون جزعًا أمام الجيش الإسرائيلي المنتصر . ووصفت هذه الصحافة الجندي العربي بأنه غير ملم بالتقنية الحديثة أو بالتنظيم الإداري . وأرجعت هذا التخلف إلى نمط عقليته الشرقية الغريبة كل الغرابة عن التقنية والتنظيم . كما أدانت الصحافة الألمانية الاتحادية المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني ووصمت المقاتل الفدائي الفلسطيني بالإرهاب[1].

ولاحظ مسلم في دراسته أن تحسنًا قد طرأ على الصورة العربية في الصحافة الألمانية الغربية بعد حرب أكتوبر 1973 م ، ولكن لم يستمر طويلًا ، إذ عادت الصحافة إلى تمجيد القوة الإسرائيلية ورد الانتصار العربي عام 1973 م إلى فضائل غير عربية مثل العقل المخطط والنظام والروح الواقعية[2].

أما في الصحافة الفرنسية فيورد لنا لوسيان بيترلن بعض العناوين المثيرة في الصحف الفرنسية . فمنها عنوان ظهر في صحيفة فرانس سوار 4 أكتوبر 1979 م « تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني يرتكز على الإرهاب » . كما كتب لوسيان لازار في زاوية المنبر الحر في (ف . إس . دي) ، 1 أغسطس 1979 م : « من الأطلسي إلى الخليج م . ت . ف . التي تسلحها الدول الشرقية تهدد طريق النفط » . وفي صحيفة الإكسبرس ، 24 نوفمبر 1979 م تظهر على غلافها صورة الكعبة وقد كتب بالخط الأحمر العريض « الإسلام يعني الحرب » . وفي باري ماتش 7 ديسمبر 1979 م نجد على الغلاف « الحرب المقدسة ، مراسلونا

(1) انظر : المرجع السابق ، ص 183 - 184 .

(2) المرجع السابق ، ص 190 .

في النقاط الساخنة من الإسلام » . ويعلق بيترلن بقوله : « ويلزمنا في الحقيقة ساعات طوال حتى يتسنى لنا تعداد الجرائد اليومية والدوريات الأوربية التي تلجأ إلى تضخيم الأحداث الفعلية أضعافًا مضاعفة ، ليس فقط لجذب القراء والمستمعين خدمة لأغراضها السياسية ، كما يؤكد علماء الاجتماع ، بل أيضًا لهدف تجاري ، إذ من حق هذا التضخيم أن يزيد من مبيعات الجرائد ومبيعات البرامج البصرية (التليفزيون) والسمعية (الإذاعة) »[1].

ويعدّ الكاريكاتير السياسي الذي تنشره الصحف يوميًا رسالة إعلامية بالغة الكثافة والاختصار عميقة الإيحاء والتأثير . وقد استُخدِم هذا الفن الإعلامي سلاحًا فعالًا في معركة تشويه صورة الإسلام والعرب في الصحافة الغربية . ويركز الكاريكاتير السياسي في الصحف الغربية على موضوعات مثل : العرب والنفط ، والعرب والجهل ، والعرب والحريم ، والعرب والإرهاب .

وكثيرًا ما يظهر ياسر عرفات – رئيس منظمة التحرير الفلسطينية – في الكاريكاتير السياسي الغربي ، في صورة « الإرهابي المتعطش للدماء » . فقد ظهر عرفات في رسم كاريكاتوري يجري مسرعًا نحو حافلة مليئة بالركاب ، وفي يده قنبلة تشتعل . وقد وقفت سيدة غربية تقول له : « أسرع – يا عزيزي – فسوف تفوتك الحافلة » . وفي رسم آخر ، يقف عرفات ضاحكًا وهو يرتدي بزته الفدائية وفي يده قنابل وبنادق وسكاكين ، يقف أمام باب الفاتيكان الذي رسم في صورة المحتار في أمر عرفات . وقد كتب تحت الرسم : « عرفات للبابا : انتظر ، فأنت لم تَرَ شيئًا بعد » .!!!

وقد اختار الرسام فرانكلين في صحيفة صن اللندنية اليومية حادثة معينة ، ليعرض الصورة التالية عن العرب : قوم بالغو السمنة ، قذرون ، يرتدون ثيابًا مهلهلة ، ويمرحون بسعادة بالقرب من سياراتهم الرولز رويس وجمالهم !! وفي رسم آخر يظهر العرب

---

(1) لوسيان بيترلن : « دور الإعلام العربي في أوروبا » في مجلة شئون عربية (العدد 17 ، يوليو 1982 م) ص 122 - 123 .

وهم يبتزون دولة عظمى ، إذ يصوَّرون كدولة واحدة ذات زعيم واحد وسياسة واحدة ويتمتعون بمركز تفاوضي موازٍ للولايات المتحدة ، بل إنهم يمارسون ــ كما يُظهر الرسم الكاريكاتوري ــ أفعالا قذرة ضد النسر الأمريكي كنتف ريشه وسحقه حتى الموت[1].

ويكشف ليندنمان (1983 م) في دراسة له عن التشويه المتواصل لصورة العرب في الرسوم الكاريكاتورية التي يرسمها هربلوك في واشنطن بوست الأمريكية . ويقول ليندنمان إن رسومات هذا الرسام تتركز حول موضوعين رئيسين هما : المقاطعة العربية والضغوط التي تمارسها دول النفط على الولايات المتحدة والتي يستجيب لها المسئولون الأمريكيون . أما الموضوع الآخر ، فهو المشكل الفلسطيني والإرهاب ممثلًا في شخص ياسر عرفات في أغلب الأحيان .

وقد صور هربوك في أحد رسومه الكاريكاتورية الرئيس ريجان وهو يخضع للضغوط العربية ، وخصوصًا في مسألة بيع طائرات الأواكس للمملكة العربية السعودية . وفي رسم آخر نشره عام 1982 م يظهر فدائيان فلسطينيان يحمل أحدهما طفلًا يبدو عليه ملامح غير عربية ، ثم يطلق عليه الرصاص من رشاشه وهو يبتسم . الفدائي الآخر يقول لمراسل تليفزيوني يصور المشهد : « ألا ترى أنه يحب الأطفال »[2].

وقد قام جورج دامون بتحليل الرسوم الكاريكاتورية التي ظهرت في صحف نيويورك تايمز وبوسطن جلوب وكريستيان ساينس مونيتور وسان فرنسيسكو كرونكال . وأظهرت دراسته المسحية أن الرسوم تثبت الاتجاه العدائي العنصري ضد العرب وتشوه سمعتهم . ويؤكد دامون أنه باستثناء رسامين اثنين في صحيفة مونيتور هما كرماك ولويلي واللذين لم يتخذا موقفًا ، فإن أغلب رسامي الكاريكاتور يميلون إلى مهاجمة العرب ، إمّا صراحة بالحطّ من مكانة زعمائهم أو ضمنًا . والصفات

---

(1) وليد خدوري : « النفط وأجهزة الإعلام الغربية » في الإعلام الغربي أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 68 .

(2) G.N. Lendenmann, " Arab Stereotyping in Contemporary Cartoon ", in E. Ghareeb, **Split Vision** Op. Cit., PP. 345 - 53 .

الرئيسة المنسوبة للعرب التي تتخلل هذه الرسوم هي الاعتدائية والعناد والسخف والإرهاب . كما أن اتهام العرب بأنهم من الشيوعيين كان موضوعًا متواصلًا كذلك في الرسم الكاريكاتوري[1].

ويُستَغَل الإعلان التجاري في الصحافة الغربية للسخرية بالعرب وتشويه صورتهم ، ولذلك يظهر العربي في بعض الإعلانات في صورة الهمجي المتخلف ، المطارد للفتيات . وقد رأينا منذ فترة وجيزة ، كيف قامت صحيفة صن البريطانية بنشر إعلان لشركة دنلوب لإطارات السيارات ، يظهر فيه العربي في صورة القاسي والإرهابي ، حيث لا يستطيع أن يؤثر على تلك الإطارات بأسنانه وخنجره !!!

كما نشرت إحدى الصحف الأمريكية عام 1985 م إعلانًا عليه صورة « العربي البشع » والإعلان يقول : « هل واشنطن للبيع ؟ اسألوا أوليفركاوان فهو يعرف » . وأوليفر كاوان هو وكيل لمكتب عقارات مشهور في واشنطن . والإعلان العقاري يتضمن دعاية لكفاءة الشركة وقدرتها التي لم تجد لتعلن عن ذلك خيرًا من صورة العربي الثري الملتحي ، والذي تبدو عليه معالم الخبث والمكر والدهاء وزجاج نظارته يعكس صورة الدولارات التي لا يرى إلا بها ومن خلالها[2].

ونختم الحديث عن مظاهر الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في الصحافة الغربية ، بتقديم نماذج مختارة لمقالات صحفية كتبها بعض الكتاب الغربيين ونشرتها صحف أو مجلات غربية ذات شهرة دولية لنتعرف من خلال هذه النماذج على المحور الرئيس الذي ترتكز عليه حملات التشويه الغربي ، والذي يتمثل في الهجوم على الإسلام ، وعدّه مصدر كل الشرور التي تلحق بالغرب والعالم ، ومن ثم تحريض العالم الغربي المسيحي لمواجهة الخطر الإسلامي والحيلولة دون اجتياحه للحضارة

---

(1) G.H. Damon, " A Survey of the Political Cartoons Dealing with the Middle East ", in : E. Ghareeb (ed .) **Split Vision**, Op. Cit., P. 158.

(2) انظر : مجلة التضامن (لندن) العدد 106 بتاريخ 20 / 4 / 1985 م من مقال بعنوان « امتداد نفوذ اللوبي الصهيوني : حملة تشنيع كاريكاتورية ضد العرب » .

الغربية المسيحية .

من تلك المقالات ، ما نشرته صحيفة صنداي تلجراف البريطانية في عددها الصادر يوم 17 ديسمبر 1978 م بعنوان « مواجهة الخطر الإسلامي » للكاتب بيرجرن ورشورن . والعنوان – في ذاته – مثير وعدائي . يقول الكاتب في سياق حديثه عن الانبعاث الإسلامي : كان الغربيون « ينظرون إلى العالم « المحمدي » حتى أوائل هذا القرن كقوة أجنبية على العالم المسيحي ، وعليه أن يخاف منها بكل حق . ولم يكن هذا لمجرد القوة العسكرية التي كانت الإمبراطورية العثمانية تتمتع بها .. إن الأعمق من ذلك بكثير كان الخوف المتأصل عبر الأجيال القائم على التجربة التاريخية مع دين قديم استطاع عبر القرون أن يثبت مقدرته على حقن جموع الرجال بمبادئ استعذوا للموت من أجلها ، تلك المبادئ المعادية للإيمان المسيحي !! » .

« ولكن الأحداث التي وقعت بعد ذلك شجعت الغرب على الظن بأن الإسلام قد فقد قدرته على اللدغ . وبينما كان جلادستون – وزير خارجية بريطانيا – يرى أن من التعقل أن يُتَمعَّن في فهم القرآن بنفس المواظبة التي يفهم بها التوراة ، وذلك لمعرفة روح العدو ، نرى أخلافه لم يعتنوا بدراسة أي شيء من هذا النوع ، بل ركزوا ، بدلًا من ذلك ، على دراسة « كفاحي » لهتلر ، أو « الرأسمال » لماركس . لقد حلت الفاشية أو الشيوعية محل الدين « المحمدي » باعتبارهما الخطر الذي يلاحق الخيال الغربي » .

ويواصل الكاتب – بعد أن يستعرض تاريخ العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي – فيقول : « لم يحدث أبدًا في تاريخ البشرية أن حصلت الرجعية الدينية على هذا الإنعام اللامحدود (يقصد ثروة النفط) . فيبدو أن هذه الدول (يقصد الدول النفطية) على وشك أن ترث العالم دون اللجوء إلى المبادئ والممارسات التي تحقق التقدم (النمو السليم ، والعمل الشاق ، والتعليم والديمقراطية والليبرالية) ، وبدون نبذ الأسس التي تحول دون التقدم (التعصب الديني والظلم والقهر والفساد والكسل) » .

« وغني عن البيان أن هذا الانطباع عن القوة الإسلامية والعقم الغربي لا يعدو أن يكون مجرد وهم ، وذلك لأن الغرب لو اختار أن يستخدم قوته الاقتصادية ، ناهيك عن استخدام قوته العسكرية ، فهو قادر على تحطيم سلاح النفط بدون أدنى صعوبة . ولكن شعور الغرب بالذنب قد وصل درجة عظيمة ، وهو شعور أوربا ما بعد الاستعمار ، وشعور أمريكا ما بعد فيتنام ، وهما لا يقرران اللجوء إلى ذلك بسبب هذا الشعود بالذنب ، وهما بذلك يشجعان الإسلام على أن يؤمن مرة أخرى بأن له قَدَرًا خاصًا به » .

ويختتم الكاتب مقالته بالقول : « وحتى يتم أولًا فهم هذا التحدي من الإسلام المنبعث ، في إطار العوامل العنيدة الكامنة وراءه ، والتي تتعدى حدود العقل والمادية وتشمل الثأر والغضب الديني ، فهل يمكن التوصل إلى الإجابات الصحيحة والمناسبة للرد على هذا التحدي ؟ ولابد أن تشمل هذه الإجابات إمكان استخدام القوة المسلحة . فتشجيع الإسلام المنبعث على الاعتقاد بأنه يستطيع أن يمضي في جهاده الجديد ، بدون أن تقف في وجهه قتاليتنا العسكرية ، سيعني الحكم على العالم المسيحي بمصير حقير يستحقه بقدر ما يدعوه بنفسه »[1].

ونشرت مجلة هاربر الأمريكية الشهيرة في عدد نوفمبر 1976 م مقالًا لكاتب اسمه آر . إي تايرل يقول فيه : « إن العرب ليسوا مثل الفيلادلفانيين (يقصد سكان مدينة فيلادلفيا الأمريكية) وليسوا مثل الفرنسيين ، بل إنهم ليسوا حتى مثل الإسرائيليين ... إن العرب متعصبون دينيًا ، وينتمون إلى دين إرهابي لا يمت إلى الغرب بصلة ... وإن وصية العرب لنا تتضمن كلمات الاغتيال والجهاد » .

ويتابع الكاتب أوصافه السيئة للإسلام والعرب فيقول : « ليس على وجه الأرض أقوام يتهجون بقتل بعضهم بعضًا كالصينيين والروس ، ولكن الصينيين والروس يفعلون ذلك من أجل أن يجعلوا مجتمعاتهم أكثر رفاهية وتناغمًا ، أما العرب فإنهم يقتلون لمجرد الإشباع الديني ... وعلى أي حال فإن العربي يحدّ شفرته بكل استمتاع ،

---

(1) وردت ترجمة المقال في مجلة المختار الإسلامي (القاهرة) عدد 15 ذو الحجة 1399 هـ .

وعندما ينتهي من الذبح فإنه يكون أكثر قربًا من الله »[1]!!!

أما النموذج الثالث فتقدمه مجلة ناشيونال إنكوايري الأمريكية وهي مقالة بعنوان « إرهابيو الإيدز : الخطر الجديد » للكاتب جورج جليدن . وينسب الكاتب في مقالته انتشار مرض الإيدز – نقص المناعة المكتسبة – إلى العرب أو من أسماهم « الإرهابيين العرب المصابين بالإيدز » . ويقول هذا الكاتب إن مجموعة من هؤلاء العرب يقومون بالاختلاط بالأمريكيين والأوربيين واليابانيين في مؤامرة « Plot » لإصابة الملايين بجرثومة الإيدز القاتلة . ويذهب الكاتب إلى القول بأن هؤلاء المتطرفين يؤمنون أن مهمتهم المقدسة لا تقل عن مهمة أولئك الانتحاريين الذين نسفوا مقر القيادة للقوات البحرية الأمريكية في بيروت ، وأن هذا الخطر الآتي ممن أسماهم بـ « إرهابيي الجنس » من الجدية إلى الحد الذي حدا بمسئولي الجمارك والهجرة في إنجلترا إلى إبعاد أي شخص منهم ممن تثبت إصابته بفيروس الإيدز ومنعه من دخول البلاد .

وينسب الكاتب إلى مسئول صحي في لندن القول : « إننا لسنا الدولة الوحيدة التي قامت باتخاذ إجراءات للحد من انتشار مرض الإيدز ... إن على المرء أن يدرك مدى جدية الوضع . إن لدينا تقارير تفيد أن بعض العرب المتطرفين المصابين بجرثومة المرض يقومون بنشره بحماس ... وإننا نقوم بتحذير أعضاء المجموعات ذات الاحتمال الأكبر في الإصابة – بائعات الهوى – والشاذين جنسيًا ومدمني الهروين – لكي يتجنبوا الاحتكاك بالعرب القادمين حديثا فيما لو تصرفوا بشكل مشبوه » .

ويضيف الكاتب بأن مسئولًا أمريكيًا أفاده بأن هناك آلافًا من « إرهابيي الإيدز » استطاعوا النفاذ إلى الولايات المتحدة . « إن طريقتهم في غاية الوضوح ، وهي ارتياد الأماكن المشبوهة مثل البارات المخصصة للشواذ جنسيًا ، والأماكن التي يكثر فيها

---

(1) W.G. Oxtoby, " Western Perceptions of Islam and Arabs ", in M. Hudson and R. Wolfe (ed) **The American Media and the Arabs,** (Wash. D.C. : Center for Contemporary Arab Studies, Georgetown Univ., 1980), P.9.

المخدرات وبائعات الهوى . ويمضي الكاتب قائلًا : إن مسئولي الصحة اليابانيين يقولون : « إن عربيًا يمكن أن يكون مسئولًا عن نقل عدوى الإيدز لأربع عشرة امرأة » .

ويعلق عبد العزيز الصويغ على هذا المقال فيقول : رغم أن المقال « يجنح إلى الخيال ، إلا أن الغرض منه واضح لا خيال فيه ، وهو تشويه الصورة العربية لدى المواطن الغربي لإذكاء موجة الحقد على العرب التي ينشرها اللوبي الصهيوني بمهارة يحسد عليها ... ورغم كل خيالات الكاتب المريضة التي تظهر مدى حقده وعنصريته ضد العرب والمسلمين ، فإنني لا أستبعد أن تتلقف هذه المقالة إحدى شركات الإنتاج السينمائي اليهودية ، لكي تصوغها في فيلم جديد ضد العرب يضاف إلى ملف هوليوود »[1].

الصورة النمطية للإسلام والعرب في السينما والتليفزيون

تتمتع وسائل الاتصال المرئية – وخصوصًا التليفزيون – بقدرة فائقة على التأثير ، وذلك بحكم خصائصها المميزة التي تجعلها تستخدم الصورة إلى جانب الصوت ، فتجسد الحدث أو الفكرة وتستقطب حاستي السمع والبصر . وإذا كانت الصحافة المطبوعة أداة فاعلة في التأثير على عقلية النخبة في المجتمعات الغربية ، فإن السينما والتليفزيون ينفردان بالتأثير الواسع والقوي على عامة الناس ، فيسهمان في صنع الوعي الجماهيري وتوجيه العقل الاجتماعي .

وللتليفزيون بشكل خاص مكانة بارزة وخطيرة في مجال التأثير الاجتماعي في الغرب ، وقد أصبح هذا الجهاز في المجتمع الأمريكي مثلًا الموجّه الأول للرأي والسلوك . يقول جورج جيربنر : « إن التليفزيون يقوم حاليًا – أكثر من أي مؤسسة ثقافية أخرى – بتشكيل المعايير والقيم السلوكية الأمريكية . وكلما زادت مشاهدتنا

---

(1) د . عبد العزيز حسين الصويغ : « الحقد الأسود » مجلة اليمامة (الرياض : العدد 960 بتاريخ 28 / 10 / 1407 هـ) .

للتليفزيون كلما زادت معتقداتنا المتأثرة بما يقوله التليفزيون عن هذا العالم الخارجي ، على الرغم من أن معظم ما يعرض هو محض افتراء ، أو تضليل إعلامي دعائي[1]. ويعتقد جيربنر أن التليفزيون في المجتمع الأمريكي قد تحول إلى مؤسسة تضطلع ببعض الوظائف التقليدية للدين ، ولذلك يمكن عدّه وريثًا للدين في ذلك المجتمع[2].

ولعل هذا الموقف السلبي للفرد الأمريكي تجاه ما يشاهده في التليفزيون واستسلامه الكامل لما يقدمه إليه من توجيه مباشر وغير مباشر ، هو الذي دفع هربرت شيلر إلى القول : « إن الاحصائيات المتعلقة بمشاهدة التليفزيون تبعث على الذهول ، إذ يُمضي الأمريكيون مئات الملايين من الساعات أسبوعيًا ، وبلايين الساعات سنويًا أمام أجهزة التليفزيون ، دون أدنى تفكير في مبارحة غرفة النوم . على أن الأمر لا يقتصر على التمهيد البدني الواسع النطاق لعدد لا حصر له من ملايين الأجساد . فتحجيم النشاط العقلي والذي يمثل المحصلة النهائية للعدد اللانهائي من ساعات الإرسال المملوءة ببرامج مبلدة للعقول ، يفوق أي حساب أو تقدير . كذلك لا يمكن حصر أو قياس التأثير التسكيني الذي يتعرض له الوعي النقدي ، رغم الأهمية البالغة التي ينطوي عليها هذا التأثير »[3].

ومن هذا التأثير البالغ للسينما والتليفزيون تكتسب عملية تشويه صورة الإسلام والعرب في العقلية الغربية أهميتها وخطورتها . وقد بدأت السينما منذ مراحلها الأولى في تشويه الشخصية العربية عندما ظهرت في العشرينيات أفلام سينمائية تصور العربي في صورة شيخ شبق جنسيًا لا يعرف سوى النساء . وكانت صورة العربي مقترنة دائمًا بالجَمل والصحراء والبداوة . وبعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين حفلت

---

(1) استشهد بذلك جاك شاهين في مقالة له بعنوان « الشخصية العربية في التليفزيون الأمريكي » مجلة العربي (الكويت) . العدد 340 مارس 1987 م .

(2) G. Comstock, **Television in America** (Beverly Hills, Ca. : Sage Publications, 1980), PP. 129 -30.

(3) هربرت شيلر ، **المتلاعبون بالعقول** – ترجمة عبد السلام رضوان (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، 106 ، محرم 1407 هـ – أكتوبر 1986 م) ص 39 - 40 .

فترة الأربعينيات والخمسينيات بعدد من الأفلام السينمائية التي تصور العربي بأنه « رجعي متعصب ، ماكر ، كاذب ، لا ذمة له ، نهم جنسيًا وكسول » . ومن أهم أفلام هذه الفترة « لص بغداد » و « كابتن سندباد » و « الصليبيون الجبابرة » و « هجوم الصحراء » و « طيران العنقاء » .

وقد أضيفت إلى الصفات السابقة بضع صفات جديدة مع تطور الأحداث في العلاقة بين العرب من جهة والغرب والصهيونية من جهة أخرى ، وذلك بعد حرب 1967 م ثم بعد حرب عام 1973 م . ومن تلك الصفات الجديدة صورة « العربي الهارب الجبان » و « الزعماء الفاسدين المتعصبين المتهورين » . ومع صعود حركة المقاومة الفلسطينية أضيفت صورة « الإرهابي المتعصب المتعطش للدماء » . وبعد حرب 1973 م وحظر النفط برزت صورة أخرى هي صورة « شيخ النفط الغني الذي يسيطر على مقدرات العالم ، ويحاول قطع الشريان الحيوي الذي يمد أمريكا والعالم بالحياة »[1].

ومن أهم الأفلام السينمائية التي ظهرت في فترة السبعينيات فيلم « الريح والأسد » ويروي قصة اختطاف العرب فتاة أمريكية ومطالبتهم الرئيس روزفلت بفدية . وكذلك فيلم « الأحد الأسود » الذي تتآمر فيه مجموعة من العرب على قتل المتفرجين في مباراة لكرة القدم في الولايات المتحدة ، لولا تدخل ضابط يهودي بطل !! ويصور فيلم « الخطأ هو الصواب » ملكًا عربيًا يحاول شراء قنبلتين نوويتين ليرسلهما إلى رئيس عربي ، كي يلقي واحدة منهما على (إسرائيل) ، ويلقي الأخرى على نيويورك ، ما لم يُقدّم الرئيس الأمريكي استقالته !!

ويسند هذه الأفلام مجموعة أخرى من الأفلام التي تبشر بالمبادئ اليهودية وتعزز المزاعم الصهيونية ، وتصور الإسرائيليين في صورة الأبطال المناضلين . ومن هذه الأفلام فيلم « الخروج » أو « إكسودس » وهو يحكي قصة هجرة اليهود إلى

---

(1) انظر : إدمون غريب : « الإعلام الأمريكي والعرب » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 84 .

فلسطين ، وتأسيس كيانهم الغاصب على أرضها . وتتخلل الفيلم مشاهد تظهر معاناة اليهود أثناء هجرتهم بصورة تستدر العطف . كما يُظْهِر الفيلم وحشية العرب الذين يبدون بمظهر المتعطشين للدم اليهودي . ويروي فيلم « أرض الفراعنة » قصة نزوح اليهود من مصر في حبكة مأساوية تستدر العطف على اليهود !!

إن صانعة الأفلام السينمائية والتليفزيونية هي مدينة هوليوود التي يقول عنها بن شتاين إن اليهود يشكلون أغلبية مميزة من كتاب أفلامها ومسلسلاتها . ويضيف شتاين « إن برامج التليفزيون تمثل في الواقع آراء عدة مئات فقط من الناس الذين يعيشون في الحي الغربي من لوس أنجلس ، ويمثلون نمطًا واحدًا وغريبًا في الحياة . ولسوء الحظ فليس بينهم من ينظر إلى العرب نظرة إيجابية »[1].

وقد قام الناقد الفني أحمد رأفت بهجت بتأليف كتاب ثمين بعنوان « الشخصية العربية في السينما العالمية » نشر عام 1988 م استعرض فيه حوالي 140 فيلمًا سينمائيًا ظهرت في الغرب لتشويه صورة الإسلام والعرب . وهي دراسة بالغة القيمة حيث تتبعت مسيرة التشويه السينمائي للإسلام والعرب منذ فيلم « بساط بغداد » الذي أنتج في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1915 م إلى أوائل الثمانينيات من هذا القرن . وقد تنوعت هذه الأفلام ما بين الأفلام التي تشوه التاريخ العربي وتتناول رومانسيات الصحراء وأجواء ألف ليلة وليلة والعرب والنفط وتعالج أيضًا المهاجرين العرب في أوربا[2].

ويستشهد أحمد رأفت بهجت على تشويه الشخصية العربية بتعليقات الدعاية المنشورة عن الأفلام الأمريكية التي تدور أحداثها في الصحراء ؛ فمن ذلك مثلًا ترديد الصفات الدعائية لنمط العاشق العربي فهو الجلف الفخور بنفسه الجاهل أو مدعي

---

(1) انظر : جاك شاهين : « وسائل الإعلام الأمريكية والصورة النمطية للعرب » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 27 .

(2) أحمد رأفت بهجت : الشخصية الغربية في السينما العربية (القاهرة : نادي القاهرة للسينما ، 1988) .

العلم . ثم تدمج هذه الصفات لتخرج منها تعليقات موجزة مثل : « عندما يرى العربي امرأة يريدها ، عليه أن يستحوذ عليها : حكمة عربية قديمة » . وفي إعلان عن فيلم « الهمجي » 1933 كتبت العبارة التالية « العربي يعرف فقط قانون الصحراء حيث يستولي المرء على الشيء الذي يريده »[1].

ويتناول بهجت بعض أفلام المخرج سيسل دي ميل التي كانت تهدف إلى تشويه صورة الإسلام في العقل الغربي . ومن هذه الأفلام « العرب » 1915 م الذي يبيّن عنصرية دي ميل ضد العرب . ولكنه لا يكتفي بذلك بل يهاجم الإسلام من خلال أفلام أخرى مثل فيلم « الأمير » 1915 م حيث يدين العلاقة بين الشاب التركي المسلم (محمود) والفتاة الأرمينية التي تقع في غرامه بعد إذلاله كأسير لشعبها . ويسخر بترفع وعداء من الخلفاء المسلمين عندما يصور أحدهم كزير نساء في فيلم « لا تستطيع امتلاك كل شيء » 1918 م . وتنبعث نغمة استخفافه من القائد العربي المسلم صلاح الدين الأيوبي عندما يجعله يقع في الغرام تحت تأثير الجاذبية المكتسحة لزوجة ريتشارد قلب الأسد المسيحية المؤمنة في فيلم « الصليبيين » 1935 م[2].

أما أفلام الحقبة المعاصرة فيعرض منها بهجت أفلامًا مثل « أيام الكوندور الثلاثة » 1975 م و « شبكة التليفزيون » 1976 م و « ملف الذهب الأسود » 1978 م و « رجوع » 1981 م و « الخطأ والصواب » 1982 م . وكلها تدور حول تحريض المجتمعات الغربية على المستويات الحكومية والشعبية والفردية على الانتقام من العرب بسبب أزمة الطاقة . ففي فيلم « شبكة التليفزيون » يتردد صدى صرخات أحد الممثلين ليقول :–

لست في حاجة إلى أن أقول لكم إن موجة كساد تنتشر . الدولار ينهار . ولا أحد يعرف ما يفعل .

جرائم القتل تزيد ...

---

(1) انظر : المرجع السابق ، ص 91 .

(2) المرجع السابق ، ص 93 ، 94 .

أريد أن أعيش وحدي .
لا أريد منكم احتجاجًا أو تمردًا .
أريد منكم أن تنهضوا وترفضوا قبول هذا .
وحينئذ سنفكر في الكساد وأزمة البترول[1].

وتعدّ دراسات جاك شاهين أوسع الدراسات التي تناولت صورة العرب في التليفزيون الأمريكي ، إذ قام برصد وتحليل أكثر من 100 عمل تليفزيوني متنوع في الفترة من 1975 م إلى 1984 م . وقد تناولت تلك الأعمال جميعها الشخصية العربية وأبرزتها في برامج الأطفال والبرامج الدرامية والكوميدية والبوليسية والوثائقية وقد جمع جاك شاهين تحليلاته وملاحظاته في كتاب أصدره عام 1984 م بعنوان « عرب التليفزيون »[2].

إن الدراما التليفزيونية البوليسية تجذب بما تحويه من عنصري الإثارة والتشويق اهتمام الصغار والكبار فيقبلون على مشاهدتها . وتعرض العديد من التمثيليات والمسلسلات الدرامية البوليسية صورًا عن العرب بشكل مثير ومقزز . ويروي جاك شاهين أن إحدى حلقات مسلسل ملفات روكفورد تبرز أسرة عربية متحجرة القلب عديمة الرحمة والشفقة . وحين يعلم (روكفورد) بوجود علاقة عاطفية بين صديقه سيسن وفتاة عربية متزوجة يحذره قائلًا إنه لا يريد رؤيته معلقًا رأسًا على عقب والعرب يتسلون بنكش أسنانه . وحين يكتشف الأب العربي هذه العلاقة يعقد مجلس العائلة محاكمة صورية عاجلة ، ويحكم بالموت على الفتاة العربية . ويشاهد أحد أفراد الأسرة ونسخة من القرآن الكريم أمامه ، وهو يصرخ قائلًا يجب أن يكون التنفيذ في بلادنا وليس هنا . وتدفع الأسرة الفتاة قهرًا إلى طائرتهم الخاصة ، لكن روكفورد – وبحيلة ذكية – يدبر إجراء تفجير متعمد ، تستطيع الفتاة على أثره الهروب معه ويموت الأب

---

(1) المرجع السابق ، ص 189 .

(2) Jack G. Shaheen, **The TV Arab** (Bowling Green, Ohio : Bowling Green State Univ. Press, 1984).

بنوبة قلبية[1].

وتحاول الدراما البوليسية تصوير الإنسان العربي وكأنه « وحش جنسي » مولع بشقراوات أمريكا . ففي مسلسل ماكلاود يتصدى البطل لمجموعة من المهووسين العرب الذين يختطفون إحدى ملكات الجمال ، في أثناء احتفالات المسابقة . ويقوم ماكلاود بتحرير الفتاة ومن معها من جناح الحريم التابع لذلك العربي البدين الذي يفضلهن شقراوات صغيرات[2]!!!

وفي مسلسل آخر اسمه « وندر وومن » أو المرأة العجيبة تصور إحدى الحلقات واحدًا من المجرمين من رجال الأعمال العرب الجشعين الذي يضع مخططًا يضمن عن طريقه إنجاح مؤامرة شيطانية تتعلق برفع أسعار الذهب العالمية . وإلى جانب تصويره كشرير ، تضيف الحلقة صفة الحمق إلى العربي الذي لا يدرك أن العصابة القوقازية التي تعاونت معه إنما تعمل على خداعه[3]!!

وتبدو السخرية من تعاليم الشريعة الإسلامية في إحدى حلقات مسلسل فواريفر فرنوود إذ تقدم الحلقة شيخًا يتفاوض مع عصابة للمافيا على شراء أرض في ولاية أوهايو . ويبدو أحد أبطال المسلسل وهو يسخر من العادات الإسلامية . كما نجد شخصًا آخر وهو يتهكم عند شرحه لأحد قوانين الشريعة الإسلامية ، ويقول إنه ليس قاسيًا حيث لن تقطع اليد كلها وإنما شريحة صغيرة إلى حد الرسغ فقط[4]!!

وأما في مجال المسلسلات الكوميدية الاجتماعية ، فيبدو العربي في أكثر من ثلاثين عملًا تليفزيونيًّا من هذا النوع إنسانًا غريب الأطوار . ومن تلك الأعمال دينستي ومات هيوستن وأليس . وفي إحدى حلقات المسلسل الأخير نشاهد ثريًّا عربيًّا من

---

(1) Ibid., PP. 49 - 50.

(2) Ibid., P. 50.

(3) جاك شاهين : « صورة العربي في الإعلام الأمريكي » ترجمة د . جاسم محمد جرجيس ، مجلة التوثيق الإعلامي – مرجع سابق ، ص 33 .

(4) المرجع السابق ، ص 35 .

أمراء البترول له ثلاث زوجات ويحاول أن يجعل من (فلو) – وهي عاملة مطعم أمريكية – زوجة رابعة له وذلك بسبب شعرها الأحمر الرائع . ويقوم الرجل بدعوة هذه المرأة – بعد خطبته لها – وأصدقائها للسفر معه إلى موطنه على متن طائرته الخاصة البوينج 747 . ويبدو العربي في الحلقة كما لو أنه يريد شراء أمريكا كلها . وتكتشف العاملة الأمريكية المسكينة أن لهذا العربي زوجات أخريات – لأنه لم يخبرها بالحقيقة – وتقول بأن العرب لا يطلقون زوجاتهم وإنما يضعون للزوجة الجديدة سريرًا إضافيًّا في الخيمة . وهنا تثور المرأة الأمريكية لكرامتها وتستعلي على الإغراء المالي فترمي خاتم الخطبة الذي يبلغ ثمنه مائة ألف دولار[1]!!

وفي بريطانيا عرض التليفزيون البريطاني في عام 1987 م سهرة تليفزيونية على حلقتين بعنوان « الحريم » شارك في بطولتها الممثل العربي عمر الشريف الذي قام بدور السلطان العثماني عبد المجيد . وهي سهرة تهدف إلى تشويه صورة الإسلام فالغرب يأخذ دائمًا على الإسلام تعدد الزوجات وينسج الأساطير حول الحريم في قصور السلاطين ، حيث النساء لا عمل لهن إلا أن يتزين ويأكلن ويجلسن ويرقصن ويتعلمن فنون الحب وينتظرن دورهن في ليالي السلطان الجميلة . إن هذا البرنامج يصور المرأة المسلمة امرأة بلا أفق وبلا طموح غير طموح الليلة الموعودة . ومع كل مشهد راقص أو خليع في هذا البرنامج تختفي الصورة للحظات لتفسح مجالًا للمآذن حيث ينطلق الأذان الإسلامي للصلاة !! ويتكرر هذا في العديد من لقطات البرنامج . كما يصوّر البرنامج الإسلامَ دينَ كبت وقمع وقتل وتشريد ومصادرة للحريات[2].

ولم تَسْلَم البرامج الإخبارية والوثائقية من الاشتراك في حملات التشويه الإعلامي لصورة العرب وما يمثلونه من مبادئ وتقاليد ؛ فها هو ذا برنامج إخباري وثائقي محترم وهو برنامج « ستون دقيقة » يسهم في بعض حلقاته في التشويه البغيض . فقد تناول البرنامج في حلقة بعنوان « العرب قادمون » خروج العرب إلى لندن في الصيف

(1) J.G. Shaheen, The TV Arab, Op. Cit. 65 - 66.

(2) انظر : مجلة المجلة « عمر الشريف بطل الإساءة إلى العرب في التليفزيون البريطاني » العدد 415 بتاريخ 20 - 26 / 1 / 1988 م ، ص 60 - 61 .

وما ينفقونه من أموال باذخة خلال إقامتهم . وقد ورد في الحلقة أن العرب « يحتلون بريطانيا » . ويُجري مقدم البرنامج مقابلات مع بعض البريطانيين الذي ينظرون إلى العرب نظرة استخفاف وسخرية . وفي حلقة أخرى بعنوان « رجل بـ 600 مليون دولار » يعرض البرنامج العرب – والسعوديين بوجه خاص – وكأنهم يريدون شراء أمريكا . ويقول مقدم البرنامج بأن الاستثمارات العربية في الولايات المتحدة قد بلغت عشرين بليون دولار ، وأنها تزيد بمقدار بليون دولار كل عام . وفي الوقت الذي تضخّم فيه هذه البرامج مقدار الاستثمار العربي تفيد وكالة الأسيوشيتدبرس الأمريكية وصحيفتا واشنطن بوست ولوس أنجلس تايمز أن الاستثمارات العربية لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من مجموع استثمارات الدول الأخرى وأن الهولنديين والبريطانيين والكنديين والألمانيين والسويسريين والفرنسيين واليابانيين يحتلون المراتب المتقدمة في الاستثمار .

ويبقى الخطر الأكبر ممثلًا في برامج الأطفال التي يقدمها التليفزيون الأمريكي . ويتضح هذا الخطر من خلال معرفة متوسط الوقت الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة التليفزيون إذ يبلغ ثلاثين ساعة في الأسبوع . وتفيد الإحصاءات أن الشاب الأمريكي عندما يتخرج من المدرسة الثانوية يكون قد أمضى من عمره في مشاهدة التليفزيون ضعف ما أمضاه في فصول الدراسة . وبالأرقام فإن هذا الشاب يكون قد أمضى 22 ألف ساعة أمام التليفزيون .

إن الطفل الأمريكي ينشأ منذ نعومة أظفاره على كراهية العرب أو على الأقل احتقارهم . ومن خلال برامج الأطفال الكرتونية المتنوعة في التليفزيون يشاهد الطفل أبطاله المحبوبين وهم ينتصرون على هؤلاء العرب الأشرار وينقذون العالم من مكائدهم وشرورهم . فهذا وودي ود بيكر يحشر جنيًّا عربيًّا داخل قمقمه . وهذا بوباي يستعرض عضلاته المعهودة في تأديب شيخ عربي يرتدي ملابس الذئب . والرجل الوطواط يقذف بيضة فاسدة في وجه أحد السلاطين العرب . وهذا لا فيرن وشيرلي يحبطان محاولة أحد الشيوخ العرب لغزو أمريكا وتدمير العالم . وعندما يحاول ساحر عربي تحويل سكوبي دو إلى قرد ينقلب سحره عليه فيتحول العربي نفسه إلى قرد .

وفي مسلسل طرزان نرى العرب يقتلون النساء والرجال السود ويبيعون الأولاد السود في سوق النخاسة[1].

إن الأطفال الأمريكيين يستوعبون مبكرًا في حياتهم – ومن خلال هذه البرامج والأفلام التي تقدم لهم – كثيرًا من المفاهيم المغلوطة والصور النمطية السيئة عن العرب . وتنتقل معهم هذه المفاهيم والصور عندما يصبحون كبارًا لتؤثر على طريقة تفكيرهم وتعاملهم مع العرب والمسلمين . وقد كشف أحد الاستفتاءات مدى الجهل والافتراء المغروس في أعماق الشبيبة الأمريكية حيث جاءت معظم تعريفاتهم للعرب بأنهم « شعب همجي ، وحشي ، مولع بالحرب والقتال ، واسع الثراء ، مستعبد للنساء » . وقد ذكرت إحدى المعلمات الأمريكيات أن انطباعها الأول عن العرب كان قد تكون لديها من خلال شخصية « ماجو » الشرير في إحدى المسلسلات الكرتونية المستوحاة من قصص ألف ليلة وليلة[2]!!

أما في وسائل الإعلام البريطانية المرئية فلا تختلف الصورة كثيرًا ، ففي مجال المسرح عُرِضَتْ قبل فترة مسرحية بعنوان « الذين يتغيرون » بطلها شاب عربي ينتهك حرمة أسرة إنجليزية ثم لا يدفع لها شيئًا . وعرضت مسرحية « القشعريرة » التي تصور شابًا عربيًا يحب فتاة إنجليزية ساقطة لكنها ترفضه وتحتقره وتفضل عليه عامل بناء فقير من أبناء وطنها . وفي مجال الأغنية الشعبية الرائجة تقول كلمات إحدى أغنيات الروك :

دعني أحدثك عن أي هاب
الآي – عربي
شيخ الصحراء المحترقة
الذي يملك الزمرد والياقوت

---

(1) جاك شاهين : « الشخصية العربية في التليفزيون الأمريكي » مجلة العربي ، مرجع سابق ، ص 21 .

(2) المرجع السابق ، ص 20 .

ويضع خاتمًا في كل أصبع
ويلف رأسه بعمامة
ويحمل سيفه الأحدب
وفي كل مساء عند منتصف الليل
يمتطي جمله (كلايد)
متوجهًا إلى خيمة فاطمة[1]

وتقول كلمات أغنية أخرى :
أقف على الشاطئ
وبندقيتي في يدي
أحملق في مياه البحر .... وفي رمال الصحراء .
فأسخر من النفط .. وأتمنى أن أقتل العربي[2].

وفي مجال التليفزيون عرضت هيئة الإذاعة البريطانية في قناتها الرابعة في عام 1987 م برنامجًا بعنوان « سيف الإسلام » ، يبدأ البرنامج بكرة أرضية تدور ثم تدور . وفجأة تنفجر الكرة الأرضية وتتناثر شظايا ، ثم يبرز من قلبها سيف تقطر منه الدماء . عندئذ يظهر عنوان البرنامج وهو « سيف الإسلام » .

ويبدأ البرنامج التليفزيوني بتقديم معلومات تقول إن الإسلام هو أكبر ديانة يعتنقها الناس في العالم اليوم ، والقاهرة هي أكبر عاصمة إسلامية . وبعد أن تحررت المرأة في عصر قاسم أمين وخلعت حجابها ، انكفأت وارتدت في عصرنا وعادت تلبس الحجاب . ويجري البرنامج حوارًا مع مجموعة من الشخصيات المصرية عن هذه المأساة !!! وقد حرص البرنامج على اختيار معظم الشخصيات من المهووسين أو المتعصبين أو الباهتين ، لكي يصل في النهاية إلى التأثير المطلوب ، وهو محنة العالم بسبب المد الإسلامي .

---

(1) انظر : مجلة كل العرب (العدد 1511 ، 11 / 7 / 1985 م) .
(2) انظر : جريدة الشرق الأوسط (23 / 11 / 1407 هـ) .

وبعد ذلك ينتقل التحقيق التليفزيوني إلى لبنان ليتحدث مع الشيعة الذين قالوا إن الفلسطينيين دخلوا لبنان فاستقبلهم الشيعة بكل ترحاب ، وبعد أن كانوا ضيوفًا انقلبوا إلى مغتصبين يريدون طرد أصحاب البيت . ولهذا السبب يرينا البرنامج فيلمًا لدخول الجيش الإسرائيلي لبنان وترحيب اللبنانيين به !!!

وينتقل البرنامج إلى إيران وقد صارت بؤرة تصدير الإشعاع المتطرف ويختار التحقيق يوم عاشوراء ، وهو يوم عيد حزين عند الشيعة ، فيرينا كيف يحلق الشباب مربعات في رأسه ، ثم يبدأ الاحتفال بأن يضرب كل واحد هذا الجزء الحليق من رأسه بسلسلة حتى تسيل الدماء !!

إن ما يريد البرنامج أن يقوله هو أن ما يهدد الكرة الأرضية بالانفجار هو هذا السيف الدامي الذي يحمله المسلمون . هؤلاء هم الخطر الجديد الذي يهدّد البشرية .

وتوظف وسائل الإعلام الغربي العديد من الأساليب والتكنيكات الإعلامية لخدمة أغراضها في حملاتها المغرضة التي تستهدف تشويه صورة الإسلام والعرب في المجتمعات الغربية . وقد أورد محمد علي العويني مجموعة من تلك الأساليب والتكنيكات ، من بينها أسلوب الارتباط المزيف إذ يتم الربط بين موضوعين لا رابط بينهما مثل الربط بين وضع المرأة المتدني والإسلام . كما يتم اللجوء إلى تكنيك التشويه بطرق مختلفة ، منها تصوير العربي بأنه دائمًا داكن اللون وغامض وعاجز ومخادع . ومن تلك التكنيكات أيضًا تكنيك القابلية للتصديق وذلك بالنسبة لمرتكزات الحملات الدعائية المغرضة وعدم القابلية للتصديق بالنسبة للاتصال العربي وما يرتبط به من الصور النمطية الإيجابية .

كما تستخدم الحملات الإعلامية الغربية تكنيك الغمز ، وذلك بتوجيه اتهامات بشكل غير صريح ، مثل إقحام الإسلام في الموضوعات البترولية للإساءة إلى الدول العربية البترولية . كما تلجأ إلى استخدام تكنيك عرض الرأي على أنه حقيقة . وقد يمتزج هذا التكنيك بتكنيكات أخرى كالكذب والارتباط المزيف والتشويه مثل تقديم العرب والمسلمين على أنهم مجرد مصدّري نفط وإرهابيين .

ويضيف العويني بأنه يتم اللجوء إلى التكنيكات السابقة بالإضافة إلى التكرار والمبالغة والاعتماد على المصادر الموثوقة ، علمًا بأنها مصادر معادية للعرب والمسلمين . ومن تلك التكنيكات أيضًا تغطية الموضوعات والأحداث بشكل سطحي وغير دقيق[1].

هذه هي مظاهر الصورة النمطية السيئة للإسلام والعرب التي تتضافر جميع وسائل التوجيه والإعلام في المجتمع الغربي على ترويجها وترسيخها في أذهان الغربيين . وتستخدم هذه الوسائل جميع الفنون الإعلامية والأساليب والتقنيات الفنية ، فيما يشبه الحملات المتصلة التي لا تنقطع ، والتي تجثم على صدور الغربيين كالكابوس المزعج الذي يتكرر كل ليلة دون توقف .

* * *

---

(1) انظر : محمد علي العويني : « الصورة النمطية والسياسة الخارجية العربية » في كتابه دراسات في الإعلام الحديث . (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1986 م) ، ص 51 - 53 .



□ العوامل التي أسهمت في تكوين الصورة النمطية للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي

إن من الخطإ المنهجي تفسير ظاهرة الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب وترويجها عبر وسائل الإعلام الغربي المعاصر بإرجاعها إلى عامل واحد دون غيره . لقد أسهمت عوامل عديدة ومتنوعة في تكوين هذه الظاهرة وفي دفع وسائل الإعلام إلى ترسيخها في العقل الغربي . لذلك يتطلب التحليل الموضوعي الشامل لهذه الظاهرة دراسة تلك العوامل المتعددة ومعرفة دور كل عامل في تكوين الظاهرة والتأثير فيها . ويمكننا تصنيف هذه العوامل إلى أربع مجموعات هي :-

1 - العوامل النفسية . 2 - العوامل السياسية . 3 - العوامل الإعلامية . 4 - العوامل الذاتية .

أولًا : العوامل النفسية

○ **العداء للإسلام :**

لقد تحدثنا في الفصل الثاني من هذه الدراسة عن التطور التاريخي لظاهرة الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في التراث الغربي منذ بدء العلاقة بين الغرب المسيحي والإسلام في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . واستعرضنا بعض الجذور الدينية والثقافية لهذه الظاهرة منذ أن بدأ اللاهوتيون المسيحيون في تقديم الإسلام والرسول ﷺ إلى العقل الغربي بصورة منفرة وبعيدة عن الحقيقة والواقع . كما بينا الجهود التي بذلها الصليبيون ثم المستشرقون في سبيل بناء الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب في المجتمع الغربي .

ولا شك أن الصورة النمطية التي تقدمها وسائل الإعلام الغربي المعاصر لجماهيرها تستمد جذورها وأسباب بقائها واستمرارها من ذلك التراث الغربي الممتد الذي اتسم - في مجمله - بالعداء لكل ما يتصل بالإسلام والعرب من قيم حضارية ومعارف ورموز فكرية . ولذلك يمكن القول - باطمئنان - إن وسائل الإعلام الغربي المعاصر إنما تقوم - شعوريًا أو لا شعوريًا - بعملية استدعاء مستمر لذلك المخزون النفسي والثقافي والتاريخي من تراث العداء الصليبي للإسلام والعرب منذ بداية العلاقة بين الغرب والإسلام .

لقد نظر اللاهوتيون والصليبيون والمستشرقون للإسلام بوصفه خطرًا ماحقًا يهدد الوجود الغربي المسيحي ، لذلك فقد سعوا جميعًا إلى زرع بذور الخوف من الإسلام في النفسية الغربية . إن الفرد الغربي لا يسعه إلا أن يكره الإسلام ويحقد عليه وتنتابه مشاعر الخوف والرهبة من هذا الدين وأهله وهو يقرأ مقولة آرنست رونان التي ضمنها خطابه الافتتاحي في الكوليج دو فرانس حول نصيب الشعوب السامية في تاريخ الحضارة عام 1862 م إنه يقول : « في هذا الوقت المناسب الشرط الأساسي لتمكين الحضارة الأوربية من الانتشار هو تدمير كل ما له علاقة بالسامية الحقة ، تدمير سلطة الإسلام الثيوقراطية . لأن الإسلام لا يستطيع البقاء إلا كدين رسمي وعندما يختزل إلى وضع دين حر وفردي فإنه سينقرض . هذه الحرب الدائمة ، الحرب التي لن تتوقف إلا عندما يموت آخر أولاد إسماعيل بؤسًا أو يرغمه الإرهاب على أن ينتبذ في الصحراء مكانًا قصيًّا . الإسلام هو النفي الكامل لأوربا . الإسلام هو التعصب . الإسلام هو احتقار العلم والقضاء على المجتمع المدني ، إنه سذاجة الفكرة السامية المرعبة ، يضيق الفكر الإنساني ، يغلقه دون كل فكرة دقيقة ، دون كل عاطفة لطيفة ، دون كل بحث عقلاني ليضعه أمام حشو سرمدي ...»[1].

وهذه المقولة إنما تعكس نظرة الخوف والشك من الإسلام الذي ظل يُعدُّ خطرًا على المسيحية كدولة وكعقيدة أكثر من ألف عام . تقول نادية سالم في كتابها « صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية » : « ومع الوقت أزاح الغرب عن نفسه خطر المسلمين السياسي ، ولكنه لم يتخلص من ذكرى الخوف الذي عانى منه ألف عام . وتظهر آثار هذا في الكتابات المعادية التي تناول فيها الأمريكيون والغربيون عمومًا الإسلام والمسلمين والعرب »[2]. ويظهر الخوف من العرب في مثل كتاب جويل كار مايكل عن « العرب واليهود » الذي نشر عام 1969 م حيث

(1) استشهد بهذه المقولة الحبيب الشطي في « بروسبيرو وكاليبان » وهو ملحق بكتاب : مارسيل بوازار : الإسلام اليوم ، مرجع سابق ، ص 34 - 35 .

(2) نادية سالم : صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية (القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : معهد البحوث والدراسات العربية ، 1978 م) ، ص 179 .

يذكر فيه « أن سبب الفتوحات الإسلامية هو الحافز المادي لا العقيدة أو الإيمان ، فالقبائل العربية الرحل بسيطرتها على مجتمعات متقدمة عنها استطاعت أن تحقق إمبراطورية استمتع العرب بخيراتها » . وفي كتاب إريكين تشيلدرز بعنوان « الحدس الفطري عن العالم العربي » الذي نشر عام 1967 م في أمريكا يحدد المؤلف « خطر الإسلام في الأشعار والقصص وحتى في الأغاني التي يغنيها الأطفال في المدارس الأمريكية ، ويعرض لأغنية رولان التي تذكر الأطفال بشجاعة رولان وفروسيته ضد أعدائه من المسلمين مما ساعد على تكوين صورة العرب كبرابرة ومتوحشين وأعداء للمسيحية »[1].

إن هذا الخوف من الإسلام مردّه في حقيقة الأمر إلى أن الإسلام – بعقيدته وحضارته – استطاع أن يواجه الغرب ليس سياسيًّا وعسكريًّا فقط ، بل وفكريًّا أيضًا . وقد كانت الحضارة الوحيدة التي واجهت حضارة الغرب وتحدتها وتفوقت عليها ، على عكس احتكاك الغرب بالحضارات الأخرى . ولذلك فإن من المؤكد – كما يقول هشام شرابي – « أن مصدر التشويه في الصورة العربية في الغرب ليس مجرد جهل ، ولكنه نمط محدد من المعرفة تمتد جذورها إلى عداء ديني وعرقي تجاه العرب والإسلام » . وإن الإكثار من المعلومات عن العرب والإسلام وتحسين نوعيتها – كما يرى شرابي – « غير كافيين لحل هذه المشكلة . فالحقائق في النتيجة ، تذوب في نمط التفكير السائد لدى مستقبلها . وهذا النمط هو الذي يصعب تغييره »[2].

ويستشهد شرابي على هذا النمط من الشعور العدائي الديني الموروث بعبارة الجنرال أللنبي عندما دخل مدينة القدس سنة 1918 م حيث وقف على قبر صلاح الدين الأيوبي وقال في إشارة واضحة إلى الإرث التاريخي الذي حمله في نفسيته : « ها نحن عدنا يا صلاح الدين » . ومع اتجاه الغرب إلى العلمنة في القرون المتأخرة فإن هذا الاتجاه لم يؤدِّ « إلى القضاء على الشعور المعادي للإسلام كما أنه لم يؤد إلى ردم الهوة بين الحضارتين . وبالعكس ، فقد استمدت الإمبريالية الغربية ركائزها

---

(1) المرجع السابق ، ص 179 .

(2) هشام شرابي : « جذور تشويه الصورة العربية في الغرب » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 ، مرجع سابق ، ص 197 .

من تراث القرون الوسطى القائم على العداء والصراع . التغير الوحيد الذي حصل هو أن العلاقة أصبحت تقوم على السيطرة والاستغلال »[1].

○ الشعور الغربي بالتفوق :

يستولي على الغربيين شعور عميق بالتفوق العنصري على غيرهم من الأجناس البشرية . وقد رأينا في الفصل الثاني من هذه الدراسة كيف كان اللاهوتيون المسيحيون ينظرون إلى العرب المسلمين ويعتقدون أنهم ضلال ، وأن على المسيحيين أن ينقلوا الهداية إليهم وينيروا قلوبهم بعد إظلامها . بل بلغت حدة الشعور بالتفوق واحتقار الآخرين أن أعلن مارتن لوثر – كما أوردنا من قبل – أن المسلمين لا يمكن أن يعتنقوا المسيحية لأن قلوبهم مغلقة . واقترح لوثر أن يدع المسيحيون المسلمين ومحمدهم يفعلون ما يشاءون حتى ينزل بهم غضب الله في النهاية !!!

إن هذا الشعور بالتفوق العنصري يعد عنصرًا هامًّا من عناصر التكوين النفسي والفكري للغرب وقد ترسخ هذا الشعور في المجتمع الأمريكي بشكل واضح منذ نهاية القرن التاسع عشر . يقول قدري قلعجي في كتابه « أمريكا وغطرسة القوة » – في معرض حديثه عن النزعة التوسعية الأمريكية في الميدان الاقتصادي والسياسي – « ومع أن الأهداف الأمريكية كانت ترمي قبل كل شيء إلى التوسع والاستعمار وبسط النفوذ ، كان الحكام يرون في أعمالهم هذه ما يخدم الرسالة الإنسانية ، تلك الرسالة التي تحملها الولايات المتحدة لتحضير المجتمعات المتخلفة ونشر المسيحية . وهذا ما دفع السناتور الأمريكي السابق وليام فولبرايت – رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ – إلى القول : « أليس من المثير حقًّا أن يكون الصوت صوت الله في حين أن الكلمات لتيودور روزفلت وهنري كابوت لودج والأميرال ماهان ، إمبرياليي عام 1898 م الذين أرادوا أن تكون لأمريكا إمبراطورية لمجرد أن بلدًا كبيرًا قويًّا مثل أمريكا لابد أن تكون له إمبراطورية » ولقد عبر ألبرت بيفردج – الذي انتخب بعد ذلك مباشرة لعضوية مجلس الشيوخ الأمريكي (عام 1898 م) – عن

---

(1) المرجع السابق ، ص 199 .

روح ذلك العصر بإعلانه أن الأمريكيين جنس فاتح وقال : « لابد أن نطيع دماءنا ، وأن نحتل أسواقًا جديدة ، وأراضي جديدة إذا لزم الأمر ، لأن في الخطة القوية اللانهائية لابد أن تختفي الحضارات الوضيعة والأجناس المتعفنة ، أمام الحضارات السامية للإنسان الأقوى والأعظم نبلًا »[1].

ويسخر فولبرايت من هذه النزعة قائلًا : « إن سياسة القوة تمارس مستترة بشتى الأسماء ، وقد كان البريطانيون يسمونها « عبء الرجل الأبيض » والفرنسيون « رسالتهم الحضارية » وأمريكيو القرن التاسع عشر « مصيرهم المحتوم » . وقد كتب هيرمان ملفيل خلال القرن الماضي يقول : « نحن الأمريكيين شعب خاص ، شعب مختار إننا نحمل دفة الخلاص لحريات العالم » وهكذا – كما يعلق قدري قلعجي – « فالحلم قديم » . وقبل ذلك أي في عام 1765 م كتب جون آدامز : « إنني اعتبر دومًا تأسيس أمريكا كغاية إلهية صممت بقصد تنوير وتحرير جزء من الإنسانية ما زال يعيش تحت شر العبودية »[2].

أما في أوربا فقد كانت النزعة العنصرية الاستعلائية قد أتت أكلها الخبيث إذ يؤكد بيتر وورسلي في كتابه « العالم الثالث » أنه « بانتهاء القرن التاسع عشر أصبح تفوق أوربا الطبيعي مبدأ ساريًا لا مراء فيه . وقد حكم بالانحطاط والضعة على حضارات الشرق المتنوعة التي كانت محترمة يومًا ما » . ووصلت عجرفة بعض المفكرين الإنجليز مثل ماكولي إلى حد أنه ادعى « أن رفًّا واحدًا من مكتبة أوربية جيدة يعادل كل التراث الوطني للهند والجزيرة العربية »[3].

وقد لجأ الغرب – بناء على هذا الشعور المتعمق في تراثه الثقافي – إلى

---

(1) انظر : قدري قلعجي : أمريكا وغطرسة القوة (بيروت : دار الكاتب العربي ، 1407 هـ / 1987 م) ، ص 27 - 28 .

(2) انظر : المرجع السابق ، ص 35 .

(3) انظر : بيتر وورسلي : العالم الثالث ، ترجمة حسام الخطيب (دمشق : وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، 1968 م) ، ص 43 .

وصم الشعوب غير الأوربية – وخصوصًا الشعوب الملونة – بالبدائية والتخلف . وعكست مناهج العلوم الاجتماعية التي نشأت في البيئات الغربية هذا الشعور ، فعمدت إلى تقسيم العالم إلى مناطق عنصرية ، ودراسته وفقًا لذلك . وقد نال العرب القسط الوافر من التشويه إذ لم يكتف الغرب – كما يقول السيد ياسين – « بالترويج لصورة مزيفة (عن العرب) تتسم بالإجمال ، بل إنه حرص – عن طريق فلاسفته وعلمائه الاجتماعيين – على رسم صورة تفصيلية تركز على قصور العرب وتخلفهم » . في هذه الصورة سنجد عديدًا من الأحكام من بينها ما قرره جورج ديهاميل – عضو الأكاديمية الفرنسية – في كتابه « حضارة فرنسا » من أن « الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز ، عن التفكير التركيبي ، وعن تجاوز الذات » . وقد سلك هذا المسلك العديد من المستشرقين الغربيين من أمثال رينان وجوبينو وجيب وغيرهم من أقطاب الفكر العنصري الغربي »[1].

كما كان للرحالة الأوربيين الذين زاروا المشرق العربي أثر بالغ في ترسيخ هذا الشعور بالتفوق العنصري . فهذا الرحالة البريطاني إليوت واربرتون الذي زار المشرق عام 1844 م ، وكتب كتابه المشهور « الهلال والصليب » الذي اتخذ مرشدًا عن مصر يورد في كتابه حسده للعرب « المتخلفين » و « القساة » لأنهم يملكون هذه البلاد الغريبة المتطرفة . ثم يحث الإنجليز « المتحضرين » أن يفوا بمهمتهم الحضارية لوضع لمسة « الحضارة » والأخلاقية على هؤلاء الناس « المنحطين »[2].

أما لورانس الذي عاش في الجزيرة فترة من الزمن فيصف العرب بقوله : « إنهم أغرار قاصرون بشكل لا يرجى لهم فيه صلاح ، ضعفاء عاجزون وعلى عيونهم غشاوة . والجسد والروح بالنسبة لهم متناقضان حتمًا وإلى الأبد . إن عقولهم غريبة ومظلمة ، مليئة بالكآبة والشعور غير السوي بالأهمية ، عقول تفتقر إلى الهداية ، لكن فيها من الحماسة والخصوبة في الإيمان أكثر من عقول الناس أجمعين »[3].

---

(1) انظر : السيد ياسين : الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر ، مرجع سابق ، ص 72 .

(2) انظر : حلمي خضر ساري : صورة العرب في الصحافة البريطانية ، مرجع سابق ، ص 42 .

(3) المرجع السابق ، ص 57 - 58 .

ويقول حلمي ساري إن لورانس في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » ، وهو الكتاب الذي منه استمدت القوالب الذهنية والأفكار عن العرب ، « كان قد وصف تجربته ومغامراته مع العرب فصورهم بشكل يلائم ، على العموم ، إطار الصور القديمة المنتشرة عنهم في بريطانيا . إن العرب كل العرب برأيه هم دوجماتيون ، بسطاء ، سطحيون غير مستقرين ضيقو الأفق وخنوعون »[1].

ثانيًا : العوامل السياسية

○ الرغبة في الهيمنة وبسط النفوذ :

تقوم السياسة الغربية منذ عصر الإمبريالية العسكرية وإلى اليوم على الرغبة في الهيمنة وبسط النفوذ السياسي والاقتصادي . وإذا كان الاستعمار العسكري قد انقضى أوانه ، فإن الغرب اليوم ما يزال يستخدم الاستقطاب السياسي والضغط الاقتصادي وسيلتين فعالتين لضمان استمرار هيمنته على كثير من أقطار العالم . ولا شك أن العالم العربي الإسلامي يمثل للغرب منطقة إستراتيجية في سعيه الحثيث نحو الهيمنة وبسط النفوذ ، إذ إنه ، بالإضافة إلى غناه الديني والحضاري الذي يعد – كما قررنا من قبل – تحديًا منافسًا للغرب ، يتمتع بموقع إستراتيجي هام في خريطة الصراع الدولي بين القوى المتسلطة في عالم اليوم .

ولقد كان العالم العربي الإسلامي هدفًا للرغبة الغربية العارمة في السيطرة عليه والهيمنة على موارده وطاقاته المتنوعة منذ وقت مبكر . بل نجد مقدمات هذه الرغبة في المبررات التي استند إليها الصليبيون في حملاتهم العسكرية على العالم العربي الإسلامي . إننا نجد ذلك بوضوح في خطاب البابا إيربان – وهو المحرّض الأول للمسيحيين على خوض غمار الحروب الصليبية – إذ يقول : « أيها المسيحيون إن تلك الأرض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها وتلك المغارة المرعية المختصة بفادينا ، وذاك الجبل الذي عليه تألم ومات من أجلنا ، وذلك الضريح الذي تنازل لأن يدفن فيه

---

(1) المرجع السابق ، ص 57 - 58 .

ضحية للموت ... كلها أضحت ميراثًا لشعب غريب .. » إلى أن يقول : « لقد آن الزمان الذي فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي اتخذها فريق منكم حتى الآن ضد فريق آخر لأخذ الثأر عن بعض إهانات ، فالحرب المقدسة المعتمدة الآن ليست هي لأخذ الثأر من إهانات ضد البشر ، بل عن الإهانات الصادرة ضد الله ، وليست هي لاكتساب مدينة واحدة فقط ، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التي لا تحصى . فاتخذوا محجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين ، وأنتم املكوها لذواتكم فهذه الأرض – كما قالت التوراة – تفيض لبنًا وعسلًا »[1].

ومنذ ذلك الوقت ظل إخضاع العالم الإسلامي للهيمنة الغربية أحد أهم ركائز التخطيط الإستراتيجي في السياسة الغربية . وقد أكد هذه الحقيقة ما ورد في توصيات مؤتمر لندن المبنية على تقرير كامبل بانرمان سنة 1907 م . فقد دعا حزب المحافظين في إنجلترا كبار علماء التاريخ والاجتماع والزراعة والبترول والجغرافيا والاقتصاد والسياسية وخبراء الإستراتيجيات من جميع الدول التي تمثل الإمبراطوريات الأوربية في مطلع هذا القرن الميلادي إلى إعداد تقرير حول وضع الإمبراطوريات الأوربية وكيفية المحافظة على مصالحها في العالم واستمرار استغلالها لثروات البلدان الأخرى . وشرعوا ينفذون بمهمتهم عام 1905 م وأنجزوها عام 1907 م .

وقد جاء في هذا التقرير ما يلي : « إن البحر المتوسط شريان حيوي لمصالح بريطانيا الآنية والمقبلة فهو جسر بين الشرق والغرب ، وممر طبيعي لآسيا وأفريقيا ، وملتقى طرق العالم . ولتأمين حماية ناجحة للمصالح الأوربية المشتركة لابد من السيطرة عليه وعلى شطآنه الجنوبية والشرقية ، فكل من يسيطر على هذه المنطقة يسيطر على العالم .. إن الخطر في هذه المنطقة يكمن في تحررها وتثقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد اتجاهاتها . وعلى الدول ذات المصالح أن تعمل على استمرار تأخرها

---

(1) انظر : علي عبد الحليم محمود : الغزو الصليبي والعالم الإسلامي (جدة : شركة مكتبات عكاظ ، 1402 هـ / 1982) ، ص 26 - 27 .

وتجزئتها وإبقاء شعوبها متفككة جاهلة متأخرة ، وأن تعمل على محاربة اتحاد هذه الجماهير أو ارتباطها بأي نوع من الارتباط الفكري أو الروحي أو التاريخي ، وإيجاد الوسائل العلمية لفصلها بعضها عن بعض ما أمكن » .

ويواصل التقرير قائلًا : « ويعيش على شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية بصفة خاصة شعب واحد ، تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقومات التجمع والترابط ، فضلًا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية الكبيرة . فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل المدنية ومكتسبات الثورة الصناعية الأوربية وانتشر فيها التعليم والثقافة ؟ إذا ما حدث ذلك ، فسوف تحل حتمًا الضربة القاضية بالإمبراطوريات القائمة »[1].

واقترح التقرير في سبيل تحقيق الهيمنة الغربية على المنطقة العربية « إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط أوربا بالعالم القديم ويربطها بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدولة الأوربية ومصالحها »[2].

واستجاب راسمو السياسة الغربية لهذا المقترح بإقامة الكيان الصهيوني الغريب في جسم الأمة العربية الإسلامية في أرض فلسطين . ويرى إبراهيم الشهابي أن الغرب وجد ضالته في الصهيونية لتحقيق هدفه في فرض الهيمنة على المنطقة العربية للأسباب التالية :—

1 — كون الصهيونية حركة عنصرية ذات نزعة استعمارية استيطانية توسعية .

2 — تناقض الشخصية الصهيونية والشخصية العربية تناقضًا جذريًا يضع المنطقة في صراع مزمن تكون القوى الدولية طرفا فيه ، الأمر الذي يتيح للقوى الإمبريالية

---

(1) انظر : إبراهيم يحيى الشهابي : نقاط على حروف في الصراع العربي الصهيوني ، الكتاب الأول (دمشق : دار الأدهم للترجمة والنشر ، 1986 م) ص 61 - 62 .

(2) المرجع السابق ، ص 62 .

استغلال المنطقة باستمرار .

3 – تطابق أهداف الصهيونية مع أهداف الاستعمار ، سواء من حيث القضاء
الشخصية العربية أو في استغلال موارد المنطقة واستنزافها لصالحهم[1] .

ولا شك أن اليهود قد عملوا منذ وقت مبكر حتى قبل أن تتبلور لديهم الف
الصهيونية على تسريب العديد من أساطيرهم الدينية إلى العقل المسيحي الغربي ، و
تلك الأساطير أسطورة الشعب المختار وأسطورة الميثاق (أي الميثاق الذي يزعم
عقد بين إبراهيم والله والذي وعد الله بموجبه إبراهيم ونسله بالأرض التي يقف
ويراها) وأسطورة المسيح المنتظر والعقد الألفي وغيرها . وقد أصبحت
الأساطير جزءًا من المعتقدات الدينية لدى المسيحيين بعد أن أفلح اليهود في
العهد القديم جزءًا من الكتاب المقدس ، وفي مزج هذه الأساطير بالعناصر القو
والتاريخية والدينية عن طريق ربط العهد القديم بالأرض المقدسة والشعب اك
ومسخ تاريخ فلسطين كلها إلى تاريخ يهودي محض . ولهذه الأسباب نجد أن الصهيو
قد ضربت جذورها في حركات الإصلاح الديني في أوربا عمومًا وفي الحر
البروتستانتية والبيوريتانية ، الأمر الذي جعلها عنصرًا أساسيًّا في التاريخ الاجتما
والديني والسياسي في الغرب إضافة إلى كون الصهيونية – كعقيدة – متوافقة
مع السياسة الاستعمارية الغربية[2].

وفي خضم هذه المعركة الأيديولوجية والسياسية للغرب المسيحي الإمبريالي ا
يخوضها ضد الشرق العربي الإسلامي يمثل الكيان الصهيوني رأس الحربة العسك
للغرب ، وتحتاج هذه المعركة إلى السلاح الفكري كما تحتاج إلى السلاح المادي
ولا شك أن حملات تشويه الشخصية العربية الإسلامية وتحطيمها تعد إحدى ص
الحرب النفسية المتواصلة التي يشنها الغرب – بتوجيه صهيوني قوي – ضد العر
والمسلمين . وتهدف هذه الحملات إلى تحقيق أمرين اثنين أولهما : تصوير العر

---

(1) المرجع السابق ، ص 64 .

(2) المرجع السابق ، ص 44 .

والمسلمين في صورة قاتمة مظلمة منفرة ؛ فهم مخادعون فاجرون فاسدون ، وهم حثالة البشرية ولصوص ومجرمون وقطاع طرق ومهربو مخدرات وتجار رقيق أبيض . أما الهدف الآخر فهو تصوير اليهود في صورة جميلة وضيئة فهم أذكياء وفضلاء وهم رمز التقدم والحداثة والديمقراطية[1].

ويورد إدوارد سعيد في دراسته التى قدمها في ندوة الإعلام الغربي والعرب عام 1979 م بعنوان « ثورة وسائل الإعلام ونهضة الإسلام » ما قاله ستورت سكار في مقالة له نشرت في العام نفسه : « بصراحة لا يساورني شك للحظة واحدة أن معظم ما يصدر عن الإسلام عبر وسائل الإعلام (يقصد في الغرب) يرتبط بصورة إجمالية بالصراع المستمر الذي تمتد جذوره بعيدًا في التاريخ والذي يهدف إلى السيطرة على العالم الإسلامي » . ويعلق إدوارد سعيد قائلًا : « إن الصورة المشوهة هي في الواقع تعبير عن واقع أكثر تعقيدًا ، وتهدف إلى تكريس نظام كامل من الأساطير الأيديولوجية التي نسجت حول الإسلام لخدمة مخططات الغرب في السيطرة على الشعوب الإسلامية وخيراتها »[2].

○ الأحداث السياسية المعاصرة :

كان للعديد من الأحداث السياسية المعاصرة التي حفلت بها المنطقة العربية أثر بارز في تنشيط الحملات المعادية للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي . وقد قام إدموند غريب برصد بعض هذه الصور النمطية للعرب في الإعلام الغربي فقال : « لقد صُوِّر العرب في أشكال وهيئات عديدة . فقبل إيجاد (دولة إسرائيل) كانت صورة العربي مقترنة دائمًا بالجمال والفتيات الراقصات والصحراء والرعيان ، وأحيانًا الفارس البدوي الرومنطيقي والأهرامات . أما بعد اندلاع الصراع العربي –

---

(1) انظر : ريجينا الشريف : الصهيونية غير اليهودية ، سلسلة عالم المعرفة رقم 96 (الكويت : المجلس الوطني للآداب والثقافة والعلوم ، كانون الأول 1985) ، ص 248 ، 249 ، 280 .

(2) انظر : إدوارد سعيد : « ثورة وسائل الإعلام ونهضة الإسلام » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م مرجع سابق ، ص 138 .

الإسرائيلي فقد أخذ العربي يُصوَّر على أنه « رجعي متعصب ، ماكر ، كاذب ، لا ذمة له ، نَهِم جنسيًّا وكسول » . وبعد حرب 1967 م أضيف بعد آخر إلى تلك الصورة وهو بعد « العربي الهارب الجبان » و « الزعماء الفاسدين الغوغائيين المتعصبين والمتهورين » . ومع صمود حركة المقاومة الفلسطينية أضيفت صورة أخرى جديدة ألا وهي « الإرهابي المتعصب المتعطش للدماء » .

وبعد حرب 1973 م وحظر النفط برزت صورة أخرى وهي صورة شيخ النفط الغني الذي يسيطر على نفط العالم ويحاول قطع الشريان الحيوي الأمريكي من خلال قطع النفط . والغريب أن الصحف الأمريكية أخذت (مؤخرًا) تتحدث عن العرب الذين يحاولون شراء البنوك والمصانع والأراضي في أمريكا ، مع العلم أن هذه المشتريات ضئيلة جدًا إذا ما قورنت بعمليات الشراء الأوربية واليابانية »[1].

ويذكر فالح حسن الأسدي أن الحركة الصهيونية قامت عام 1980 م بتوزيع كتيب يحمل التوقيع الرسمي لحكومة (إسرائيل) على جميع أعضاء الكونجرس الأمريكي والشخصيات الأمريكية البارزة يحمل عنوان « الإستراتيجية العربية السرية للسيطرة على أمريكا » ، وأشارت فيه إلى ما أسمته محاولات العرب لتحقيق السيطرة الفعلية على أمريكا ، ومنها شراء الممتلكات كالبنوك والفنادق والمزارع والأراضي وشراء الأسهم والأوراق المالية وتقديم الرشا والعمل على توثيق العلاقات الاقتصادية بين شركات أمريكية ومصالح عربية وتشجيع الاستثمارات الأمريكية في مشاريع عربية والضغط السياسي الممول عربيًّا للمساعدة في سن قوانين لصالح العرب وغير ذلك من المحاولات[2].

---

(1) إدموند غريب : « الإعلام الأمريكي والعرب » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 84 - 85 .

(2) فالح حسن الأسدي : « العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية في قبول الرأي العام الأمريكي للصور المشوهة عن العرب في الدعاية الصهيونية » في حوليات الإعلام (جامعة بغداد) العدد 3 ، 1983 م ، ص 123 - 134 .

وفي دراسة إحصائية لوليام آدمز وفليب هيل نشرت عام 1981 م وجد الباحثان أن نسبة الأخبار التي خُصِّصتْ لقضايا الشرق الأوسط في التليفزيون الأمريكي خلال الفترة من عام 1973 م – 1976 م تراوحت بين 7 ٪ ، 9 ٪ من الوقت الكلي للأخبار . وكان أبرز هذه الأحداث حرب أكتوبر وحظر النفط الذي احتل حيزًا واسعًا في وسائل الإعلام الأمريكية . وفي عام 1977 م سيطر خبر زيارة السادات للقدس على جميع وسائل الإعلام وسجلت التغطية الإعلامية في عام 1979 م تصاعدًا ملحوظًا حيث تفجرت أحداث إيران بالعنف والشغب ورحيل الشاه عن إيران والمحادثات بين مصر و(إسرائيل) ومقابلة أندرو يانج لممثل منظمة التحرير الفلسطينية وارتفاع أسعار النفط انتهاء بعملية احتجاز الرهائن الأمريكيين في سفارتهم في طهران . وطوال هذا العام كانت قناة آي بي سي تبث كل ليلة ما يقارب 45 دقيقة عن الشرق الأوسط أي بنسبة 2 ٪ من الزمن الكلي للأخبار وتتفوق هذه النسبة على مثيلتيها اللتين خصصتا لأحداث فيتنام عام 1972 م وفضيحة ووترجيت عام 1973 م .

وحظيت منطقة الشرق الأوسط بتغطية إعلامية كبيرة في عام 1980 م بسبب استمرار أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران واحتلال السوفييت لأفغانستان واندلاع الحرب العراقية الإيرانية[1].

إن هذه الأحداث الساخنة ، وخصوصًا حظر النفط العربي عن الغرب واندلاع الثورة الإيرانية وما نتج عنها من أحداث وتصاعد بشائر الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي ، منحت وسائل الإعلام الغربية مزيدًا من الفرص لترسيخ الصورة النمطية السيئة للإسلام في المجتمعات الغربية ، ويؤكد إدوارد سعيد في كتابه « تغطية الإسلام » أنه ليس من المبالغة القول إن الإسلام نادرًا ما كان يظهر في الثقافة أو في وسائل الإعلام الأمريكية قبل الارتفاع المفاجئ في أسعار النفط عام 1974 م .

---

(1) انظر : وليام آدمز وفيليب هيل : « من القاهرة إلى كابول مع شبكات التليفزيون 1972 – 1980 م » ترجمة تركي عبيد ، مجلة البحوث (المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين – بغداد) ، العدد 18 أبريل 1983 م ، ص 144 - 145 .

ويضيف قائلًا : « كنا نرى ونسمع بالعرب والإيرانيين والباكستانيين والأتراك ، لا المسلمين ، إلا فيما ندر . ولكن تكلفة النفط المستورد التي ارتفعت ارتفاعًا دراميًّا سرعان ما ارتبطت في ذهن الرأي العام بعدد من الأمور غير السارة »[1] وبناء على ذلك بدأت تساؤلات الأمريكيين – والغربيين بوجه عام – حول الإسلام . لقد أصبح العالم الإسلامي فجأة قادرًا على أن يصنع المشكلات لأمريكا ولم يكن الأمريكيون يعرفون شيئًا عن الإسلام .

ويتحدث إدوارد سعيد عن الحيرة والقلق اللذين أصابا السياسيين والباحثين والإعلاميين في أمريكا أمام هذه « الصحوة الإسلامية المفاجئة » . لقد بدأ هؤلاء يتساءلون عن هذا الدين الجديد . وكانت هذه الأسئلة تبحث عن إجابات سريعة ، إذ لم يكن الأمريكيون يعلمون أن الإسلام موضوع طويل ومتعدد الجوانب ، ولا يمكن الإجابة عنه في جملة سريعة . ويشير إدوارد سعيد في كتابه إلى مقالة مايكل والترز التي كتبها بعنوان « الانفجار الإسلامي » في مجلة نيو ربيلك في 8 ديسمبر 1979 م .

وفي هذه المقالة يتناول والترز – وهو غير الخبير أو المختص كما يعترف بنفسه – « عددًا ضخمًا من الأحداث الهامة في القرن العشرين ... في الفلبين وفي إيران وفي فلسطين وغيرها . ويقول إن من الممكن تفسيرها كوقائع لشيء واحد : الإسلام . ويقول أيضًا إن ما يجمع بين كل هذه الأحداث هو أنها ، في المقام الأول ، تظهر نمطًا ثابتًا من القوة السياسية الضاغطة على الغرب . وهي – ثانيًا – تنبثق جميعًا من شعور معنوي جياش مخيف (فمثلًا عندما يقاوم الفلسطينيون الاستعمار الإسرائيلي – يؤكد والترز جازمًا – أن تلك المقاومة هي مقاومة دينية لا سياسية أو مدنية أو إنسانية) . وتحطم هذه الأحداث – ثالثًا – « القشرة الاستعمارية الهشة الليبرالية أو العلمانية أو الاشتراكية أو الديمقراطية . وفي كل هذه السمات الثلاث المشتركة يمكن تمييز « الإسلام » . وإن « الإسلام » هذا هو قوة تتخطى المسافات ، زمانًا ومكانًا ،

---

(1) انظر : إدوارد سعيد : تغطية الإسلام ، مرجع سابق ، ص 63 .

التي تفصل بين هذه الأحداث كلها عل الرغم من تشابهها[1].

وبذلك يتضح لنا جليًا أن الأحداث السياسية والاقتصادية الراهنة التي شهدتها ساحة الشرق الأوسط كانت من أهم العوامل التي أسهمت في تهيئة المناخ الملائم لاستمرار حملات تشويه صورة الإسلام والعرب من قبل وسائل الإعلام الغربي ، وخصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية . ومن الملحوظ أن الصورة النمطية السيئة عن الإسلام والعرب التي عملت وسائل الإعلام الغربي المعاصر على تقديمها لجمهورها لا تختلف في جوهرها – بل وفي بعض تفصيلاتها – عن الصورة التي تكونت وترسخت في الذهن الغربي عبر الأجيال المتعاقبة . كل ما في الأمر أن وسائل الإعلام الغربي قد تواطأت على ربط هذه الصورة – بطريقة ماكرة ومقصودة – بالعديد من الأحداث والتغيرات التي تمس حياة الناس في المجتمعات الغربية المعاصرة .

إن الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام الغربي – إذن – صورة مجددة لأصل قديم وثابت . فالعربي المعاصر هو نفسه العربي القديم البدائي المتخلف المتعصب دينيًّا والإرهابي المحب لسفك الدماء والمخادع الماكر والنهم للجنس والمبذر الذي لا يعرف للمال قيمة . والإسلام المعاصر هو نفسه الإسلام القديم المليء بالخرافات والتعاليم الجامدة ، وهو الخطر الماحق الذي يهدد العقيدة المسيحية ويعادي القيم الغربية العلمانية والديمقراطية ويسعى إلى تدميرها والقضاء عليها .

○ المهاجرون المسلمون في الغرب :

شهد القرن الحالي تزايد موجات الهجرة العربية والإسلامية إلى المجتمعات الغربية لأسباب متعددة من أهمها البحث عن الرزق والعمل . ويعدّ هذا الوجود المتنامي للمهاجرين المسلمين في الغرب أحد العوامل التي أسهمت – وما تزال – في تصعيد مشاعر العداء والرفض ضد الإسلام وأهله . وبالرغم من أن العدد الحقيقي للمهاجرين المسلمين المقيمين في البلدان الغربية لا يمكن تحديده بدقة إلا أن هذا العدد يتنامى

(1) إدوارد سعيد : تغطية الإسلام ، مرجع سابق ، ص 67 - 68 .

بسرعة كبيرة مما يشكل هاجسًا مخيفًا – سواء كان حقيقيًّا أو متوهمًا – لكثير من الجهات المعادية للإسلام في المجتمعات الغربية . وتزداد مخاوف الغربيين من الوجود الإسلامي في الغرب مع تصاعد مشاعر الصحوة الإسلامية بين المهاجرين المسلمين الذين يريدون تحقيق مزيد من الالتزام الديني وتطبيق شرائع الإسلام وتعليم أبنائهم مبادئ دينهم في البلدان الغربية التي يعيشون فيها .

ففي بريطانيا – مثلًا – تذكر مجلة وورلد ميشن التنصيرية أنه يوجد حوالي 833 مسجدًا أغلبها مساجد مؤقتة في بيوت عادية . وقد شن القس الأنجليكاني كانون دافيد ماكلينس هجومًا حاقدًا على الإسلام وقال في بعض حديثه عن التنصير وسط المسلمين المقيمين في بريطانيا والذي نشر في مجلة « التنصير الصليبي اليوم » : إن من أكبر التحديات التي نواجهها في بريطانيا ما يدعيه المسلمون من أنه يوجد مليون معتنق للإسلام في هذه البلاد . وعليه كان على النصارى أن يولوا الوجود المسلم في بريطانيا الاهتمام اللازم[1].

ويتخوف القس الإيطالي ب . إري رويست كرليوس من المهاجرين المسلمين المقيمين في الغرب فيقول : « إنه توجد هجرة مسلمة بالغة الشأن في عالمنا الغربي في الوقت الحاضر ، حيث يفوق عدد المهاجرين المسلمين خمسة ملايين نسمة . وهو عامل وحدث خطير سوف يحدث تغييرات جذرية على واقع الخريطة الجغرافية لأوربا . ولا سيما إذا نظرنا إليها على أنها خطوة مبدئية تتبعها خطوات أخرى كبيرة أشد خطرًا ، والتي من شأنها أن تحدث تغييرات جوهرية على واقع القوانين الوضعية في تلك البلدان خاصة أمام حالة العجز والنقص في عامل النسل الذي تشكو منه أوربا . كما سوف تحدث كذلك تغييرات اجتماعية تعكس صداها أيضًا على الواقع الاجتماعي الأوربي مع الاهتمامات الدينية بين الفئات القادمة والفئات الموجودة من أصل السكان الأوربيين ونحن نعتقد أن تغيرات دينية سوف تطرأ على أصل السكان الموجودين ، بل ربما أحياء مناطق كاملة سوف تغير عقيدتها الدينية وتعتنق عقيدة

---

(1) انظر : مجلة الإصلاح (الإمارات) العدد 112 ، رمضان 1407 هـ ، ص 46 - 47 .

المهاجرين القادمين وأمام دين يواجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بنظرة التوحيد دون وساطة »[1].

وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث يوجد أكثر من ثلاثة ملايين مسلم ليسوا جميعًا من المهاجرين ، تتصاعد موجة العداء ضد الإسلام والمسلمين بشكل سريع وقد تعرضت العديد من المراكز الإسلامية والمؤسسات العربية والأفراد لعمليات إرهابية في عدد من المدن الأمريكية . ومن ذلك على سبيل المثال ما تعرضت له المراكز الإسلامية في سان فرنسيسكو وبتزادا (ميرلاند) وديربورن وهيوستن وغيرها من أعمال إرهابية تخريبية كتهشيم النوافذ وإلقاء القنابل وتوجيه التهديدات ونحوها . وتشتد مثل هذه الحوادث والاعتداءات كلما وقعت حوادث عنف في منطقة الشرق الأوسط كاختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن[2].

كما تعرض عدد من الشخصيات العربية والإسلامية إلى الاعتداءات الإرهابية التي وصلت حتى القتل والتصفية الجسدية . ومن أهم الشخصيات الإسلامية الدكتور إسماعيل الفاروقي أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة تمبل بفيلادلفيا الذي قتل هو وزوجته في منزلهما يوم 27 مايو 1986 م . وقد علقت مجلة أريبيا على هذا الحادث بقولها « لقد تصاعدت مؤخرًا موجة من الحملات العدائية الإرهابية ضد المسلمين وضد العرب في الولايات المتحدة وذلك نتيجة للنقد غير المسئول الذي توجهه الأجهزة الحكومية ووسائل الإعلام للإسلام والعرب . فكثيرًا ما تستخدم وسائل الإعلام عبارة « الإرهابيون المسلمون » و « الإرهاب الإسلامي » وقد هيأت مثل هذه العبارات المهيجة المناخ النفسي الملائم للربط بين الإسلام والإرهاب في وعي الفرد الأمريكي العادي »[3].

---

(1) انظر : مجلة المجتمع (الكويت) ، العدد 801 بتاريخ 20 / 5 / 1407 هـ ، ص 21 .

(2) انظر : مجلة المجلة (لندن) ، العدد 313 بتاريخ 26 جمادى الأولى – 2 جمادى الآخرة 1406 هـ ، ص 32 - 35 .

(3) Arabia, " Who Killed the Darugis " ? Shawal - D. Qudah 1406 (London July 1986, PP. 14 - 16) .

وإذا كانت بواعث العداء للإسلام والمسلمين المهاجرين إلى الغرب ترجع إلى عوامل نفسية وسياسية في الأمثلة التي ذكرناها سابقًا فإن هناك عوامل أخرى ومن أهمها العوامل الاقتصادية إذ يمثل الوجود الإسلامي في عدد من الدول الغربية عبئًا اقتصاديًّا حقيقيًّا أو متوهمًا . ولا شك أن هذا التأثير الاقتصادي يُتَّخَذُ الآن مركبًا لتأجيج مشاعر الحقد العنصري ضد الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية . يقول شاكر نوري ، وهو يتحدث عن العنصرية ضد المهاجرين العرب في فرنسا ، إن العنصرية « أخذت تستفحل وتسري كالسرطان في الدم . والواقع يؤكد أن في فرنسا العديد من الفئات والمنظمات ذات البرامج العرقية والشوفينية ومنها : النظام الجديد ، والعمل الفرنسي ، والدفاع عن الغرب . وجماعة العمل الفرنسي هي من أنشط هذه الفئات ، ومعظم دعايتها موجهة بشكل رئيس ضد عرب شمال أفريقيا .. وقد كان أعضاء هذه المنظمات مسئولين عن سلسلة من الهجمات بالقنابل البترولية والحارقة والرشاشات على المقاهي والفنادق التي يؤمها المهاجرون العرب في باريس » .

وقد نشرت مجلة « رجال وهجرة » الفرنسية وثيقة هامة تشير إلى العنصرية والتهم الموجهة إلى المهاجرين وأهمها :

(١) أن المهاجرين يعيشون على « التعويضات العائلية » التي تصرف لهم من الدولة .

(٢) وأن المهاجرين يستعمرون أحياء بكاملها .

(٣) وأن المهاجرين يغرقون المدارس الفرنسية بصغارهم .

(٤) وأن المهاجرين يخلّون بالأمن[1].

إن الوجود الإسلامي للمهاجرين المقيمين في البلدان الغربية يثير حفيظة العديد من الجهات المعادية للإسلام ، سواء كانت جهات دينية أو سياسية أو اقتصادية . ولا شك أن تصاعد موجة العداء العنصري في المجتمعات الغربية ضد الإسلام والمسلمين يسهم في دفع وسائل الإعلام الغربي إلى إبراز صور هذا العداء ومظاهره ،

---

(1) انظر : شاكر نوري : « العنصرية ظاهرة » في جريدة الرياض (الرياض) ، العدد 6087 بتاريخ 2 / 6 / 1405 هـ ، ص 5 .

مما يشعل – مرة أخرى – مزيدًا من نار العداوة والكراهية . وهكذا تتصل حلقات التشويه المتعمد وتتوالى حملات الاستفزاز في وسائل الإعلام الغربي .

ثالثًا : العوامل الإعلامية

○ طبيعة العمل الإعلامي :

بالرغم من أن وسائل الإعلام الغربي تتمتع بتنوع واسع وقدر كبير من الحرية ، فإن الملحوظ أنها تتجه إلى تقديم أجزاء محددة من الحقائق ، وتنحاز إلى أنماط متشابهة من الآراء والأفكار والتصورات . ولتفسير هذه الظاهرة يؤكد لنا إدوارد سعيد أننا « لا نعيش في عالم الطبيعة ، فالصحف والآراء لا تحدث طبيعيًّا ، بل هي تُصنَع نتيجة الإرادة الإنسانية والتاريخ والظروف الاجتماعية والمؤسسات والأعراف السائدة في المهنة التي ينتمي المرء إليها . والأهداف التي تنشدها الصحافة مثل الموضوعية والتزام الحقائق والتغطية الواقعية والدقة في مصطلحات بالغة النسبية ، وهي قد تعبر عن النوايا ، لا عن أهداف ممكنة التحقيق »[1].

إن الواقع الفعلي هو ، كما بين هربرت جانز في كتابه الهام بعنوان « تقرير ما هي الأخبار » ، أن الصحافيين ووكالات الأنباء والشبكات الإذاعية والتليفزيونية تقوم بعملية واعية لتقرير ما تعرضه ، وكيفية عرضه وما إلى ذلك[2]. أي أن الأخبار ، بكلمات أخرى ، هي نتيجة صيرورة معقدة من الاختيار والتعبير المتعمد غالبًا ، وليست مسلمات موضوعية . وبناء على ذلك – كما يقول إدوارد سعيد – فإن تشكيل الأخبار وتكوين الآراء في المجتمع بأسره « يتبع قواعد معينة وضمن أطر محددة ، عبر أعراف وتقاليد تمنح العملية كلها هوية شاملة لا يمكن تجاهلها . فالصحافي ، شأنه شأن غيره من الناس ، يفترض أن هناك أشياء معينة طبيعية ،

---

(1) إدوارد سعيد : تغطية الإسلام ، مرجع سابق ، ص 74 .

(2) See , Herbert Gans, Deciding What's News : A Study of " CBS Evening News ", NBC Nightly News ", Newsweek, and Time " (NY : Pantheon Books, 1979) .

وتكون القيم مستنبطة لا حاجة إلى تفحصها دائمًا ، كما تؤخذ العادات السائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه على أنها مسلمات ، ولا يغفل التربية والتعليم والجنسية والدين الذي ينتمي إليه عند وصف مجتمعات وثقافات غربية ؛ أما الوعي بقانون أخلاقي مهني ، والطريقة المحددة لتأدية الأمور فمُتَضمنان فيما يقوله الشخص ، وكيف يقوله وشعور ذلك الشخص بمن يوجه ذلك القول إليهم »[1]. ولقد وصف روبرت دارنتون هذه القضايا وصفًا جذابًا في مقالته بعنوان « كتابة الأخبار وسرد القصص » لدرجة لا تجعلنا – كما يقول إدوارد سعيد – « بالغي الرهافة لا تِجَاه الواقع الذي يعمل ضمنه الصحافي فقط ، بل أيضًا تجاه أشياء أخرى مثل « التآلف والتعادي اللذين ينشآن بين الصحافي ومصادره » والضغوط في سبيل « التنميط والقولبة » والطريقة التي يقوم الصحافي عبرها « بإضفاء أشياء من عنده على الأحداث التي يغطيها أكثر مما يأخذ منها هي »[2].

وقد عبّر الصحافي الغربي المشهور إريك رولو عن هذه الحقيقة أوضح تعبير عندما قال مخاطبًا المشاركين في ندوة دولية عن الإعلام الغربي والعرب عقدت في لندن سنة 1979 م : « اسمحوا لي – بادئ ذي بدء – أن أعترف بالتحيز . ذلك أننا معشر الصحفيين متحيزون بطريقة أو بأخرى . مَنْ يمكن أن يكون موضوعيًّا أكثر من المصور ؟ ومع ذلك فإن نوع العدسة الذي يستعمل ، والزاوية التي يلتقط منها الصورة التي يريد تُؤثر في الصورة التي يمكن أن تخرج عن مصور آخر يمتاز بـ « الموضوعية » و « التحيز » كالمصور الأول . نحن لسنا أولاد الأنابيب والمختبرات ، نحن بشر ، ولكل منا ثقافته وخلفيته وجذوره . لكل منا فلسفته في الحياة وتجاربه وأيضًا حساسياته الخاصة »[3].

---

(1) إدوار سعيد : تغطية الإسلام ، مرجع سابق ، ص 75 .

(2) المرجع السابق ، ص 75 .

(3) إريك رولو : « مفاهيم خاطئة في وسائل الإعلام » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 217 .

○ المعايير الغربية للعمل الإعلامي :

يستند العمل الإعلامي في الغرب إلى مجموعة من المعايير أو ما يسمى بـ « القيم الأخبارية » التي تؤثر بشكل مباشر على العاملين في وسائل الإعلام ، سواء في اختيار المواد الإعلامية أو الأخبار أو الآراء التي يتيحون لها الفرصة للنشر ، أو في صياغتها والتعبير عنها[1]. ويهمنا في هذه الدراسة أن نرى مدى علاقة بعض هذه القيم أو المعايير بتشكيل الصورة النمطية للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي .

إن من أهم المعايير التي يستند إليها الإعلام الغربي – والأمريكي بخاصة – في التغطية الإعلامية الخارجية ، الاتجاه نحو الاستجابة لرغبات الجمهور المستهلك للرسائل الإعلامية . وتتضح نتيجة هذا الاتجاه في أمرين ؛ أولهما المساحة المخصصة للموضوعات والأخبار ، وثانيهما المعالجة الإعلامية لتلك الموضوعات والأخبار . فبالنسبة للمساحة المخصصة للموضوعات والأخبار المتعلقة بالعرب في الإعلام الغربي نجد أنها محدودة إلى حد بعيد . ويعترف الصحفي البريطاني أندرو نيل وهو رئيس تحرير صحيفة صنداي تايمز بذلك إذ يقول : « إن هناك اعتبارات تجارية تحكم عملية النشر في الصحافة الغربية ، وشهية القراء البريطانيين لأخبار الشرق الأوسط محدودة ، ورئيس تحرير أي مطبوعة لا يستطيع تجاهل اعتبارات السوق »[2]. ويشير نيل إلى أن نسبة الأخبار الخارجية في صحيفته التي توزع 4 ملايين نسخة أسبوعيًّا قد زادت بنسبة 55 ٪ رغم أنه متأكد أن هذه الزيادة لم تزد عدد القراء قارئًا واحدًا !!

أما بالنسبة للمعالجة الإعلامية للموضوعات والأخبار المتعلقة بالعرب والمسلمين في الإعلام الغربي فإن مراعاة رغبات الجمهور تؤثر تأثيرًا واضحًا على تلك المعالجة .

---

(1) لمزيد من المعلومات حول القيم الأخبارية في الغرب : انظر الفصل الذي كتبه أحمد سيف الدين تركستاني بعنوان « النظريات والبحوث في القيم الأخبارية » في رسالته للدكتوارة المعنونة :
" News Exchange Via Arabsat and News Values of Arab Television News People " Indian University, 1988.

(2) انظر : جريدة الشرق الأوسط « تحقيق عن الندوة الدولية في باريس لتحسين الصورة العربية في الإعلام الغربي » بتاريخ 9 / 11 / 1984 ، ص 6 .

يقول إدوارد سعيد في سياق حديثه عن الإعلام الأمريكي « هناك دائمًا خوف من إغضاب جهات نافذة ذات مصالح قوية . ولأن السود والصينيين والإيطاليين كانوا يحتجون على الصورة التي تظهرهم بها وسائل الإعلام فإنه يستحيل على أية صحيفة أو مجلة أو محطة تليفزيون أن تقرن الجريمة بالعصابات الإيطالية أو المصابغ (دور الغسيل) بالصينيين أو الكسل وأكل البطيخ بالسود »[1].

« وفي مقابل ذلك فإن العرب – لأنهم لا يمثلون جهة نافذة ذات مصالح قوية – يُصوَّرون في الإعلام الأمريكي بأنهم « دائمًا متورطون في المشاكل وأنهم في أساسهم سلبيون » . وهذا الأمر ناتج عن اختيار الأخبار والموضوعات من قبل أجهزة الإعلام لتغطيتها . والأهم من ذلك هو الموضوعات والأخبار التي لا تغطى أبدًا . والاتجاه السائد هذه الأيام هو تغطية العالم العربي عن طريق التذكير على الإسلام بطريقة مغرضة يخرج منها القارئ أو المشاهد بنتائج وانطباعات سلبية عن كل ما هو مسلم »[2].

ويرى إدوارد سعيد أن مراعاة رغبات الجمهور التي يستند إليها الإعلام الأمريكي تجعله منحازًا ضد الإسلام والعرب . فعندما تكتب نيويورك تايمز أخبار العالم العربي فإن أخبارها غالبًا ما تكون عن الأزمات والقلاقل أو عن تحسن العلاقات بين أمريكا والعرب (وخصوصًا في العلاقات التي يعرب فيها العرب عن رغبتهم في شراء أسلحة أمريكية) لكن لم يحدث أبدًا أن كتبت نيويورك تايمز شيئًا عن النشاطات الثقافية ، ونادرًا جدًا أن تذكر شيئًا عن تطور التعليم والصناعة . أما عن تلك القوى الإيجابية التي تحرك المجتمع العربي فهي لا ترد بتاتًا في تقارير الصحفيين والمراسلين . وفي المقابل نجد اهتمامًا شديدًا عند رجال الصحافة بحوادث العنف والقوانين غير الديمقراطية في بعض أنحاء العالم العربي . وشيء آخر مستثنى تمامًا من

---

(1) انظر : إدوارد سعيد : « الإعلام الأمريكي والسلطة » مجلة المجلة ، (لندن) ، العدد 342 ، بتاريخ 14 - 20 / 8 / 1406 هـ ، 29 / 4 / 1986 م ، ص 27 .

(2) المرجع السابق ، ص 27 .

أي ذكر في الإعلام الأمريكي هو ذلك المنظور التاريخي الذي من شأنه أن يعلّم القارئ العادي ومشاهد التليفزيون أن العالم العربي شأنه شأن الغرب يمر بمرحلة تطور مهمة ومعقدة تجعله يتخلص تدريجيًّا من الدوران في فلك الغرب وينتقل إلى نوع من الاستقلال والاعتماد على النفس . وإذا ما قارنا التغطية الإعلامية الأمريكية لبريطانيا والتغطية الإعلامية للعالم العربي لوجدنا أنها كالمقارنة بين الليل والنهار[1].

وتبرِز جيهان رشتي بعدًا آخر لهذا المعيار الذي تعتمده وسائل الإعلام الأمريكي في معالجتها لشئون المنطقة العربية وهو البعد المتعلق بالوجود اليهودي في أمريكا والنفوذ الذي تتمتع به الجالية اليهودية في المجتمع الأمريكي وتقول في ذلك : « الصحف الأمريكية لديها استعداد قوي لنشر وجهات النظر الإسرائيلية لأن الجماعات اليهودية في الولايات المتحدة تهتم بأخبار (إسرائيل) وتسعى إلى معرفتها في حين أن العرب الذين يعيشون في أمريكا لا يضغطون لمعرفة أخبار الدول العربية ووجهات نظرها . وقد اعتاد رجال الإعلام انتقاء المادة الإعلامية المهمة لأكبر جمهور وهذا يجعل اهتمامات (إسرائيل) ورغباتها تحظى بإبراز أكبر في وسائل الإعلام الأمريكية »[2].

ومن المعايير الهامة التي تحكم العمل الإعلامي في وسائل الإعلام الغربي توافر عنصر الإثارة والغرابة في المادة الإعلامية التي تقدم للجمهور . تقول جيهان رشتي إن « الأخبار وفقًا للنظام الغربي هي مجرد سلعة تجارية تعرض للبيع . وهذه السلعة أو البضاعة يسهل ترويجها أو تسويقها إن كانت غير مألوفة أو تتسم بطابع درامي ، فهذا الجانب الدرامي هو الذي يجعل الصحفيين يختارون الأنباء غير المألوفة وهي أنباء لا تعكس بالضرورة الواقع في المجتمع الذي تغطي الصحف أنباءه . فالصحفيون يبحثون عن الأحداث المثيرة لأنها في رأيهم الأحداث الجديرة بالنشر . وعلى هذا

(1) المرجع السابق ، ص 26 .

(2) جيهان رشتي : الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية (القاهرة : دار الفكر العربي ، 1985 م) ، ص 478 .

الأساس كثيرًا ما تضخم الأحداث أضعافًا مضاعفة ليس فقط لجذب القراء والمستمعين وإرضاء توقعاتهم لخدمة أغراض سياسية ، بل أيضًا لخدمة أهداف تجارية . فهذا التضخيم سيزيد من مبيعات الصحف ويزيد جمهور الراديو والتليفزيون »[1].

ويقول الصحفي البريطاني توماس هوبكنسون : « إن الانشغال بالمسائل الاستثنائية ، يفرض على الصحفي أن ينظر إلى العالم على أنه ساحة تقع فيها الأحداث وكأنها مباراة في كرة القدم ، بينما الحقيقة تكمن في أن القصص الإنسانية العظيمة ليست أحداثًا ، بل عمليات ، كالنمو السكاني ، وسوء التغذية ، وتلوث البيئة على المستوى العالمي ، واستنزاف الموارد التي لا يمكن أن تعوض على الأرض ، والحمق المتصاعد الذي يؤدي إلى إنفاق ما يزيد عن ألف مليون دولار يوميًا على التسليح . لقد ثبت أننا عاجزون – نحن معشر الصحفيين – عن الإبلاغ عن العمليات لأننا اعتدنا على البحث عن الاستفتاءات والأحداث غير العادية والفضائح والصدمات ، بينما تجاهلنا العمليات والاتجاهات التي أدت إلى تلك الأحداث وصبغتها »[2].

إن هذين المعيارين : الاستجابة لرغبات الجمهور المستهلك ، والبحث عن الإثارة والغرابة ، مرتبطان – دون ريب – بالطبيعة التجارية لوسائل الإعلام الغربي ، وخصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية . إن وسائل الإعلام في أمريكا ، كبيرها وصغيرها ، مشروعات تجارية ترمي إلى التسويق ، فهي – على حد قول جورج جربنر – « الذراع الثقافية للصناعة الأمريكية . وهذه هي الحقيقة الأولية عن وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية ، وينبغي فهم هذه الحقيقة لإدراك المعنى الجوهري لوسائل الإعلام وعلاقتها بالنظام الاجتماعي الأمريكي ... وتعمل وسائل الإعلام بسياستها الإستراتيجية ، وجملة مضمونها ، على هندسة الرضا لمصلحة النظام القائم ، لأن السيطرة التجارية على وسائل الإعلام ، وما ينتج عنها من حاجة إلى إرضاء أكبر عدد ممكن من الجماهير تؤكد عمليًا أنها تنجح في ذلك . ويسعى مدير الجهاز

---

(1) المرجع السابق ، ص 478 .

(2) توماس هوبكنسون : « معايير عالمية لوسائل الإعلام » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 39 .

الإعلامي إلى إغراق السوق التي اختارها لسلعته ، لكي يخفض من تكاليف الوحدة ، ولكي يبرر الأسعار المرتفعة لحيز ووقت الإعلان الذي يقبله . وكلما عبر المضمون تمامًا عن شكل المجتمع القائم وخصائصه ، كانت كفاية وسائل الإعلام عالية في العمل كملحق للنظام الصناعي . ويجب على وسائل الإعلام – لكي تجتذب جمهورًا ضخمًا – أن تلتزم بآراء الأغلبية ، وأن تعكس القيم السائدة ، وأن تدعم المعتقدات الرئيسة في النظام الاجتماعي . أما الخروج عن الطريق المقبول شعبيًا ، فإنه غالبًا ما يؤدي إلى حلول كارثة اقتصادية »[1].

ويندرج ضمن سعي وسائل الإعلام الغربية إلى تكريس الأوضاع القائمة والقيم السائدة في المجتمعات الغربية ، التوافق الملحوظ بين اتجاهات التغطية الإعلامية الخارجية لهذه الوسائل واتجاهات السياسات الحكومية في البلدان الغربية . وقد أشارت بعض الدراسات الميدانية في وسائل الإعلام الأمريكية إلى هذا التوافق الملحوظ ، إذ يؤكد هربرت جانز ، في دراسته عن أخبار شبكة CBS التليفزيونية وشبكة NBC ومجلتي تايم ونيوزويك في كتابه « تقرير ما هي الأخبار » ، أن القيم الأخبارية في وسائل الإعلام الأمريكية ، يتضح أثرها بشكل بارز في معالجتها للأخبار الخارجية ، إذ يلجأ الإعلاميون إلى قيمة واضحة يحكمون من خلالها على الأخبار ، وهي أن التغطية الإخبارية للدول الأجنبية تعتمد على مدى علاقتها بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية . وتبعًا لذلك تعطي وسائل الإعلام الأمريكية الأولوية لأخبار حلفاء الولايات المتحدة الأقوياء وخصوصًا في أوربا ، وكذلك أعداء الولايات المتحدة مثل الدول الشيوعية ، أما الدول الأخرى فهي لا تحظى إلا باهتمام ثانوي محدود[2].

○ النفوذ الصهيوني في وسائل الإعلام الغربي :

يعدّ النفوذ الصهيوني الكبير في وسائل الإعلام الغربي أحد أهم وأخطر العوامل التي أسهمت – وما تزال – في صياغة الصورة النمطية السيئة عن الإسلام والعرب

---

(1) وليام ل . ريفرز وتيودور بيترسون وجاي و . جنسن : وسائل الإعلام والمجتمع الحديث ، مرجع سابق ، ص 51 - 52 .

(2) Herbert J. Gans, Deciding What's News : Op. Cit.

وترسيخها في العقل الغربي المعاصر . إن هذا النفوذ الصهيوني المتنامي حقيقة لا يمكن إنكارها – وخصوصًا في الولايات المتحدة الأمريكية – وهذا النفوذ الذي وصل إليه الصهاينة في أمريكا – كما يقرر عليّ الدين هلال – لم يأت نتيجة لمعجزة أو عمل « فهلوي » للحركة الصهيونية ، بل هو خلاصة ثلاثة عوامل محددة ؛ أولها تحليل علمي لواقع المجتمع الأمريكي ونقاط قوته وضعفه ، ومعرفة دقيقة للقوى المؤيدة والمعارضة والمحايدة ، ثم رسم سياسة إعلامية ودعائية على أساسها للتأثير على هذا المجتمع . وثانيها تنظيم دقيق ، قوامه الجالية اليهودية يتغلغل في سائر مجالات المجتمع ، وثالثها المال الذي يمكّن هذا التنظيم من الحركة والنشاط[1].

ويمكننا – دون تحفظ – أن نقرر أن هذه العوامل الثلاثة التي ذكرها هلال تنطبق بصورة أو بأخرى على النفوذ الصهيوني في المجتمعات الغربية الأخرى ، وإن كنا لا نسقط من الاعتبار بعض الاختلاف في الظروف بين الولايات المتحدة وبقية الدول الغربية في أوربا . وما يجعلنا نؤكد هذا التشابه في العوامل التي يرتكز إليها الصهاينة في بسط نفوذهم على وسائل الإعلام في الغرب هو أن الحركة الصهيونية العالمية هي التي تقوم بالإشراف التام على رسم إستراتيجيات العمل الصهيوني وتنفيذ نشاطاته في أنحاء العالم ، ومن ذلك – بكل تأكيد – النشاط الإعلامي والدعائي .

لقد وجد اليهود في البيئة الفكرية والاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية في الغرب ، ما يساعدهم على تحقيق أهدافهم في بسط نفوذهم على وسائل الإعلام الغربية . ويأتي شعور الغربيين بالتلاقي التاريخي والديني والفكري بينهم وبين اليهود ، في قمة المرتكزات التي استغلها اليهود للوصول إلى غاياتهم . وفي ذلك يقول عليّ الدين هلال : « إن المواطن الأمريكي ، والغربي عمومًا ، يعرف اليهود والتاريخ اليهودي كجزء من تراثه ويحس تجاههما بصلة ، الأمر الذي لا يحدث تجاه العربي ؛ فالحضارة الغربية المعاصرة تجد أحد أصولها التاريخية فيما يسمى بالتقاليد اليهودية – المسيحية .

---

(1) عليّ الدين هلال : « التطويق الصهيوني للرأي العام الأمريكي » السياسة الدولية ، العدد 33 ، يوليو 1973 م ص 36 .

والإنسان الأمريكي المسيحي (وكذلك الغربي عمومًا) قريب من اليهودي ؛ فهو أبيض مثله ، وهو يقرأ تاريخه في الإنجيل ، وهو يشعر بالذنب نتيجة الظلم الذي أوقعه المجتمع المسيحي باليهود عبر مئات السنين . ومن الناحية الأخرى ، فإن نموذج العربي في ذهنه مناقض لذلك كلية . فالعربي عرقًا ليس بأبيض ، وهو ديانة مسلم ، وهو حضاريًّا بربري متخلف »[1].

وقد تنوعت أساليب اليهود ووسائلهم في بسط نفوذهم على وسائل الإعلام الغربي . ومن أهم هذه الأساليب والوسائل – كما ترى جيهان رشتي :–

(1) الملكية المباشرة لوسائل الإعلام ، أو تعيين عناصر موالية للصهيونية في المناصب الهامة فيها .

(2) وجود عدد كبير من اليهود بين العاملين في وسائل الإعلام .

(3) استقطاب الإعلاميين من غير اليهود لمناصرة اليهود .

(4) الضغط على الصحفيين الذين يكتبون عن أحداث الشرق الأوسط ، إن أبدوا أي ميل لمساندة العرب أو الاعتراض على الممارسات الصهيونية .

(5) إغراق وسائل الإعلام بالمعلومات التي في صالح (إسرائيل) ، عن الصراع العربي الإسرائيلي .

(6) استخدام سلاح الإعلان في الضغط على وسائل الإعلام التي لا تخضع لسيطرة المنظمات الصهيونية ، سواء بالملكية المباشرة أو عن طريق تعيين إعلاميين موالين لها في المناصب الهامة[2].

ويطول بنا المقام ، إذا ما أردنا أن نستعرض نماذج لما يقوم به اليهود وفق هذه الأساليب للتمكين لنفوذهم في وسائل الإعلام في الغرب . ويكفينا أن نشير إلى بعض هذه النماذج لإبراز علاقتها القوية بموضوع هذه الدراسة عن الصورة النمطية السيئة

---

(1) المرجع السابق ، ص 37 .

(2) جيهان رشتي : الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية ، مرجع سابق ، ص 461 - 462 .

للإسلام والعرب في الإعلام الغربي . ففي مجال التملك اليهودي المباشر لوسائل الإعلام ، يبرز لنا اليهودي الأسترالي روبرت مردوخ كنموذج صارخ ، فهو يمتلك إمبراطورية إعلامية تضم 150 وسيلة إعلامية في أربع قارات . ففي الولايات المتحدة ، يمتلك مردوخ صحيفتين يوميتين و20 مجلة أسبوعية وعددًا من المحطات التليفزيونية ودور النشر . وفي بريطانيا ، يمتلك خمس صحف يومية وعددًا من المجلات وشبكة تليفزيونية عبر الأقمار الصناعية . كما يملك في أستراليا 100 صحيفة ، وفي آسيا صحيفة يومية كبرى . وقد اشترى مردوخ عام 1988 م شركة ترايفجل الأمريكية التي تصدر مجلة « دليل التليفزيون » التي توزع أكثر من 20 مليون نسخة[1].

ويمتلك مليونير يهودي آخر ، هو صمويل نيوهاوس ، 30 صحيفة يومية وست مجلات وست محطات تليفزيونية و 4 محطات إذاعية و 20 محطة تليفزيون كيبلي في الولايات المتحدة الأمريكية . ويمتلك اليهودي والتر أننبرج عدة صحف يومية ومجلات واسعة الانتشار في الولايات المتحدة الأمريكية[2].

ويكفي في مجال الصحافة البريطانية أن نعرف بأن مردوخ يمتلك الآن صحيفة التايمز اللندنية المشهورة وشقيقتها الصغرى صنداي تايمز ، كما يمتلك ثلاث مجلات أخرى هي صن ونيوز أف ذي ورلد وستي ماجازين[3]. وفي فرنسا يمتلك اليهودي جيمس غولد سميث مجلة الإكسبرس ، كما أن لليهود تأثيرًا على عدد من الصحف والمجلات الفرنسية الأخرى[4]. ولليهود أنفسهم في فرنسا من الصحف والمجلات ما يزيد عن 36 مطبوعة يهودية[5]. وفي الولايات المتحدة يمتلك المليونير اليهودي آرثر

---

(1) انظر : مجلة نيوزويك ، العدد الصادر يوم 22 أغسطس 1988 م .

(2) انظر : عبد المحسن الداود « اليهودي في الإعلام الدولي » صحيفة الرياض (الرياض) العدد 6802 بتاريخ 8 / 6 / 1407 هـ ، 6 / 2 / 1987 م ، ص 5 .

(3) انظر : زياد أبو غنيمة : السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، مرجع سابق ، ص27 .

(4) المرجع السابق ، ص 45 .

(5) انظر : إبراهيم فؤاد عباس : « وسائل الدعاية الصهيونية وأبعادها » صحيفة الرياض (الرياض) ، العدد 5731 بتاريخ 30 / 5 / 1404 هـ .

أوش سولزوبرجر وشريكه اليهودي الأصل جوليوس أدلر صحيفة نيويورك تايمز . وتشغل منصب المدير العام لصحيفة واشنطن بوست الصحفية اليهودية كاترين جراهام ويملكها اليهودي أوجين ماير . كما أن مجلة نيوزويك الأسبوعية تتبع أملاك ماير ، ويرأس تحريرها اليهودي ليستر بيرنشتاين . أما مجلة تايم ، فيملكها اليهودي جون مئير ، ويتوزع العديد من اليهود في جميع أقسامها[1].

أما في مجال التليفزيون ، فيقول زياد أبو غنيمة إن الشبكات التليفزيونية الثلاث في أمريكا هي ABC, NBC, CBS تقع جميعًا تحت سيطرة ونفوذ الصهيونية . فـ ABC رئيسها يهودي اسمه ليونارد جونسون ، ومديرها العام اليهودي مارتن روبنشتاين ، و CBS يملكها اليهودي وليام بيلي ، ومديرها العام اليهودي ريتشارد سالانت . أما شبكة NBC فيسيطر عليها اليهود من خلال رئيسها اليهودي ألفرد سلفرمان الذي خلف رئيسها السابق روبرت سارنوف ، ومديرها العام الآن هو اليهودي هيربرت سيكوسر[2].

وفي بريطانيا ، يمتلك اليهودي سيدني برنشتاين شركة إنتاج تليفزيوني كبيرة ، هي شركة غرانادا . كما أن أحد الثلاثة ، الذين يناط بهم وضع سياسة هيئة الإذاعة والتليفزيون البريطانية ، ينحدر من أصل يهودي . كما يعدّ اللورد لوجريد اليهودي ، صاحب شركة ITV للإنتاج التليفزيوني ، الإمبراطور المتوج على صناعة الإنتاج التليفزيوني التجاري في بريطانيا . وهو الذي أنتج الفيلم التليفزيوني « موت أميرة » الذي ألفه الكاتب الصهيوني هارولد ونبز ، وعرضه التليفزيون البريطاني لأول مرة في أبريل 1980 م ، ثم انتشر عرضه في معظم شبكات التليفزيون في العالم[3].

أما في مجال السينما ، فقد كان لليهود دور بارز في مدينة السينما العالمية هوليوود

---

(1) انظر : زياد أبو غنيمة : السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية ، مرجع سابق ، ص 35 - 38 .

(2) المرجع السابق ، ص 65 - 66 .

(3) المرجع السابق ، 68 - 69 .

منذ البداية . ويذكر سمير فريد ، في كتابه « مدخل إلى السينما الصهيونية » ، أن هناك سبع شركات كبرى في هوليوود هي متروجولدوين ماير وفوكس وباراموننت ، وكولومبيا ويونيفرسال ووارنر ويونايتد أرتست ، وكل مؤسسي هذه الشركات من اليهود . ونتيجة لملكية اليهود لكل الشركات الكبرى في هوليوود ازداد عدد اليهود في صناعة السينما بعد تركزها في هذه المدينة منذ أوائل هذا القرن ، ولهذا كانت هوليوود ــ ولا تزال – « قلعة من قلاع الدعاية الصهيونية على صعيد السينما » . وللصهيونية في هوليوود تنظيم رسمي هو قسم السينما في جمعية النداء اليهودي المتحد الذي تأسس عام 1947 م ، ورئيسه المنتج دافيد سلزنيك)[1].

ويعد أسلوب الترويع والتخويف من أهم الأساليب التي يستخدمها اليهود في الغرب للتأثير في الصحفيين والإعلاميين . يقول الصحفي الأمريكي هارولد بايتي إن « صيحة اللاسامية القبيحة هي العصا التي يستعملها الصهاينة لحمل غير اليهود على قبول وجهة النظر الصهيونية بشأن الأحداث العالمية أو على التزام الصمت » ويرى بايتي أن تغطية الإعلام الأمريكي للشرق الأوسط مليئة بالمغالطات والتشويهات . ويعزو هذا العيب إلى نجاح اللوبي الصهيوني في « السيطرة على وسائل الإعلام الأمريكي بشن حملة احترافية لترويع وسائل الإعلام بمختلف الأساليب ، وأخيرًا لفرض الرقابة حتى أصبحت هذه الوسائل مطواعة وجبانة »[2].

وقد عبّر عن هذا الخوف رسام الكاريكاتور ، في صحيفة جورنال هيرالد الأمريكية ، روبرت إنجلهارت ، حيث يقول : « أستطيع أن أصوّر العربي كسفاح وكذاب ولص فلا يعترض أحد ، ولكنني لا أستطيع اعتماد صورة تقليدية لليهود . وأشعر دائمًا وكأنني أسير فوق البيض عندما أحاول أن أرسم شيئًا عن الشرق

---

(1) انظر : سمير فريد : مدخل إلى السينما الصهيونية (بيروت : المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، 1981 م) ، ص 10 - 11 .

(2) انظر : بول فندلي : من يجرؤ على الكلام (بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 1987 م) ، ص 483 .

الأوسط ...»[1] بل إن الأمر تجاوز مرحلة التخويف إلى مرحلة فرض الرقابة الصهيونية المسبقة على بعض الصحف المعتبرة في بعض الحالات . ويروي لنا بول فندلي ، في كتابه الثمين « من يجرؤ على الكلام » ، كيف أن صحيفة واشنطن بوست خضعت للجماعات المؤيدة للصهيونية ، بعد أن انتقدتها هذه الجماعات لتغطيتها مذابح صبرا وشاتيلا . فقد طلب مايكل بيرنبوم المدير التنفيذي لمجلس الجالية اليهودية في واشنطن الكبرى مع بعض زملائه الاجتماع بمحرري الصحيفة للتعبير عن احتجاجهم على الصحيفة ، وإرضاء لهم وافق المحرر التنفيذي في الصحيفة على أن يراقب بيرنبوم عمليات الأنباء لمدة أسبوع واحد بشرط ألّا يلجأ إلى الضغط أو التدخل في عملية التحرير بشكل من الأشكال . وقد أثارت هذه السابقة غيظ بعض الصحفيين إذ تساءل روبرت جيبون – محرر الأنباء الخارجية في لوس أنجلس تايمز – قائلًا : « لا أدري كيف يمكن عمل هذا الشيء لليهود وإنكاره على العرب ؟ »[2] ويقول جيمس مكارتني الخبير في الشئون الأجنبية في سلسلة صحف نايت في واشنطن : « لا أعتقد أنه تمرّ عدة شهور على رئيس تحرير في صحيفة في فيلادلفيا أو دتيرويت بدون زيارة من شخصٍ ما يمثل المجموعة اليهودية أو شخص لديه وجهة نظر مساندة لإسرائيل ، أو بدون حضور حفل غداء أو شيء من هذا القبيل لجماعات يهودية »[3].

لقد نجحت الدعاية الصهيونية المفروضة على وسائل الإعلام الغربية – وبخاصة الأمريكية بفضل النفوذ الصهيوني الواسع في هذه الوسائل – في تعميق الفجوة الهائلة الموجودة بين الغربيين والعرب وذلك لصالح الصورة الزاهية التي تعمل هذه الدعاية على رسمها للإنسان اليهودي في وسائل الإعلام الغربية . وفي ذلك يقول ألفريد لنتال « لقد نجحت إسرائيل في عمل غسيل المخ للأمريكيين وجَعْلِهم يؤمنون أن الدعاية

---

(1) المرجع السابق ، ص 482 .

(2) المرجع السابق ، ص 506 - 507 .

(3) انظر : جيهان رشتي : الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية ، مرجع سابق ، ص 468 .

لإسرائيل هي بشكل ما « صحيحة » و « ملائمة » والدعاية للعرب خاطئة ، وأنه بينما يعد العرب « أجانب » أو غرباء ، إلا أن الإسرائيليين ليسوا كذلك . وكما قال محرر مجلة لايف ، فإن التأثير البالغ للدعاية الإسرائيلية والضغط المستمر خلال الخمس والعشرين عامًا الماضية هو الذي جعلنا جميعًا نشعر بأننا يهود بعض الشيء ، ونشعر أن الإسرائيليين هم أناس من نفس نوعنا ، بينما العرب هم أعداؤنا الألداء . كانت تلك خطة عظيمة لغسيل المخ . وبهذا المنطق المغلوط أصبحت (إسرائيل) امتدادا للولايات المتحدة »[1].

○ الاعتبارات والتنظيمات المهنية :

ومما يؤثر في صياغة الصورة النمطية للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي ، بعض الاعتبارات المهنية المتصلة بالعمل الإعلامي الغربي . وهذه الاعتبارات المهنية تتدخل في القدر المتاح من المساحة الإعلامية لتغطية قضايا العرب والمسلمين ، كما أنها – من جهة أخرى – تتدخل في الطريقة والأسلوب الذي تعالج به هذه القضايا في وسائل الإعلام الغربي . ومن أهم هذه الاعتبارات ما يلي :

1 – اعتماد وسائل الإعلام الغربية على عدد محدود جدًا من المراسلين والمخبرين في العالم العربي ، بينما يوجد لكثير من هذه الوسائل مراسلون مقيمون في الكيان الصهيوني . ويروي إدموند غريب حادثة شخصية له عندما أرسلت مؤسسة نايت الصحفية في الولايات المتحدة مراسلًا واحدًا فقط لتغطية الغزو الإسرائيلي للبنان ، وكان مقره على الجانب الإسرائيلي ، فسأل ممثل تلك المؤسسة عن سبب عدم إرسال مراسل آخر على الجانب العربي ، فاعترف الممثل بأنه كان يجب إرسال مراسل إلى الجانب العربي أيضًا ، ولكنه قال : « إن الأخبار المنشورة يقرؤها العدد الكبير من السكان اليهود في المدن التي تقوم تلك الصحف على

(1) Alfred M. Linienthal, **The Zionist Connection : What Price Peace ?** (N.Y. : Middle East Perspective, (1979), P, 455.

خدمتها . وهم يريدون أن يعرفوا الأخبار من الجانب الإسرائيلي »[1]!!

2 – كون كثير من المراسلين المعتمدين لوسائل الإعلام الغربية في الشرق الأوسط من اليهود ؛ فالصحف البريطانية – مثلًا – لم تتعود تعيين مراسلين لها من أبناء البلاد التي تجري فيها الأحداث ، فهي لا تعتمد مراسلًا أفريقيا في أفريقيا أو عربيًّا في لبنان أو سوريا أو الأردن . أما بالنسبة للكيان الصهيوني ، فالأمر مختلف تمامًا ، وخاصة أثناء الحروب والأحداث الخطيرة . فأثناء العدوان الصهيوني عام 1967 م كان مراسل التايمز في (إسرائيل) هو موشيه بريليات ، ومراسل الجارديان هو رولتر كروسل ، ومراسل الأوبزرفر هو فرانسيس أوفنز ، ومراسل هيئة الإذاعة البريطانية هو مايكل ألكن ، وهم جميعًا ليسوا بريطانيين بل من اليهود الملتزمين بمساندة الحركة الصهيونية . كما كان بعض مراسلي التليفزيون الأمريكي يهودًا أيضًا ، مثل بل سيسام من شبكة ABC وجاي يوشنسكي ممثل محطة متروميديا[2].

3 – عدم إجادة كثير من مراسلي ومندوبي وسائل الإعلام الغربي – سواء المعتمدين في الدول العربية أو الذين يوفدون لتغطية أحداث بعينها – للغة العربية . كما أنهم يفتقرون إلى المعرفة والوعي بالخلفيات الفكرية والسياسية الكافية لما يجري في العالم العربي ، بالإضافة إلى عدم إلمامهم بعادات المجتمعات العربية وتقاليدها وخصوصياتها[3]. فإذا أضيف إلى ذلك وجود صور ذهنية مشوهة مسبقًا لدى هؤلاء المراسلين والمندوبين ، فلنا أن نتصور طبيعة التغطيات الإعلامية التي يمكن أن يقوم بها هؤلاء للمنطقة العربية : أحداثًا وقيمًا وشخصيات .

4 – عنصر الوقت والسرعة في نشر الأخبار والمعلومات مما يؤدي – في بعض

---

(1) إدموند غريب : « الإعلام الأمريكي والعرب » في : الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 92 .

(2) انظر : جيهان رشتي : الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية ، مرجع سابق ، ص 466 .

(3) انظر : المرجع السابق ، ص 475 .

الأحيان – إلى عدم الدقة والموضوعية « فالصحفيون مضغوطون ، بسبب عنصر الوقت ، فعليهم تقديم تعليقات سريعة على نصوص لم يقرءوها أو على أحداث لم يستوعبوا أبعادها ، كما أن عليهم أن يعلقوا على موضوعات لم يحللّوها بشكل كاف . وتعكس هذه المتغيرات المشكلة التي تعاني منها الصحافة الغربية ، وربما تفسر أسباب تحريف الأخبار . فحينما يقع حدث هام في أي بلد عربي ، يسرع المراسل الأجنبي إلى ذلك البلد ، وفي خلال ساعات قليلة ، عليه أن يقدم تقريرًا كاملًا عن الحدث بخلفياته ، وبالطبع فالنتيجة تقرير سطحي متحيز »[1].

5 – المساحة المحدودة المتاحة للأحداث الخارجية في وسائل الإعلام الغربي مما يضطر الإعلاميين إلى الانتقاء والتكثيف الشديد والتلخيص الذي قد يخلّ ببعض شروط الموضوعية والعمق في التناول ، وخصوصًا إذا كان الحدث أو القضية ذا أبعاد متعددة ويحتمل وجهات نظر مختلفة . ويدفع هذا القيد في المساحة – سواء في الصحف أو الإذاعة المسموعة أو المرئية – رجل الإعلام إلى التركيز على كل ما يجذب النظر من الحركة والأشياء الغريبة والمثيرة والأحداث غير المألوفة[2].

6 – الرقابة الشديدة على المواد الإعلامية المتعلقة بقضايا الشرق الأوسط ، سواء كانت رقابة ذاتية من المحررين والإعلاميين أنفسهم أو رقابة رئاسة التحرير . يقول إدموند غريب « في كثير من الأحيان ، يبرق المراسل فقط بالمعلومات التي يعرف أنها مرغوبة ، وأحيانًا أخرى تقطع الأخبار ، أو أنها لا تنشر إطلاقًا . وقد أبلغني محرر مرموق للشئون الخارجية في صحيفة يومية بارزة أن المحرر السابق أعطى تعليمات لجهازه بعدم نشر أي مقال يعدّ مؤيدًا للعرب ، ونشر كل ما يأتي من الجانب الإسرائيلي . وقد كتب أحد مراسلي ناشيونال أوبزرفر مقالًا

---

(1) المرجع السابق ، ص 479 .

(2) المرجع السابق ، ص 479 .

أشار فيه إلى الشعب الفلسطيني فأقام محرره الأرض و لم يقعدها عليه قائلًا له : إنه ليس هناك شعب فلسطيني !! وسأل صحفي آخر كان يعمل في صحيفة النيويورك تايمز محررًا للشئون الخارجية فيها لماذا لا تنشر الأخبار عن تعذيب العرب تحت الاحتلال في الصحيفة ؟ فقال له إن التعذيب يحدث في كل أنحاء العالم وهذا لا يشكل حدثًا إخباريًا ، مع العلم بأن الصحيفة نفسها تنشر قصصًا عن التعذيب تجرى في أنحاء أخرى من العالم »[1].

7 ويشتكي كثير من الصحفيين والمراسلين الغربيين من أنهم يواجهون صعوبات جمة في الحصول على الأخبار والمقابلات في البلدان العربية ، مما يشكّل عنصرًا هاما من عناصر نقص التغطية الإعلامية للعالم العربي أو اللجوء إلى الإشاعات والأخبار التي تدلي بها مصادر غير موثوقة أو حتى مصادر معادية . وقد أشار روجر ماثيو محرر شئون الشرق الأوسط في صحيفة فايننشال تايمز البريطانية إلى بعض تلك الصعوبات ، ومنها منع الصحفيين الغربيين من الدخول إلى بعض الدول العربية ، وتعقيد حرية تنقل هؤلاء بين الدول العربية . وحتى عندما يحصل الصحفي الغربي على تأشيرة دخول إلى بعض البلدان العربية ، فإن هذا لا يعني انتهاء المشاكل ، فاتصالات الصحفي تتم عبز وزارات الإعلام التي يغلب عليها الطابع الرسمي . ويتهم ماثيو بعض الدول العربية بأنها تريد أن تكون الصحافة الغربية جزءًا من عجلتها الدعائية ، بينما بعضها الآخر لا يريد هذه الصحافة كلها . ويقول ماثيو إن الجانب الإسرائيلي استطاع أن يستغل القصور العربي في غزو الغرب وصحافته بالمعلومات الأمر الذي أدى إلى طغيان وجهة النظر الإسرائيلية في الصحافة وأجهزة الإعلام الغربية الأخرى[2].

8 — التكلفة المادية الباهظة للتغطيات الإعلامية الخارجية مما قد لا يشجع كثيرًا من

---

(1) انظر : أدموند غريب : « الإعلام الأمريكي والعرب » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية — لندن — 1979 م ، مرجع سابق ، ص 93 .

(2) انظر : صحيفة الشرق الأوسط « تحقيق عن الندوة الدولية في باريس لتحسين الصورة العربية في الإعلام الغربي » ، بتاريخ 9 / 11 / 1984 م ، ص 6 .

وسائل الإعلام الغربي على السعي لمعرفة الأخبار الخارجية بجهودها الذاتية . وينتج عن ذلك ، إما إهمال تلك الأخبار وعدم تغطيتها ، وإمّا الاعتماد على قنوات وسيطة كوكالات الأنباء والمصادر البديلة التي قد تكون في بعض الأحيان مغرضة وغير محايدة .

رابعًا : العوامل الذاتية

○ ضمور الفاعلية الحضارية للأمة :

أصيبت الأمة العربية والإسلامية بضمور شديد في فاعليتها الحضارية في تاريخها الحديث ، نتيجة لعوامل متعددة ليس هنا مجال الحديث عنها . وقد غطى هذا الضمور جوانب كثيرة في الحياة العربية والإسلامية ، ففي الجانب الفكري تحلّلت عناصر القوة التي تميز بها الفكر الإسلامي بفعل الجمود وقفل باب الاجتهاد وغياب القيادات الفكرية الفاعلة في الساحة الإسلامية .

وفي الجانب السياسي خضعت العديد من الدول العربية والإسلامية للاستعمار الغربي ، ووقعت في براثن التسلط السياسي ردحًا من الزمن . وقد عمدت القوى الاستعمارية إلى تفتيت وحدة العالم العربي الإسلامي ، وإضعاف الصلات بين شعوبه ودوله ، كما سعت – بدأب متواصل – إلى زرع بذور التفكك والتناثر والخلاف بين المسلمين ، حتى إذا خرجت جيوش الاستعمار ، أينعت هذه البذور واكتمل نموها ، في ظل تصاعد المشاعر القومية والوطنية التي كانت – بصورتها الحالية – من مخلفات الفكر الاستعماري الغربي .

أما في الجانب التعليمي ، فقد تضاءل الاهتمام بمناهج التربية والتعليم التي تمثل أصالة الأمة وذاتيتها ، واستعيرت المناهج المستوردة ، وصيغت مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية والتربوية وفق النمط الغربي ، لتخرِّج أجيالًا مبتوتة الصلة بأصالتها وتراثها ومكوناتها الحقيقية . ووقع كثير من بلداننا العربية والإسلامية – في ظل هيمنة الأفكار العلمانية – في شَرَك الازدواجية التعليمية بين المناهج والمدارس الدينية من جهة ، والمناهج والمدارس المدنية من جهة أخرى . وقد أفرزت هذه الازدواجية في النظام

التعليمي شرائح من أبناء الأمة متناقِضي الفكر مزدَوجي الولاء .

وفي الجانب الاجتماعي تزلزلت أركان النظم والتقاليد الاجتماعية التي ورثتها المجتمعات العربية والإسلامية ، بسبب عدم قدرة تلك النظم والتقاليد على مواكبة التغيرات التي دخلت على مجتمعاتنا مع رياح التحديث ومحاولات التنمية التي شهدتها هذه المجتمعات بعد انحسار موجة الاستعمار المباشر . وقد أضعفت هذه التغيرات – التي لم يحسن التخطيط لها – الروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمعات العربية الإسلامية وأسهمت في خلخلة معالم الهوية المتميزة للأمة ليس على صعيد النخبة المثقفة فحسب ، بل وعلى الصعيد الشعبي بشكل كبير .

إن هذا الضمور الشديد للفاعلية الحضارية للأمة نقل العالم العربي والإسلامي من موقع القوة الفاعلة والتأثير الإيجابي إلى موقع الضعف المستكين والتأثر السلبي . وبدلًا من أن يكون العالم العربي والإسلامي مصدرًا للإشعاع الحضاري غدا – بسبب هذه الأوضاع – محطًّا للغزو والاستقطاب بمختلف صوره وأشكاله . ولا شك أن هذا الضمور الحضاري كان له دور بارز في اشتداد حملات تشويه صورة الإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي . وقد هيأ هذا الضمور الواضح المناخ المناسب للحملات الإعلامية المعادية لتحقيق أهدافها بنجاح .

○ الصور السلبية للمسافرين العرب إلى الغرب :

لقد أدى الانفتاح الذي شهدته بعض المجتمعات العربية والإسلامية – وخصوصًا الخليجية منها – إلى نمو ظاهرة السفر إلى الخارج للسياحة أو العلاج أو الدراسة أو التجارة . وقد حظيت الدول الغربية بنصيب وافر من السياح والدارسين والتجار العرب الذين لفتوا الأنظار واستقطبوا الأضواء .

وقد صاحبت هذه الظاهرة بعض الصور السلبية التي تمثلت في تصرفات وسلوكيات بعض هؤلاء المسافرين كالبذخ والتبذير والتباهي بالإنفاق المادي . ورافق هذه الظاهرة أيضًا بعض صور الفساد الخلقي التي مارسها حفنة من صغار السن والشباب الطائش الذين توافرت لهم أسباب الانفلات والتسيب .

لقد أذكت هذه الصور السلبية للمسافرين العرب في الغرب مشاعر العداء في نفوس كثير من الغربيين ، وغذت كوامن الصورة النمطية المتوارثة للإسلام والعرب في أذهانهم . واستثمرت وسائل الإعلام هذه الصور السلبية لترسيخ معالم تلك الصورة التاريخية وإعادة تلميعها وتعزيز ما تتضمنه من إيحاءات ودلالات في العقل الغربي . وليس من ريب في أن وسائل الإعلام الغربي قد عملت على تضخيم هذه الصور السلبية والمبالغة في تسليط الأضواء عليها وتقديمها إلى الجمهور الغربي في شكل حملات دعائية تعتمد على الإثارة الرخيصة والمعالجة المغرضة .

إن وسائل الإعلام الغربي وجدت في الصور السلبية للمسافرين العرب إلى البلدان الغربية مادة إعلامية تتوافق مع طبيعة العمل الإعلامي في الغرب من حيث الاعتماد على الإثارة والغرابة . كما وجدت في تلك الصور ما يشبع رغبات الجمهور الغربي المتطلع إلى أخبار الفضائح والمفارقات والحوادث المثيرة للفضول . وقد دفع هذا التوافق مع طبيعة العمل الإعلامي الغربي وهذا السعي لإشباع رغبات الجمهور الغربي وسائل الإعلام إلى البحث عن قصص المسافرين العرب والتنقيب عن فضائحهم ومغامراتهم . بل لجأت بعض تلك الوسائل إلى اختلاق القصص وإطلاق الشائعات حتى تضمن مزيدًا من إقبال الجمهور عليها وزيادة مبيعاتها وإعلاناتها .

○ غياب الإعلام العربي :

ولا نعني هنا الغياب الكامل للإعلام العربي في الغرب ، ولكننا نعني غياب الإعلام العربي الفاعل والمؤثر . إن تقصير الإعلام العربي في الخارج في أداء المهام المنوطة به – كما يقول محمد عبد العزيز ربيع – « أصبح اليوم واحدًا من القضايا التي لا تقبل الجدل أو النقاش » . وعندما نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى هذا التقصير ، يقول ربيع : « وإذا كان اللوم قد وجه بشكل أساسي إلى المسئولين عن مكاتب الإعلام الخارجي ، خاصة مدراء مكاتب الجامعة العربية ، فإن للفشل الإعلامي أسبابًا أخرى تتعدى قدرات وإمكانات القائمين عليه والمتهمين بالتقصير في تحمل مسئوليته » .

ويشير ربيع إلى هذه الأسباب ، فيقول : « إذ بالإضافة إلى صعوبة العمل في بيئة غالبًا ما تكون معادية ، وبإمكانات مادية وبشرية ضعيفة ، فإنه لا يتوافر لديهم القدر الكافي من المعرفة العلمية عن مجال العمل الذي يمارسونه ، ولا عن متطلبات النجاح في الواقع الذي يعيشون فيه » ويضيف : « إن تتبع تجربة الإعلام العربي في الخارج ، على مدى عقدي الستينيات والسبعينيات ، تثبت أن تغيير مدراء المكاتب وتبديلهم لم ينجح في إزالة واقع الفشل الذي ما زال يحيط بالعملية الإعلامية ويكبل حركتها . ولما كان التغيير ضرورة من ضرورات العمل على استكشاف إمكانيات النجاح ، فإن عملية التغيير – إذا أريد لها أن تنجح – لابد أن تتجه إلى تغيير محتوى السياسة الإعلامية ومنطلقاتها الأساسية ، وإلى تبديل أساليب العمل الإعلامي وأدواته ، وإلى استكشاف آفاق جديدة لم يجرؤ المسئولون الإعلاميون على استكشافها من قبل »[1].

وقد عبّر لوسيان بيترلن عن غياب الإعلام العربي في الغرب عندما قال : « إن الصحافي (الغربي) الذي يريد أن يكتب مقالًا جادًّا مدعومًا بالمستندات ودقيقًا لا يجد على طاولته سوى ترجمات للتصريحات العربية التي تقدمها الوكالات الكبرى للأنباء وسوى ما ندر من المواد الصحفية القادمة مباشرة من مصادرها العربية . فالدوائر الصحافية التابعة للسفارات العربية تعوزها الأجهزة اللازمة للاستجابة لحاجات المحترفين . وهناك بعض الوكالات .. التي تصدر منشورات يومية ، ولكن نادرًا ما يمكنها أن تفي بالمطلوب من حاجات إعلامية يحتاجها المحترفون (الغربيون) » .

ويضيف بيترلن « ويجب أيضًا معرفة أن الإسرائيليين يستبقون الحدث بواسطة ملحقيهم الصحافيين ، أو أنهم على كل حال يبقون في مقدمة الصحافيين ، في حين أن الملحقين الصحافيين العرب نادرًا ما يكونون مستعدين ومؤهلين لإعطاء تفصيلات حول حدث ما .. فيلزمهم أحيانًا ساعات عديدة وأيام حتى يمكنهم الإجابة عن سؤال متعلق بهذا الحدث . فيكون الوقت متأخرًا جدًا لأن الخبر يعني « الوقت

(1) محمد عبد العزيز ربيع : « الإعلام العربي في الخارج : الفشل ومتطلبات النجاح » شئون عربية (تونس) ، العدد 38 رمضان 1404 هـ حزيران 1984 م ، ص 140 .

الحاضر » وإلّا يُصبِح سريعًا من فعل الماضي »[1].

ويحلل أحد خبراء الإعلام ، وهو عبد الرازق العصماني ، أزمة غياب الإعلام العربي في الخارج فيقول « إذا نظرنا إلى الإعلام العربي عن طريق جامعة الدول العربية كمنظمة سياسية ، فنستطيع أن نقول إنه موجود .. ولكنه يواجه معوقات وصعوبات كثيرة ، فهو مرتبط بسياسات الدول الأعضاء في الجامعة . وهذه السياسات بحد ذاتها غير واضحة وتغلب عليها الضبابية ويرجع ذلك إلى الخلافات العربية ، فالقائم بالاتصال يكون مشتت الأفكار ومقيدًا – في نفس الوقت – بالعديد من السياسات » .

ويحدد العصماني مشكلات الإعلام العربي في الخارج بعد وضوح الإستراتيجية الإعلامية إلى جانب عدم تأهل الكفاءات الإعلامية تأهيلًا إعلاميًّا متخصصًا وقد يكونون مفروضين من دولهم ، فضلًا عن عدم وجود الإمكانات المادية ، فميزانية الإعلام في جامعة الدول العربية لا تتعدى 3 ملايين دولار !! كما أن الانتماءات والسياسات الوطنية الضيقة للدول العربية تعوق العمل الإعلامي العربي المشترك في الخارج .

وينتقد العصماني طبيعة الإستراتيجية التي يسير عليها الإعلام العربي في الخارج وهي إستراتيجية « الدفاع » ، ويرى ضرورة أن تستبدل بها إستراتيجية « هجومية » « تُصور على أفلام وتُعرض في مختلف الولايات المتحدة الأمريكية ليستطيع الإعلام العربي أن يخلق رأيًا عامًّا مؤيدًا من خلال هذه الأفلام . أما أن تدافع فقط فهذا ضعف » . ويؤكد العصماني أن « الإعلام المؤثر ينبع من واقع قوي » ، ويقول : « في بعض الأحيان نظلم الإعلام العربي لأننا نطالبه بالمستحيل ، والحقيقة أنه لا إعلام بدون عمل . ففي عام 1973 م عندما عُززَ الإعلام بالعمل أصبح له تأثير قوي ، وحقق بعض النجاحات » .

---

(1) لوسيان بيترلن : « دور الإعلام العربي في أوربا » في شئون عربية ، مرجع سابق ، ص 123 - 124 .

ويطالب العصماني بأن تقوم المؤسسات الإعلامية العربية في أمريكا بإجراء مسح ودراسة شاملة للتعرف على رأي الأمريكيين . وبعد ذلك تحدد المرتكزات والأهداف ثم يُبدَأ بتوجيه الرسائل الإعلامية ، لكسب التأييد في العديد من القضايا العربية . ويُلّخصُ الخطوات المطلوبة لزيادة فعالية الإعلام العربي في الخارج فيما يلي :-

1 - إعادة النظر في السياسات الإعلامية في الخارج .

2 - إشراك المثقفين في عمل دراسات للمواطن والرأي العام (الغربي) .

3 - تدعيم مؤسسات الإعلام العربي بالكفاءات الإعلامية .

4 - تدعيم المكاتب الإعلامية في الخارج ماديًّا[1].

إن غياب الإعلام العربي الفاعل في الخارج يعد - دون ريب - أحد أهم العوامل التي تسهم في إتاحة الفرصة لحملات تشويه الإسلام والعرب ، لتصل إلى أهدافها بيسر وسهولة . وهذا الغياب الخطير ، يشل - بالتأكيد - قدرتنا على مواجهة هذه الحملات ومجابنة أصحابها وتفنيد أخطائهم وتصوراتهم المغلوطة . كما أنه - في الوقت نفسه - يضيّع علينا فرصة تقديم الصورة الإيجابية الحقيقية لدينا وهويتنا الحضارية وقيمنا ومكتسباتنا الواقعية . وإذا ما أريد حقًّا لإعلامنا العربي في المجتمعات الغربية أن يؤدي دوره المطلوب ، فلابد من توفير الظروف والإمكانات التي تعينه على الحضور الفاعل والمؤثر في تلك المجتمعات التي تصوغ وسائل الإعلام - بمختلف أشكالها - وعيها السياسي والاجتماعي وتصنع مكونات الرأي العام الذي يسود أفرادها .



(1) انظر : « في أمريكا الإعلام العربي شيك بلا رصيد » ، تحقيق صحفي نشر في جريدة عكاظ (جدة) ، العدد 7225 بتاريخ 21 / 7 / 1406 هـ ، ص 5 .



□ رؤية للمواجهة

لقد رأينا خلال الفصول السابقة أن هناك عددًا من العوامل والدوافع التي أسهمت – وما تزال تسهم – في تشكيل الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي . ومن الطبيعي القول إن بعض هذه العوامل أعظم أثرًا وأوفر إسهامًا في هذا التشكيل من بعضها الآخر . ولكننا – كما أثبتنا من قبل – لن نستطيع أن نبلور فهمًا شاملًا وتفسيرًا متكاملًا لظاهرة تشويه صورة الإسلام والعرب في الإعلام الغربي ما لم نأخذ بالحسبان مختلف العوامل النفسية والسياسية والإعلامية والذاتية التي تتعاضد جميعًا – بنسب متفاوتة طبعًا – في تكوين الظاهرة والترويج لها في وسائل الإعلام الغربي .

ومهما تكن العوامل أو الدوافع التي تسهم في تشكيل ظاهرة الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في الإعلام الغربي ، فإن لهذه الصورة في واقع الحياة آثارا سلبية متعددة يأتي على رأسها الأثر الخطير المتمثل في صد الناس – سواء في المجتمعات الغربية أو غيرها – عن الفهم الحقيقي للإسلام ؛ عقيدة وحضارة ، مما يفوّت عليهم فرصة التفكير الجاد في اعتناقه واتباع سبيله . ويحتل هذا الأثر مركز الصدارة – في وعينا الإسلامي – لإيماننا بأن الإسلام هو الدين الحق الذي أنزَله الله لهداية البشر جميعًا ، وهو الرحمة المهداة للعالمين دون تفرقة . إن الصورة النمطية المشوهة التي تصنعها وسائل الإعلام الغربي ، وتسعى إلى ترويجها في العالم تعدّ حاجزًا نفسيًّا صلبًا يصرف الناس عن الاهتمام بمبادئ الإسلام والتعرف على كنوزه وذخائره . كما أن هذه الصورة القاتمة المنفرة تشعل في النفوس نيران الحقد والعداء للإسلام وتؤجج في صدورهم مشاعر الحنق والنفور .

ومن تلك الآثار السلبية لهذه الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي ، أنها تسيء إلى العلاقات الإنسانية والمصلحية التي تقوم بين العرب والمسلمين من جهة ، والغرب من جهة أخرى . إن رواج هذه الصورة لا يوفر المناخ الملائم لإقامة هذه العلاقات على أسس سليمة من التفاهم المتبادل والاطمئنان والثقة . ولعل هذا هو ما يفسر لنا الجفوة المتصاعدة في علاقات الدول والمجتمعات العربية والإسلامية بدول الغرب ومجتمعاته على المستوى السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي .

وعلى صعيد آخر ، فإن من آثار هذه الصورة المشوهة ، التمكين للقوى المعادية للإسلام والعرب ، وخصوصًا الصهيونية منها ، من تحقيق أهدافها في الوصول إلى مزيد من الهيمنة والسيطرة ، لا على اتجاهات السياسات الغربية نحو بلدان العالم العربي والإسلامي ومجتمعاته فحسب ، بل - وهو الأخطر - على ربط المكونات الفكرية والنفسية والاجتماعية للحضارة الغربية بكل ما هو معادٍ للإسلام والعرب ، وذلك بتعميق الشعور الديني والنفسي بأن مصلحة الغرب تكمن - أولًا وأخيرًا - في معاداة الإسلام والعرب من جهة ، وفي التحالف أو التطابق التام مع مصالح القوى المعادية للإسلام والعرب الممثلة - بشكل جوهري - في الكيان الصهيوني : فكرًا وممارسة .

ويبقى - أخيرًا - الأثر السلبي البالغ الذي تتركه هذه الصورة النمطية المشوهة في تعامل المجتمعات الغربية مع التجمعات والجاليات العربية والمسلمة المقيمة في تلك المجتمعات . إن رواج الصورة النمطية المشوهة في وسائل الإعلام الغربي ، يسهم في إيجاد بيئة عدائية ضد المهاجرين العرب والمسلمين في الغرب . وتدل كثير من الشواهد المؤلمة التي وقعت في عدد من الدول الغربية مؤخرًا على أن مشاعر العداء ضد العرب والمسلمين ، أخذت تتصاعد وتتفاقم إلى الحد الذي أصبح فيه الوجود الإسلامي للتجمعات والأقليات العربية والمسلمة في الغرب مستهدفًا من قبل المنظمات والهيئات العنصرية المعادية ، وكذلك من قبل بعض الأفراد والتجمعات المدنية في المجتمعات الغربية .

وفي ضوء ما استعرضناه في هذه الدراسة من مظاهر الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي ، وما حللناه من عوامل متعددة أسهمت - وما تزال تسهم - في صنع تلك الصورة والترويج لها وترسيخ معالمها في العقل الغربي ، وما حاولنا أن نقدمه من تفسير شامل لهذه الظاهرة في سياقها التاريخي والنفسي والثقافي والسياسي ، ينتصب السؤال التالي : كيف يمكن لنا - نحن العرب والمسلمين - أن نواجه هذه الظاهرة ، ونعمل على التصدي لآثارها السلبية ، ونسعى للحيلولة دون استمرارها .

إن هذا السؤال حيوي وواقعي ، ولابد لدراسة كهذه أن تحاول الإجابة عنه . ولكننا – قبل محاولة الإجابة – نطرح سؤالًا آخر يسبق ذلك السؤال وهو : هل بمقدورنا – نحن العرب والمسلمين – أن نواجه تلك الظاهرة ، وأن نغيّر تلك الصورة ؟ وهل ستكون لمحاولة المجابهة جدوى وثمرة ؟ يقول إدوارد سعيد مجيبًا عن هذا السؤال : « إن أية محاولة لتغيير صورة الإسلام وتحسينها وتجميلها وجعلها أكثر جاذبية ليست محاولة مجدية .. إن الصورة المشوهة هي في الواقع تعبير عن واقع أكثر تعقيدًا وتهدف إلى تكريس نظام كامل من الأساطير الأيديولوجية التي نسجت حول الإسلام لخدمة مخططات الغرب في السيطرة على الشعوب الإسلامية وخيراتها »[1].

ولا نعتقد أن إدوارد سعيد يائس ومتشائم في نظرته تلك ، بل هو – كما يبدو لنا – يريد أن يكون فهمنا لهذه الظاهرة فهمًا عميقًا يدرك أبعادها التاريخية والواقعية ، ويستوعب سياقاتها الفكرية والنفسية والسياسية . ولذلك نجده يقول : « لم يعد هناك مبرر لأن نقف مكتوفي الأيدي نندب عداء الغرب للإسلام . علينا أن نحلل أسباب هذا العداء والعناصر التي تشجعه في الغرب ، وبذلك نكون قد خطونا خطوة على طريق محاربته »[2].

ولا مناص إذن من ضرورة مواجهة هذه الظاهرة والتصدّي لها ، ولكن ينبغي أن تكون مواجهتنا لها مواجهة قادرة على اختراق كثير من الحواجز المنيعة والعقبات الجمة التي تقف في طريقها . وقبل أن نحدّد بعض معالم هذه المواجهة ووسائلها لابد من تأكيد ما قاله إدوارد سعيد أيضًا من أن « الصور النمطية وأساليب التعبير هي تعبير عن القوة المسيطرة وبالتالي فإن أية محاولة جدية لتصحيح التشويه الممارس ضد الإسلام والعرب هي مسألة سياسية تتضمن استخدامًا للقوة »[3].

ويتفق مع إدوارد سعيد الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل إذ يشير إلى « أن

---

(1) انظر : إدوارد سعيد : « ثورة وسائل الإعلام ونهضة الإسلام » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 138 .

(2) المرجع السابق ، ص 139 .

(3) المرجع السابق ، ص 139 .

الإعلام لا يستطيع خلق حقائق جديدة ، إنما هو يعبر عن الحقائق كما هي . المسألة ليست مسألة تجميلية وليست مسألة تجهيزات مكتبية وموظفين ، كما أنها ليست بشراء مساحات إعلانية في الصحف أو على شاشة التليفزيون ونشر صورة لهذا الحاكم أو ذاك . كما أنها – أخيرًا – ليست مطالبة حادة بحق حتى ولو كان حقًّا مشروعًا »[1].

إن المطلوب أولًا أن نغيّر من واقعنا الضعيف ونعالج مواقفنا السلبية ونبدل أحوالنا السيئة . إن العالم لا يحترم الضعف والخور ، بل يحترم القوة والاعتزاز بالنفس . وقد أشرنا من قبل إلى أن ضمور الفاعلية الحضارية لأمتنا العربية والإسلامية قد هيأ المناخ المناسب لتصاعد حملات التشويه ضدنا . ولذلك فإن مواجهة هذه الحملات دون خلق حقائق جديدة في حياتنا ودون إحداث تغييرات جذرية في واقعنا الحضاري والسياسي والاجتماعي ستكون مواجهة قاصرة محدودة الأثر .

وعندما يتغير واقعنا حضاريًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا ، يمكننا أن ننطلق في مسيرة المواجهة الجادة والفعالة لتغيير الصورة النمطية السيئة للإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي . وفي اعتقادنا ، أن هذه المواجهة ينبغي أن تُبنَى على أساسين متينين : أولهما ما ذكرناه سابقًا ، وهو الفهم العلمي الشامل لظاهرة صنع الصورة النمطية المشوهة للإسلام والعرب في الغرب في ضوء سياقاتها الفكرية والنفسية والسياسية . ويستلزم هذا – بالضرورة – محاولة تكوين تصوّر واضح واقعي عن العقل الغربي وكيفية التعامل معه في ضوء الظروف والملابسات النفسية والاجتماعية والسياسية التي تحيط به وتؤثر فيه .

أما الأساس الآخر ، فهو انتهاج أسلوب « البدائل » في معركة المواجهة بدلًا من الاقتصار على أسلوب « ردات الفعل » التي تتسم بها الجهود العربية المبذولة – على

---

(1) محمد حسنين هيكل « الصورة العربية في وسائل الإعلام الغربية كيف يمكن تحسينها ؟ » في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م ، مرجع سابق ، ص 266 .

ضآلتها وتشتتها وبدائيتها – في سبيل مواجهة حملات التشويه التي يتعرض لها الإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي . إن أسلوب « ردات الفعل » أسلوب عقيم لا جدوى منه ، إذا لم يسنده أسلوب « الفعل » ابتداء ، وإذا لم يتزامن معه أسلوب « البدائل » .

ونقصد بأسلوب « البدائل » أن نعمل على صياغة صورة نمطية بديلة عما هو موجود في وسائل الإعلام الغربي . وصنع هذه الصورة البديلة يتطلب العمل الحثيث على ثلاثة مستويات متوازية ومتكاملة وهي : المستوى السياسي / الدبلوماسي ، والمستوى الحضاري / الثقافي ، والمستوى الإعلامي / الدعائي . فعلى المستوى السياسي / الدبلوماسي ، يمكن أن نشير إلى المتطلبات التالية :

1 – انتهاج سياسات واضحة تجاه القضايا العربية والإسلامية ودعم هذه السياسات بجهود دبلوماسية فعالة تستخدم الوسائل المناسبة المتاحة للعمل الدبلوماسي في الغرب .

2 – توفير قنوات مفتوحة للاتصال واستقاء الأخبار والآراء من سفارات الدول العربية والإسلامية بما يتفق مع حاجات العمل المهني الإعلامي في الغرب .

3 – توثيق عرى الصداقة والعلاقات المتعاطفة بين الهيئات الدبلوماسية العربية والإسلامية من جهة ، والقوى السياسية والثقافية والإعلامية في الغرب من جهة أخرى . ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال العلاقات الفردية وإنشاء جمعيات الصداقة ونحو ذلك .

أما على المستوى الثقافي / الحضاري ، فإنه يمكن الإشارة إلى المتطلبات التالية :–

1 – إنشاء مؤسسات ثقافية عربية في البلدان الغربية ، مثل : المكتبات ، ومعاهد البحوث المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية ، ومعاهد تعليم اللغة العربية ونحو ذلك . حيث تقوم هذه المؤسسات بتوفير المواد الثقافية والعلمية التي تعين على تقديم صورة حقيقة للإسلام والعرب في المجتمعات الغربية .

2 – العمل على وضع وتنفيذ خطة محكمة لتصحيح المعلومات المغلوطة التي تحفل بها الموسوعات العلمية والمراجع الأساسية في الغرب عن الإسلام والعرب .

3 – توجيه الجهود الفردية والجماعية – عبر المؤسسات الثقافية العربية والمراكز الإسلامية ونحوها – لتصحيح المفاهيم الخاطئة والتصورات القاصرة عن الإسلام والعرب في أذهان تلامذة المدارس الغربية بمختلف مراحل التعليم . ويمكن أن يتم ذلك من خلال تصحيح الكتب المدرسية ، وتزويد المدارس بالمعلومات الصحيحة ، وتوفير المواد الثقافية والإعلامية التي تساعد على تكوين تصورات سليمة عن الإسلام والعرب .

٤ – تنظيم برامج متصلة للزيارات الثقافية المتبادلة بين المفكرين والعلماء وقادة الرأي والمثقفين في الغرب ، ونظرائهم في البلدان العربية والإسلامية ، وإقامة الندوات واللقاءات الثقافية المشتركة التي تبرز العطاء الثقافي والحضاري للأمة الإسلامية في الماضي والحاضر .

5 – تكثيف إقامة المعارض الثقافية والفنية في البلدان الغربية ، لاستقطاب اهتمام الغربيين بالجوانب الثقافية والحضارية والإنسانية في المجتمعات العربية والإسلامية .

6 – تنشيط جهود الدعوة الإسلامية في الغرب ، ودعم المراكز الإسلامية – بشريًّا وماديًّا – لتؤدي دورها المطلوب في توضيح مفاهيم الإسلام ومبادئه وتفنيد المغالطات التي تشوه صورة الدين الإسلامي في العقل الغربي .

وأخيرًا ، نشير إلى بعض المتطلبات لمواجهة حملات تشويه صورة الإسلام والعرب على المستوى الإعلامي / الدعائي ، ومنها :

1 – توفير قنوات إعلامية عربية قوية تيسر للغربيين الحصول على ما يريدونه من معلومات وآراء ، حول القضايا المتعلقة بشئون العالم العربي والإسلامي . وتتمثل هذه القنوات في إنشاء صحف ومجلات بلغات المجتمعات الغربية ، وتخصيص محطات إذاعية وتليفزيونية لعرض وجهات النظر العربية والإسلامية في

مختلف القضايا . كما تتمثل في إنشاء إذاعات عربية وإسلامية موجهة إلى البلدان الغربية بلغات شعوبها .

2 – العمل على إنتاج مواد إعلامية على مستوى فني رفيع لتقديم الصورة الحقيقية للإسلام والعرب إلى الغربيين ، مثل الأفلام السينمائية والبرامج التليفزيونية والكتب والنشرات وغيرها .

3 – إنشاء بنوك عربية إسلامية للمعلومات في بعض عواصم الغرب ، تكون مهمتها توفير ما تحتاج إليه وسائل الإعلام الغربي من معلومات ووثائق ومواد إعلامية تساعد العاملين فيها على تكوين خلفيات سليمة عن الأفكار والأحداث والاتجاهات التي يهتم بها الغرب ويسلط عليها أضواءه الإعلامية .

4 – منح الإعلاميين العاملين في مختلف وسائل الإعلام الغربي المزيد من الحرية والمرونة في استقاء الأخبار والتعليقات والآراء من المسئولين في العالم العربي والإسلامي ، وتنظيم برامج لزيارات الصحفيين إلى البلدان العربية والإسلامية مع إعطائهم الفرصة للحصول على ما يريدونه من أخبار ومعلومات ، دون ضغوط أو توجيهات مباشرة مع ضرورة متابعتهم واستمرار الاتصال بهم ومداومة تزويدهم بالمعلومات .

5 – تنشيط دور السفارات والجاليات العربية والإسلامية المقيمة في الغرب في متابعة وسائل الإعلام ، لتفنيد ما تقدمه من معلومات مغلوطة عن الإسلام والعرب ، وممارسة بعض ألوان الضغط المنظم ضد الجهات والمؤسسات الإعلامية التي تشوه صورة الإسلام والعرب ، سواء عن طريق جهود الأفراد أو عن طريق تنظيم « لوبي » عربي – إسلامي في بعض البلدان الغربية ، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

إن مواجهة ظاهرة الصورة النمطية عن الإسلام والعرب في المجتمعات الغربية عمل حضاري شامل ، يمتد إلى جميع قطاعات الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في تلك المجتمعات . ولا شك أن مثل هذا العمل يحتاج إلى مدى زمني واسع . فكما تكونت

الصورة النمطية للإسلام والعرب عبر عصور وأجيال ممتدة في الغرب ، فكذلك تغييرها واستبدال الصورة الحقيقية بها لابد أن يراعى فيهما عامل الزمن .

ومع تأكيدنا – مرة أخرى – على ضرورة أن تنطلق هذه المواجهة من تغيير واقعنا الحضاري ، فإننا لا نغفل أهمية النزول إلى ساحة الصراع الثقافي والإعلامي لتوظيف إمكاناتنا وطاقاتنا ، لتحقيق الأهداف المرجوة ، في تغيير الصورة النمطية السيئة عن الإسلام والعرب في وسائل الإعلام الغربي ، والتخفيف من آثارها المترتبة عليها . ونعتقد جازمين – إن شاء الله – أن توافر العزيمة المخلصة والإرادة الجادة – إلى جانب التخطيط السليم والتنفيذ المتقن – كفيل بتحقيق آمالنا في الوصول إلى بلورة صورة صادقة عن إسلامنا ووجودنا الحضاري والواقعي لتكون بديلًا مقنعًا عن الصورة المشوهة التي تراكمت عناصرها في العقل الغربي عبر العصور . وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

ثبت المراجع

أولًا : المراجع العربية والمترجمة

1 – أبو غنيمة ، زياد : **السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية** (عمان : دار عمار ، 1404 هـ / 1984 م) .

2 – آدمز ، وليام وفليب هيل : « من القاهرة إلى كابول : مع شبكات التليفزيون 1972 م – 1980 م » ترجمة تركي عبيد ، مجلة **البحوث** (المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين – بغداد) العدد 8 ، أبريل 1983 م .

3 – أرتيموف ، ف ، « الطبيعة الموضوعية للأنماط المقولبة واستخدامها في الدعاية الإمبريالية » في : **علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية** لمجموعة من علماء النفس ، ترجمة نزار عيون السود (دمشق : دار دمشق للطباعة والنشر ، 1984) .

4 – أسد ، محمد : **الطريق إلى الإسلام** ، ترجمة عفيف البعلبكي (بيروت : دار العلم للملايين ، ط 4 ، 1976 م) .

5 – الأسدي ، فالح حسن : « العوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية في قبول الرأي العام الأمريكي للصور المشوهة عن العرب في الدعاية الصهيونية » **حوليات الإعلام** (جامعة بغداد) ، العدد 3 ، 1983 م .

6 – إمام ، محمد كمال الدين : « صورة الإسلام في وسائل الإعلام الغربية » مذكرة غير منشورة ، كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، 1405 هـ .

7 – بركات ، سهير : « الإعلام وظاهرة الصورة المنطبعة » **مجلة العلوم الاجتماعية** (الكويت) العدد 1/1 ، 1980 .

8 – البعلبكي ، منير ، **المورد** (بيروت : دار العلم للملايين ، 1983 م) .

9 – بهجت ، أحمد رأفت : **الشخصية العربية في السينما العالمية** (القاهرة :

نادي القاهرة للسينما ، 1988 م) .

10 — بوازار ، مارسيل : **الإسلام اليوم** (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر واليونسكو ، 1986 م) .

11 — البوني ، عفيف : « صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية » **المستقبل العربي** (بيروت) العدد 101 ، يوليو 1987 م .

12 — بيترلن لوسيان : « دور الإعلام العربي في أوربا » في **شئون عربية** (تونس) ، العدد 17 ، يوليو 1982 م .

13 — جعيط ، هشام : **أوربا والإسلام** (بيروت : دار الحقيقة ، 1980 م) .

14 — حامد ، حماد إبراهيم : « صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الصحافة المصرية اليومية : دراسة مقارنة بين حقبتي الستينات والسبعينات » رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام بجامعة القاهرة ، 1986 م .

15 — خالدي ، مصطفى وعمر فروخ : **التبشير والاستعمار** (بيروت : المكتبة العصرية ، 1982 م) .

16 — خدوري ، وليد : « النفط وأجهزة الإعلام الغربية » **الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية — لندن — 1979 م** (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) .

17 — الداود ، عبد المحسن : « اليهودي في الإعلام الدولي » صحيفة **الرياض** (الرياض) العدد 6802 بتاريخ 8 / 6 / 1407 هـ .

18 — الدباغ ، مصطفى : **الحرب النفسية الإسرائيلية** (الأردن : مكتبة المنار 1406 هـ / 1986 م) .

19 — ربيع ، حامد : **فلسفة الدعاية الإسرائيلية** (بيروت : مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، رقم 72 ، 1970 م) .

20 — ربيع ، محمد عبد العزيز : « الإعلام العربي في الخارج : الفشل ومتطلبات النجاح » في مجلة **شئون عربية** (تونس) ، العدد 38 ، رمضان 1404 هـ

حزيران 1984 م .

21 – رزوق ، أسعد : **موسوعة علم النفس** (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 4 ، 1978 م) .

22 – رشتي ، جيهان : **الدعاية واستخدام الراديو في الحرب النفسية** (القاهرة : دار الفكر العربي ، 1985 م) .

23 – رولو ، إريك : « مفاهيم خاطئة في وسائل الإعلام » **الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م** (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) .

24 – ريفرز ، وليام . ل . وزملاؤه : **وسائل الإعلام والمجتمع الحديث** ، ترجمة إبراهيم إمام (القاهرة : دار المعرفة ، 1975 م) .

25 – زقزوق ، محمود حمدي : **الاستشراق والخلفية الفكرية والحضارية** (الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية) كتاب الأمة ، (5 صفر الخير 1404 هـ) .

26 – ساري ، حلمي خضر : **صورة العرب في الصحافة البريطانية : دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة** (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1988 م) .

27 – سالم ، نادية : **صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية** (القاهرة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1978 م) .

28 – سعيد ، إدوارد : « ثورة وسائل الإعلام ونهضة الإسلام » **الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م** (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) .

29 – سعيد ، إدوارد : **الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية** ، 1981 م) .

30 – سعيد ، إدوارد : **تغطية الإسلام : كيف تتحكم وسائل الإعلام الغربي في تشكيل إدراك الآخرين وفهمهم** ، ترجمة سميرة نعيم خوري ، (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، 1983 م) .

31 – سعيد ، إدوارد : « الإعلام الأمريكي والسلطة » **المجلة** (لندن) العدد 324 ، بتاريخ 14 - 20 / 8 / 1406 هـ 23 - 29 / 4 / 1986 م .

32 – سليمان ، ميخائيل : **صورة العرب في عقول الأمريكيين** (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1987 م) .

33 – سوذرن ، ريتشارد : **صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى** ، ترجمة رضوان السيد (بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1984 م) .

34 – السيد ، رضوان : **الإسلام المعاصر : نظرات في الحاضر والمستقبل** (بيروت : دار العلوم العربية ، 1407 هـ / 1986 م) .

35 – شاهين ، جاك : « وسائل الإعلام الأمريكية والصورة النمطية للعرب » **في الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979** م (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) .

36 – شاهين ، جاك : « صورة العربي في الإعلام الأمريكي » ، ترجمة جاسم محمد جرجيس مجلة **التوثيق الإعلامي** (بغداد) العدد 1 / 2 1403 هـ / 1983 م .

37 – شاهين ، جاك : « الشخصية العربية في التليفزيون الأمريكي » مجلة **العربي** (الكويت) العدد 340 ، مارس 1987 م .

38 – شرابي ، هشام : « جذور تشويه الصورة العربية في الغرب في **الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979** م (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) .

39 – الشريف ، ريجينا : **الصهيونية غير اليهودية** (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة 96 ، كانون الأول 1985 م) .

40 – الشهابي ، إبراهيم يحيى : **نقاط على حروف في الصراع العربي الصهيوني** (دمشق : دار الأدهم للترجمة والنشر ، 1986 م) .

41 – شيلر ، هربرت : **المتلاعبون بالعقول** ، ترجمة عبد السلام رضوان (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة 106 ، محرم 1407 هـ أكتوبر 1986 م) .

42 – الصويغ ، حسين عبد العزيز : « الحقد الأسود » ، مجلة **اليمامة** (الرياض) العدد 960 بتاريخ 28 / 10 / 1407 هـ .

43 – العامري ، سلوى حسني : « تصورات المثقفين المصريين لخصائص بعض الجماعات القومية واتجاهاتهم نحو هذه الجماعات » رسالة دكتوراة غير منشورة بكلية الآداب جامعة عين شمس ، 1983 م .

44 – عباس ، إبراهيم فؤاد : « وسائل الدعاية الصهيونية وأبعادها » صحيفة **الرياض** (الرياض) العدد 5731 بتاريخ 30 / 5 / 1404 هـ .

45 – العبلان ، زيد بن أحمد : « الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية ، دراسة ومناقشة وتحليل » رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1406 هـ .

46 – عجوه ، علي : **العلاقات العامة والصورة الذهنية** (القاهرة : عالم الكتب ، 1983 م) .

47 – العقيقي ، نجيب : **المستشرقون** (القاهرة : دار المعارف ، ط 4 ، 1981 م) .

48 – عوض الله ، غازي زين : **العربي في الصحافة الأمريكية** (جدة ، تهامة ، 1406 / 1985 م) .

49 – العويني ، محمد علي : « الصورة النمطية والسياسة الخارجية العربية » في كتابه **دراسات في الإعلام الحديث** (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، 1986 م) .

50 – العويني ، محمد علي : **الإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق** (القاهرة : عالم الكتب ، ط 2 ، 1407 هـ/ 1987 م) .

51 – غريب إدموند : « الإعلام الأمريكي والعرب » **الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن** – 1979 م (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) .

52 – فريد ، سمير : **مدخل إلى السينما العالمية** (بيروت : المؤسسة العامة للدراسات والنشر ، 1981 م) .

53 – فندلي ، بول : **من يجرؤ على الكلام** (بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 1987 م) .

54 – فهيم ، فايق : **الإعلام المعاصر : قضايا وآراء** (الرياض : دار الوطن 1406 هـ / 1985 م) .

55 – قاسم ، قاسم عبده : « الحروب الصليبية في الأدبيات العربية والأوربية واليهودية » **المستقبل العربي** (بيروت) ، العدد 102 أغسطس 1987 م .

56 – قلعجي ، قدري : **أمريكا وغطرسة القوة** (بيروت : دار الكاتب العربي ، 1407 هـ / 1987 م) .

57 – مانسكيكان ، د . ر : **تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية** ترجمة فايق فهيم (الرياض : دار العلوم ، 1402 هـ / 1982 م) .

58 – محمود ، على عبد الحليم : **الغزو الصليبي والعالم الإسلامي** (جدة : شركة مكتبات عكاظ ، 1402 هـ / 1982 م) .

59 – مسلم ، سامي : **صورة العرب في صحافة ألمانيا الغربية** (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1986 م) .

60 – المصمودي ، مصطفى : **النظام الإعلامي الجديد** (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة 94 ، 1406 هـ / 1985 م) .

61 – نوري ، شاكر : « العنصرية ظاهرة » صحيفة **الرياض** (الرياض) العدد 6087 بتاريخ 2 / 6 / 1405 هـ .

62 – هلال ، عليّ الدين : « التطويق الصهيوني للرأي العام الأمريكي » **السياسة الدولية** (القاهرة) ، العدد 33 ، يوليو 1973 م .

63 – هوبكنسون ، توماس : « معايير عالمية لوسائل الإعلام » **الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م** (الإمارات العربية المتحدة – وزارة الإعلام والثقافة د . ت) .

64 – هيكل ، محمد حسنين ، « الصورة العربية في وسائل الإعلام الغربية كيف يمكن تحسينها ؟ » **الإعلام الغربي والعرب : أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية – لندن – 1979 م** (الإمارات العربية المتحدة : وزارة الإعلام والثقافة ، د . ت) .

65 – وورسلي ، بيتر : **العالم الثالث** : ترجمة حسام الخطيب (دمشق : وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي ، 1986 م) .

66 – ياسين : أسعد ، **موسوعة علم النفس** (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 4 ، 1978 م) .

○ **بعض الصحف والمجلات العربية :**

67 – مجلة **الإصلاح** (الإمارات) ، العدد 112 ، رمضان 1407 هـ .

68 – مجلة **التضامن** (لندن) ، العدد 106 بتاريخ 20 / 4 / 1985 م .

69 – صحيفة **الشرق الأوسط** (لندن) ، بتاريخ 23 / 11 / 1407 هـ .

70 – صحيفة **الشرق الأوسط** (لندن) ، بتاريخ 9 / 11 / 1984 م .

71 – صحيفة **عكاظ** (جدة) العدد 7071 بتاريخ 14 / 2 / 1406 هـ .

72 – صحيفة **عكاظ** (جدة) ، العدد 7225 بتاريخ 21 / 7 / 1406 هـ .

73 – مجلة **كل العرب** (باريس) ، العدد 151 بتاريخ 11 / 7 / 1985 م .

74 – مجلة **المجتمع** (الكويت) ، العدد 801 بتاريخ 20 / 5 / 1407 هـ .

75 – مجلة **المجلة** (لندن) ، العدد 313 بتاريخ 26 / 5 - 2 / 6 / 1406 هـ .

ثانيًا : المراجع الأجنبية

ꜰggarwala, N. « Third World New Agency, » Paper Presented at the (Conference on Third World Press. » 1977.

ꜰl - Qazzaz, A, « Image Formation and Textbooks, » in E. Ghareeb, (ed.) **Split Vision** Wash.D.C. : The American - Arab Affairs Conucil, 1983).

Belkaoui, J.M. « Image of Arabs and Israelis in the Prestige Press, 1966 - 74, » **Journalism Quarterly** 55 : (1978) : 732 - 38 .

Boulding, **K.E. The Image** (Ann Arbor, MI : Umiversity of Michigan Press, 1956) .

Buchanan, W. and M. Cantril, **How Nations See Each Other** (Urbana, III. : University of Illinois Press, 1953) .

Comstock, G. **Television in America** (Beverly Hills, CA. : Sage Publications, 1980) .

Damon, G.H. « A Survey of the Political Cartoons Dealing with the Middle East, » in E. Ghareeb (ed.) **Split Vision** (Wash.D.C. : The American - Arab Affairs Council, 1983) .

Daugherty, D. and M. Warden, « Prestige Press Editorial Treatment of the Mideast During II Crisis Years, » Journalism Quarterly 56 (1979) : 779 - 82.

Eysenck, H. and C. Crown, « National Stereotypes : An Experimental and Methodological Study, » **International Journal of Opinion and Attitude Research 2** (Spring, 1948) : 26 - 39.

Gans, Herbert. **Deciding What's News : A Study of : CBS Evening News, » « NBC Nightly News , » « Newsweek, » and « Time » (NY : Pantheon Books** , 1979) .

11. Gerbner, G. and G. Maravany, « The Many Worlds of the World's Press , » **Journal of Communication** 27 : 1 (1977) .

12. Gilbert, G.M. « Stereotype Persistance and Change Among College Studens, » **The Journal of Abnormal and Social Psychology** 46 : 2 (April, 1951) : 245 - 54.

13. Golding, P. and P. Elliot, « Mass Communication ad Social Change, » in E. de Kadt and G. Williams (eds.) **Sociology and Development** (London : Tavistock, 1974).

14. Graham, M. « An Experiment in International Attitude Research, » **UNESCO International Social Science Bulletin 3** : 3 (Autumn 1951) : 529 - 39.

15. Hayakawa, S.I. **Language in Action** (NY : Harcourt, Brace Co., 1939).

16. Hester, Al « An Analysis of News Flow From Developed and Developing Countries, » **Gazette** 17 : 1 (1971).

17. Jarrar, S.A. « The Treatment of Arabs in U.S Social Studies Textbooks : Research Findings and Recommendations, » in E. Ghareeb, **Split Vision** (Wash. D. C. : The American - Arab Affairs Councli, 1983).

18. Katz, D. and K.W. Braly, « Racial Stereotypes of 100 College Students, » **Joural of Abnormal and Social Psychology 28** (April - March 1933 - 1934) : 280 - 90.

19. Kemy, (eds.) **Arabs in America : Myths and Realities.** AAUG Monograph Series No. 5 (Wilmentte, III. : Medine University Press International, 1975),

20. Kerr, M. « An Experimental Investigation of National Sterotypes, » **The Sociological Review** 34 : 182 (Jan - April. 1943) : 37 - 44.

21. Lee, S. « The American Image of relations with Japan projected in Three U.S. Dilies, » Gazette 25 : 1 (1979) : 31 - 45.

22. Lendenmann, G.N. « Arab Stereotyping in Contemporary Cartoons, » in

E. Ghareeb, **Split Vision** (Wash. D. C. : The American - Arab Affairs Council. 1983).

23. Linienthal, Alfred M. **The Zionost Connection : What Price Peace ?** (N.Y. Middle East Perspective, 1979).
24. Lippmann, W. **Public Opinion** (N.Y. : The Macmillan Co. 1922).
25. Mace, C.A. « National Stereotypes .... Their Nature and Function, » **The Sociological Review** 23 : 1 and 2 (Jan.- April 1943) : 29.
26. Merrill, J.C. « The Image of the United States in Ten Mexican Dailies, » **Journalism Quarterly** 30 - 2 (Spring 1962) : 203.
27. Nasir, Sari J. **The Arabs and English** (London : Longman, 1976).
28. Oxtoby, W.G. « Western Perceptions of Islam ad Arabs, » in M. Hudson and R. Wolfe (eds.) **The American Media and the Arabs.** (Wash. D.C. : Center for Contemporary Arab Studies, Geargetown University, 1980).
29. Riley - Smith, Jonathan. **What Were the Crusades ?** (London : Macmilan, 1977).
30. Scott, W.A. « Psychological and Social Correlates of International Images, » in H.C. Kalman (ed.) **International Behavior** (N.Y. : Holt, Rinehary and Winston, 1966).
31. Shaheen, Jack G. **The TV Arab** (Bowling Green, Ohio : Bowling Green State University Press, 1984).
32. Slade, Shelley « The Image of the Arab in America : Analysis of the pool on American Attitudes, » **Middle East Journal** 35 - 2 (Spring 1981) : 142.
33. Sola Pool, I. de « Overview of Image Study, » in **Contemporary Popular Cultur Seminar** (Honolulu : East - West Communication Center, July 29, 1976).
34. Suleiman, K.M. « The Palestinian - Israeli Conflict in Three American Protestant Journals, » Unpublished Master's Thesis, Southern University, 1983.

35. Suleiman, M. « An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines, » **Middle East Forum LXI : 2** (Late Autumn 1965) : 9 - 30.

36. Suleiman, M. **The American Mass Meddia and the June conflict** (Chicago : Nortwestern University Press, 1970).

37. Suleiman, M. « National Stereotypes as Weapons in the Arab - Israeli Conflict, » **Journal of Palestine Atudies** 3 (Spring 1977) : 109 - 21.

38. Tattarian, R. « News Flow in the third World : Some Problems and Proposals, » Paper Presented at the Conference on « Third World and Press Freedom, » Fectcher Schol of Low and Diplomacy, N.Y., 1977.

39. Terry, J. « 1973 Press Coverage on the Middle East, » **Journal of Palestin Studies** IV : I (Autumn 1974) : 120 - 33.

40. Terry, J. « Images of the Middle East in Contemporary Fiction, » in E. Ghareeb (Ghareeb (ed.) **Split Vision** (Wash, D.C. : The American - ArabAffairs Council, 1983).

41. Trice R. « The American Elite press and the Arab - Israeli Conflict, » **The Middle East Journal** 33 : 4 (Summer 1979) : 304 - 26.

42. Tuchman, G. **Making News : A Study in the Construction of Reality** (N.Y. : The Free Press, 1978).

43. Turkistani, A. « The Coverage of Social Change in Saudi Arabia by Three American News Magazines 1975 - 1980 . » Unpublished Master's Thesis, California StateUniversity 1980.

44. Weaver, D. and G. Wilhoit « Foreign News Coverage in Two U.S. Wine Services, » **Journal of Communication** 31 : 2 (1981).

45. Wolfe, W. « The Image of the United States in the Latin American Press, » **Journalism Quarterly** 41 (1964) : 79 - 86-

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

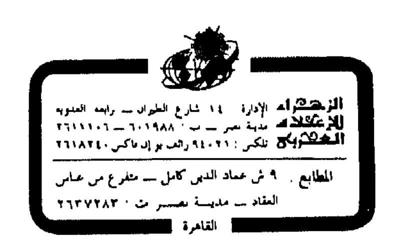
الفصل الرابع :

الخاتمة :

المؤلف في سطور :

- رئيس تحرير جريدة « المسلمون » الدولية وعضو هيئة التدريس بقسم الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وكان يقوم بتدريس مواد الإعلام الدولي بالقسم .
- نال درجتي الماجستير والدكتوراة في الإعلام من جامعتي أوكلاهوما ، وجنوب الينوي بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1400 هـ / 1980 م و 1403 هـ / 1983 م .
- حصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 94 / 1395 هـ / 1975 م .
- تلقى تعليمه الثانوي والإعدادي والابتدائي في مدينة الطائف .
- ولد في مدينة الطائف عام 1372 هـ / 1952 م .

رقم الإيداع : ٩٣ / ٧٥٤٢
الترقيم الدولي : ٣ ـ ١٣٢ ـ ٢٥٧ ـ ٩٧٧



صورة الإسلام في الإعلام الغربي

هل ينبغي علينا – ونحن نرصد ذلك التاريخ المظلم وهذا الواقع المرير لصناعة الصورة المسيئة للإسلام والعرب في الغرب – أن نستسلم لليأس وننفض أيدينا من محاولة التغيير والإصلاح – أو الدفاع عن أنفسنا على الأقل؟ إننا لا نؤمن باليأس، ولكننا نعترف – بصراحة تامة – بأن التغيير صعب للغاية ودونه عقبات كئود. إن الأمر يتطلب عملًا حضاريًّا يبدأ – في اعتقادنا – بفهمنا الصحيح وإدراكنا الواعي لهذه الظاهرة في سياقاتها الفكرية والدينية والتاريخية والواقعية.

ونأمل أن يكون هذا الكتاب إسهاما في تحقيق الفهم الصحيح وتعميق الإدراك الواعي للظاهرة. وقد نشر هذا الكتاب في طبعته الأولى سنة 1409 هـ – 1989 م. وها هي ذي الطبعة الثانية تصدر في ظل الحملات الإعلامية المحمومة التي تستهدف تشويه صورة الإسلام في العالم. والله ولي التوفيق.

المؤلف

الزهراء للإعلام العربي